أ . د . حلمي محمد القاعود

القبضة الفولاذيـة
في
وجه الإسلام

١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الحمد والمنة ، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، وبعد :

فسطور هذا الكتاب رصدت ما جري ويجري للمسلمين داخل مصر وخارجها ، وسجلت جراحاتهم وآلامهم ومتاعبهم ، وأيضا بطولاتهم في مواجهة القبضة الفولاذية الوحشية التي لا تعرف الرحمة ولا تريد للإسلام ولا المسلمين خيرا ، مع أنهم منبع الثروات التي يعتمد عليهم أصحاب القبضة ، والسوق التي تروج لبضائعهم وتمنحهم مزيدا من الثراء والرخاء والرفاهية ..

ومع كل ما يحدث فالأمل في الله قائم ، والفرج آت بإذنه تعالى ، وأملي أن يلم القارئ ببعض ما يخفيه الإعلام الفاسد ، والمشهد الثقافي المزيف والمضلل .. والله من وراء القصد ، وهو الموفق .

حلمي محمد القاعود

بسم الله الرحمن الرحيم
القبضة الفولاذية ..متى تعمل هنا؟

القبضة الفولاذية هي قبضة السلطة التي تستخدمها ضد المسلمين والإسلام ، فتلاحق وترصد وتعتقل ، وتقدم للمحاكمات العسكرية الاستثنائية ومحاكم أمن الدولة ، ويقضي الأبرياء شهورا وسنوات وراء الجدران السوداء ، دون أن يبكي عليهم أحد ، ودون أن ترحمهم أبواق النظام وفرق الردح والشتائم والتشهير ، والتهم مضحكة ومثيرة للغثيان في آن ، وكل

هذا يمضي ولا تتدخل حكومات أجنبية أو جهات دولية تندد بما يحدث للمسلمين أصحاب الدم الرخيص ، والكرامة الأرخص ..
في مجال التمرد الطائفي الأرثوذكسي تحديدا ، يقوم المتمردون بما يوضع عادة تحت بند الخيانة العظمى ، حيث يستعدون دولا كبرى ، ودولا معادية للتدخل في الوطن وإكراهه على تحقيق مطالب غير مشروعة ، بالقوة الجبرية والضغط المعنوي ، مع الدعوة لتمزيق الدستور والزراية به ، من أجل إلغاء المادة الثانية التي تشير إلى دين الأغلبية الساحقة ، ثم المطالبة بتجريد الدولة من دينها لحساب هذا التمرد الطائفي الإرثوذكسي، فضلا عن المطالب الأخرى التي تتجاوز حدود الأعراف والتعايش ، وتجعل من الأقلية الإرثوذكسية سوطا يلهب ظهر الأغلبية ، ويحولها إلى مجرد مجموعة من العبيد تأتمر بأمر المتمردين ، وتستجيب لمطالبهم الشاذة ، ولا أظن علاقة تعايش طبيعة تقبل بهذه الصيغة الإجرامية ..
وإذا عرفنا أن المتمردين الإرثوذكس يستلهمون التجربة الصهيونية ثم التجربة الصربية في البوسنة والهرسك ، مدعومة بفكرة الاستشهاد ، فإن الأمر جد لا هزل ، فالمطالبة بوطن قومي للنصارى في الصعيد أو الإسكندرية يرتبط بالمنفذ البحري(وفقا لكتابات ومقولات على مواقع المتمردين) ؛ مسألة تعني تهديد كيان الأمة ، وتمزيقها مما يدخل تحت بند الخيانة العظمى الذي سبقت الإشارة إليه .
إن تجربة الصرب في البوسنة والهرسك تمثل جريمة صليبية وحشية غير مسبوقة في التاريخ إلا في الأندلس حيث كانت محاكم التفتيش تمثل الفهم الوحشي للنصرانية في أبشع صورة ، لايكتفي بقتل المحاربين بل كان يقتل المدنيين المسالمين ؛ حتى الذين أعلنوا تحولهم إلى النصرانية ، بحجة تطهيرهم من النجاسة !!
استباح الصرب كل القيم والأخلاق ، بل أخذوا جنود حفظ السلام الدولي دروعا لتنفيذ سياسة التطهير الديني ضد المسلمين ، وساعدتهم على ارتكاب مذابحهم الجماعية فصائل حفظ السلام الهولندية والنمساوية والفرنسية وغيرها بحكم التعصب الصليبي .. لقد اعتمدوا على الإعلام الصليبي ، ومراوغة الفاتيكان ، وتحركات مجلس الأمن المشبوهة ، فضلا عن الدعم العسكري والسياسي والدبلوماسي لحكومة

بلغراد ، وتحولت الأغلبية المسلمة في البوسنة إلى أقلية سياسية تشرب السم الزعاف من أجل إيقاف المذابح وتنفس الهواء !

المتمردون المجرمون في الطائفة الإرثوذكسية عندنا يستلهمون التجربة الصربية الوحشية معتمدين على الولايات المتحدة ودول الغرب الاستعماري الصليبية ، وقد رأينا البيانات التي أصدرها بابا الفاتيكان عما يسميه اضطهاد المسيحيين في الشرق الأوسط وخص مصر والعراق بالإسم وإشارته التعصبية الفظة عن الإسلام السياسي والتحذير منه ، وكأنه يريدنا أنت نتخلى عن جزء من الإسلام لتصدق نظريته الإجرامية حول الإسلام التي افتتح بها ولايته، ثم رأينا البيانات التي تحدثت عنها حكومات إيطاليا وفرنسا وإنجلترا ، مما يعني أن المتمردين يجدون تأييدا استعماريا صليبيا ، يمهد لهم الأرض لتنفيذ إرادتهم الشريرة ، وإذلال الأغلبية المسلمة التي منحتهم فوق مايحلمون من امتيازات ومكافآت !

إن مقتل الجندي المسلم في نجع حمادي لم يتذكره المجرمون المتمردون وهم يهيجون العالم من أجل النصارى الستة الذين قتلوا معه، وقامت النائبات الطائفيات بالكشف عن تعصب رخيص تحت قبة البرلمان وعبر الفضائيات المنافقة التي فرشت لهن مصطباتها ليكذبن ويوجهن الإهانات للإسلام والمسلمين والسلطة ورموزها ،ناهيك عن المجرمين من المتمردين الذين تخصصوا في الكذب والتشويش على الحقائق . بينما النظام ورموزه ، في خجل عميق ، وحياء غريب ، العيون في الأرض والأيدي مغلولة ، والقبضة الفولاذية لا تستطيع الحركة أمام الخيانة الفاجرة ، والوطن في كلالأحوال على شفير الهاوية .. لماذا يا أهل اللسلطة ؟

ما الذي يكسر عيونكم أمام المجرمين المتمردين ؟ إنهم لم يقبلوا بالمناحة الكبرى والملطمة العظمي والوفود التي تواترت على نجع حمادي والكاتدرائية للعزاء والمواساة والاعتذار والقسم بأغلظ الأيمان أن الحادث لا علاقة له بالفتنة الطائفية ، ولكنه حادث فردي ، وجناية عادية جاءت في سياق ثأر يعرفه أهل الصعيد من النصارى والمسلمين .. لم يقبل المجرمون المتمردون كل هذا ولم يرضهمأن يتم تقديم المتهمين إلى محكمة أمن الدولة العليا ، والمتهم الذي اغتصب الصبية المسلمة وفضحها بعتصويرها إلى محكمة عادية ، وقالوا لن نسكت حتى تتم الحكمة بأسرع مايمكن وإعدام المتهمين ، بل طالبوا بتقديم نواب في مجلس الشعب والحزب الوطنى إلى القضاء العاجل ليحاكموا مع المتهمين !

إن المقالات النيئة الذليلة التي همست بها فرق الردح الحكومية الضاربة ، كانت تتحسس رأسها وقلمها وهي تشير إلى استعداء المجرمين الخونة لدول استعمارية كبرى على مصر ، وكانها تعاتب صديق حميما على طريقة (ما يصحش كدا يا عبده ؟) ، ولكنك تصاب بالذهول حين تراهم يسبون الإخوان المسلمين ، ويتملقون المتمردين الطائفيين بمنتهى الوقاحة والبجاحة ، ولعل في النموذج التالي الذي قدمه كاتب سلطة يكشف هذه المفارقة المهينة . يقول بوق السلطة :

* سألني صديق ما الفرق بين المرشد السابع "عاكف" والمرشد "الثامن" بديع؟ قلت له شهاب الدين "..." من أخيه![النقاط تشير إلى كلمة شعبية بذيئة].

* الأنبا كيرلس أسقف نجع حمادي والنائبة جورجيت قلليني ينتميان لنفس الدين.. لكن

الأول يتحدث بمسئولية وعقلانية.. والثانية تتكلم بتطرف وعشوائية!

ثم لنا أن نتامل بعدئذ أن الكاتب ذاته يشير في المقالة ذاتها إلى مهنة مرشد الإخوان بوصفه أستاذا في الطب البيطري ، وأنه لن يعالج الإخوان – أي إن الإخوان .... [تشبيه بذيء أيضا] هل هناك تدن أكثر من هذا ؟ إن الخلاف السياسي والفكري لا يسوغ النزول إلى مثل هذا المستوى من الكتابة ، ولكنه يعبر عن حالة من المهانة الذليلة أمام التمرد الطائفي الخائن ، وجرأة وقحة على أخوة الإسلام وأعلبيته الساحقة بوصف المسلمين في عرف السلطة ذات القبضة الفولاذية تغضي حياء أمام التمرد الطائفي ، وتعبر عن نفسها بمنتهى القوة والقسوة أمام المسلمين الذين لا ظهر لهم في الداخل أو الخارج ؟

نحن نريد من هذه القبضة الفولاذية القاسية على المسلمين أن تقف بشيء من الحزم مع الخونة الطائفيين الذين استعدوا الخارج على مصروالذين يطالبون بتغيير هوية مصر الإسلامية واستبدال اللغة العربية ، وتحريم الإسلام على المسلمين ، والذين يسبون رئيس الولة سبا مقذعا ويطالبون بتقديم رموز الدولة إلى محكمة العدل الدولية ن ووصلت الوقاخة ببعضهم إلى جمع التبرعات من المصريين في صحيفة مصرية تصدر في قلب القاهرة لإقامة دعاوى ضد المسئولين المصريين امام المحاكم الأوربية ، وفي كل الأحوال فإن تطبيق القانون على الجميع ضرورة تفرضها هيبة النظام إن كان ما زال حريصا على هيبته ومكانته .

***

أبناء الحركة الإسلامية

إن شاء الله تعالى ، ستنهض مصر العربية المسلمة من كبوتها ، وستنتصر على القهر والظلم والجبروت ، وستحقق العدل والحرية والكرامة ، وستمضي شامخة عزيزة أبية بين العالمين ، وذلك بفضل الله جل وعلا ؛ ثم بفضل شبابها المؤمن الصابر الذي يتعلم ويعمل بلا كلل ولا ملل ؛ نصرة لدينه ووطنه وأمته ، ولا يعبأ بحجم التضحيات والبذل والعطاء ، ويحتسب كل نقطة عرق في سبيل الله ، وكل لحظة جهاد عند الله " إن أجري إلا على الله " .

ومن ثم ؛ فإني لا أرى مسوغا لحالة الإحباط التي أصابت جموع الشباب خاصة والشعب المصري عامة ، عقب الجريمة التي ارتكبها حزب السلطة فيما سماه الانتخابات التشريعية التي جرت مؤخرا ، وأسقط فيها القانون والعرف والأخلاق ، واستخدم البلطجة والعنف والتزوير وشراء الأصوات وتقفيل اللجان ، والضحك على بعض الأحزاب الورقية لتدخل الانتخابات وتذيع فيلم " طيور الظلام " دعما لصفقاتها معه ، ثم الغدر بها بعد أن وعدها ببعض المقاعد ولم يف بوعده ، والاعتماد على كلاب الحراسة التي تنبح بالباطل ، وتقلب الحقائق ، وتشهّر بالشرفاء ، في سبيل الفتات الذي تتلقاه من عرق الشعب المصري البائس وأمواله ..

الشباب والشعب يعلمون أن الانحياز إلى حزب السلطة ذو فوائد عديدة ، مادية ومعنوية ، أموال وأرصدة وأراض ، ووظائف ومناصب وامتيازات بلا حساب في كل المجالات وحصانة برلمانية ورضا أجهزة الأمن ، وشهرة إعلامية ، و علاج على نفقة الدولة ، وسيارات فاخرة وبودي جارد وحفلات وأضواء ...إلخ.

أما الانحياز للإسلام فهو مكلف ، وله ثمن غال ، بدءا من الحرمان من التجنيد وجنة الحكومة ووظائفها وكلياتها العسكرية والشرطية والسلك القضائي ، حتى الصحافة والإعلام والجامعة والتعليم والمؤسسات الأخرى ، ثم المطاردة والملاحقة والمراقبة والاعتقال والمحاكمة أمام المحاكم العسكرية والاستثنائية بالتهمة الشهيرة المضحكة : تشكيل تنظيم سياسي غير مشروع ومحاولة قلب نظام الحكم ، وكأن الحكم مجرد حلة مملوءة بالماء يقوم الشخص أو مجموعة الأشخاص بقلبها على السائرين ، وكأنه ليس هناك جيوش جرارة من المدفعية والمدرعات والطائرات والصاعقة والمظلات تدك شعبا بأكمله إذا فكر في الانقلاب على السلطة ، ناهيك عن جيش الأمن الداخلي الذي يفوق الجيوش النظامية ، وجيش الكذبة والمنافقين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ من الخدم والمرتزقة المعادين لله وللإسلام وللمسلمين !

الانحياز للسلطة يؤمن صاحبه من الحساب والعقاب ، فيسرق بالقانون ، ويفسق بالقانون ، ويزوّر بالقانون ، وينهب ويظلم ويكذب بالقانون ، ويغتني ويشتهر ويلمع

بالقانون ، لأن قانون الغابة هو سيد الموقف، وهو قانون حزب السلطة الذي لا يمكن إسقاطه ..
يكفي أن العالم كله شهد على تزوير الانتخابات التشريعية ، وخرج مسئول كبير ليقول إنها كانت انتخابات نموذجية ! وعندما سئل عن التزوير وشراء الأصوات والبلطجة وتقفيل اللجان وتسويد الأوراق قال إنها تجاوزات فردية ، وحين سئل عن مقاطعة بعض القوى لانتخابات الإعادة قال : إنها سلبية ، وعندما قيل له إن المظلومين في الانتخابات كثر ، قال : على المظلوم أن يلجأ إلى القانون . ونسي المذكور أن سيد قراره (المزوّر) هو القانون والمرجع والحكم !
لا تبتئسوا يا شباب الأمة ، ولا يدفعنكم قهر السلطة الغشوم إلى الإحباط أو رد الفعل العنيف ؛ فالعنف لا يحل مشكلة بل يعقدها ، واليأس ليس من أخلاق الإسلام ، والمسلم الحق هو الذي يعلو فوق الجراح ، ويقاوم ، ويجاهد ويصنع المستقبل .
إن هدف الأشرار هو الإسلام ؛ يريدون محوه والقضاء عليه ، و لا يريدون له أثرا في الحياة أو المجتمع أو النفوس ، وحين يقف مسئول كبير يقول إن الدستور يمنع تكوين أحزاب مرجعيتها دينية ؛ فإنه يضحك على نفسه قبل أن يضحك على الناس ، لأن المادة الأولى والمادة الثانية في الدستور الذي صنعه حزب السلطة تؤكدان أن مصر إسلامية الدين والحضارة ، وهو ما يعني أن كل شيء فيها يجب أن يتم وفقا لمنظور الإسلام ومفاهيمه وتصوراته ولو كان حزبا سياسيا ، والحزب الذي يدعو إلى ما يناقض الإسلام يجب إلغاؤه ومحاسبة قادته وفقا للدستور !
ويجب أن نعترف أيها الأحبة أن النظام البوليسي الفاشي الذي يحكم مصر منذ ستين عاما قد نجح في تفريغ أجيال مصر من الإسلام ، مما جعلها في مؤخرة العالم ، وأصبحت لا تتقن إلا فن الحصول على الأصفار ، صفر المونديال ، صفر اليونسكو ، صفر الانبطاح ، صفر الإنتاج ، صفر الخيبة الكبرى في العلم ، صفر الفشل الذريع في التعليم ، صفر الغياب العظيم في السودان والعالم العربي وحوض نهر النيل ....
بينما دولة عربية صغيرة مثل قطر استطاعت أن تحصل على تنظيم المونديال من أول مرة ، وأن يكون لها حضور ونجاحات في لبنان والسودان واليمن وفلسطين ... وأن تشغل الدنيا بقناة الجزيرة !
المهمة الأولى الإستراتيجية لأبناء الحركة الإسلامية اليوم وإلى أن يشاء الله ، هي استعادة الإسلام بمفهومه الصحيح الفاعل والمتفاعل ، لبناء النفوس والقلوب والعقول والوطن والأمة . إن تربية الشباب تربية إسلامية في ظل غياب المسجد والمدرسة والجامعة والإعلام والكتاب وأجهزة التثقيف والترويح ، عن تقديم الإسلام بأصوله وثوابته وقيمه وتاريخه ، يمثل ضرورة عاجلة وأساسية ، لمواجهة الواقع المتردي الذي لا يعلم أفراده مفاهيم الحلال والحرام ، ليس بالدلالة الشرعية وحسب ، ولكن بالدلالة الحضارية أيضا .
وهذا الأمر يقتضي مزيدا من الصبر والتضحيات والنزول إلى الناس في الشارع والمدرسة والجامعة ، والوسائط الممكنة التي توصل صوت الإسلام وتعرف به ، وتحوله إلى سلوك أو قرآن يمشي على الأرض .

إن أشرار العالم يصرون على حذف الإسلام من الوجود ، ويصطنعون لذلك نخبا فاسدة ، تعتر من هويتها وأوطانها ولغتها ودينها وثقافتها ، ويمنحونها في المقابل ، شهرة وسلطة وسطوة وجوائز ومغانم ، حتى صار الهجوم على الإسلام ، وسب الإسلاميين طريقا إلى الوصول ، و"سبّوبة " للغنى والثراء الحرام ، وهذا يفرض على شباب الإسلام ودعاته ومفكريه ومثقفيه أن يتفاعلوا ، أو يبذلوا المزيد من التفاعل مع هموم الناس ومشكلاتهم ومواجهتها بالمفهوم الإسلامي الذي يحبذ العدل ، ويحيي التضامن الاجتماعي، ويصنع الحلول الممكنة والمبدعة التي تكون عزاء للناس في ظل السلطة الأنانية المستحوذة على خيرات الوطن وإمكاناته لحسابها وحساب أتباعها من العبيد وكهنة آمون !

ولعل في تجربة أتباع سعيد النورسي في تركيا نموذجا يحتذي ، حيث ضمت الملايين من الشباب والشيوخ ، من الرجال والنساء ، وصنعت قاعدة شعبية على امتداد قرن من الزمان ؛ تملك الإرادة واليقين ، وتقوم بإزهار الشجرة من جذورها وليس من فروعها ، وقد عملت على بناء البشر قبل الحجر ، فأثمرت في أيامنا حالة من العمل المنظم المثمر الذي شعر به الناس على أرض الواقع ،وقدم للدنيا حكومة عالجت الخلل الشنيع الذي صنعته العلمانية الكافرة التي لم تبال بالإنسان ولا الحيوان ، وتنكرت للإسلام ، وعلقت علماءه على المشانق في شتى أرجاء تركيا ، وحرمت اللغة العربية ، وأعلنت تبعيتها الصريحة والكاملة لدول الإجرام الاستعماري الصليبي .

وليس من المعقول أن تنبري بعض الفصائل الإسلامية لمهاجمة بعضها الآخر ، والنفخ في قراب الخصومة واللدد ، والانحياز إلى السلطة البوليسية الفاشية ، بسبب بعض الخلافات المحتملة فقهيا أو حركيا . فالعدو الذي يريد محو الإسلام لا يفرق بين مسلم ينتمي إلى حركة ما أو تنظيم ما أو حزب ما أو جماعة ما . إنه يضع كل المسلمين حتى من يدعون منهم الليبرالية والعلمانية والماركسية في سلة واحدة ، يسعي لنسفها وتحويلها إلى رماد .. فهو عدو فاجر لا يعرف الرحمة ، ولا يقبل بالتسامح ، وكذلك أتباعه وأعوانه ممن يحملون أسماء إسلامية ويسرقون الأوطان والشعوب ، ويسلبونها حريتها وكرامتها ومستقبلها .

إن خدمة الإسلام لا تعني منصبا أو وظيفة أو جاها أو فرضا لرؤية ذاتية معينة ، والذين يتصورون أن الحركة الإسلامية فيها مغانم دنيوية فعليهم أن يذهبوا إلى حزب السلطة ففيه حصانة وأموال وامتيازات ، غير مشروعة ، ولكنها تشبع الطامحين إلى الدنيا !

***

خلق الأزمات والإدارة الفاشلة !

لـو أن الحكومـة المصـرية تملـك حـدا أدنـى مـن الإرادة والـوعي بمصـالح الشـعب ، لتجنبت صنع أزمـات ليسـت بحاجـة إليهـا ولا تقدر علـى حلهـا ، ولاختـارت لحـل هذه الأزمـات رجـالا أكفـاء ، يقللـون إلـى حـد كبيـر مـن الخسـائر التـي أصـابت سـمعتها ، ومكانتها في الداخل والخارج .
لكن يبدو والله أعلم أن هناك من لا يريد بمصر خيرا ، ولابأهلها ، ويحـرص علـى أن يسمم حياتهـا ويضـعها بـين شـقي الرحـي ، رضـا الغريـب ، وسـخط القريـب ، وهـذه ماساة بكل المقاييس أن يرضـى عنك أعداؤك ، ويغضـب عليك أهلك وأشقاؤك.. ولكن هكذا سارت الأمور في مصرنا العزيزة ..
في المباراة النكدة بين فريقي كرة القدم في مصر والجزائر ، دفعت مصر بأبنائها لمهانة غير مقبولة بسبب تراخي السلطة في حمايتهم ، أوقل عدم رغبتها في حمايتهم ، فدفعت بهم إلـى السـودان ، وهـي تعلم أنهم سيتعرضـون للمهانـة والأذي ، وتـركتهم لمصيرهم المأساوي ، وخرج وزير الخارجية الموقر ، ليقول كلاما سقيما لا معنى لـه ، ويتحدث عن خيارات كانت مطروحـة ، بالانسحاب من المبـاراة ، أو قصـرها علـى الفـريقين أو تـرك الجمهـور يـذهب لمشـاهدتها ، وكـان الخيـار الصـحيح ألا يـذهب الجمهـور ، ولكـن السـلطة تركتـه يـذهب ليلقـى مصـيره المهـين ، وتكتفـي بالسـادة المشخصياتية والعوالم والغوازي والأميين من معلقي الكرة ، ليظهروا علـى شاشـات التلفزة ، وبعضـهم راح يبكـي مثـل النسـاء ، وبعضـهم الآخـر راح يشـتم ويسـب شـعب الجزائر والعرب والعروبة ، ويجهر بالفرعنة والشعوبية ، وتتحول مصر على أيديهم إلى مجرد واحدة من جمهوريات الموز لا قيمة لها ولا هيبة ، ويترتب على ذلك أزمـة عميقة بين الشعبين ، والحكومتين ، لم تنته حتى يومنا هذا ، ومـا كـان أغنانـا عن ذلك كلـه لـو انسحبنا مـن هذه المبـاراة – مثلمـا فعلت جمهوريـة توجـو مؤخرا فـي لقـاءات أنجـولا - التـي كنـا علـى ثقـة أننـا سنخسـرها لأسـباب واقعيـة تخـص فريقنـا المتعـب، ووفرنـا علـى أنفسنا المهانة والهزيمة والأزمة الدبلوماسية والشعبية جميعا !
في قافلة شريان الحياة ٣ التي قادها الناشط البريطاني جورج حالاوي مع نشطاء من أربعين دولة لمناصرة أهل غزة ومساعدتهم ، اتخذت الحكومة المصرية موقفا غريبـا وعجيبـا من القاقلـة وأفرادها ، وفضـلت أن تضـيف إلـى هذا الموقـف موقفـا آخـر فـي الوقت ذاته بإنشاء ما يسمى الجدار الفولاذي علـى الحدود بين رفح المصـرية ورفـح الفلسطينية ، وفـي الموقـف الأول أرغمـت القافلـة علـى العـودة من نويبـع إلـى الأردن مـرة أخـرى والقـدوم إلـى العـريش بـالرجوع إلـى سـوريا والركـوب مـن اللاذقيـة عبـر

البحر المتوسط حتى ميناء العريش فالسير إلى معبر رفح ، ومع تدويخ الحملة ونشطائها وبعضهم تجاوز عمره الثمانين عاما ، والعالم كله يرصد ما يجري بالصوت والصورة ، كان التعسف في دخول الحملة إلى العريش وحدوث الصدامات التي جرت بين أفرادها وبين الأمن المصري ، وإصابة العشرات من الفريقين ،واستشهاد جندي مصري ، وانهيار سمعة مصر العربية المسلمة على مستوى العالم حيث هبطت إلى درك سحيق وخاصة لدى الشعوب الإسلامية

أما كان من الأولى حرصا على سمعة مصر ومكانتها أن تمنع مصر القافلة منذ بداية تحركها من أوربة حتى لا تعرض نفسها وسمعتها للهبوط أمام العالم بوصفها دولة عربية إسلامية جارة لفلسطين ، يفترض أن تقف إلى جانب الشعب الفسطيني ، وتتعاطف معه ، وتحدب عليه أكثر من غيرها من أمم الأرض ؟ هل يكون جالاوى الإنجليزي أو اليهود أصحاب الضمير أو غير العرب وغير المسلمين أكثر إنسانية من الحكومةالمصرية العربية المسلمة ؟

كان من الأوفق أن تقول لهم مصر إن الغزاة القتلة اليهود يرفضون أن أسمح بدخول قوافل الإغاثة ، ولو فعلت سيترتب على ذلك مشكلات خطيرة لا أتمكن أنا الحكومة المصرية الضعيفة المستسلمة من مواجهتها ، وعندئذ كان العالم كله سيتوجه بالنقمة إلى دولة الغزو النازي اليهودي ويتعاطف مع الحكومة المصرية ، ولكن القوم في بلادنا العريقة آثروا أن يوكلوا أمر القافلة إلى الجهات الأمنية أو البوليسية ، وتركوها تواجه القافلة بعقلية بيروقراطية لا تقدر العواقب ، ولا تدرك أبعاد الخسارة المعنوية والأدبية لمصر أمام الأشقاء العرب والمسلمين وأصحاب الضمير في العالم ..

وإذا كان الأمر انتهى إلى دخول القافلة إلى غزة فلماذا كانت المتاعب ووضع العقبات والمصاعب والاشتباكات ومنع بعضهم من الدخول ومصادرة بعض السيارات وتحويل حركة القافلة منذ وصولها إلى مصر حتى خروجها إلى مسلسل من الفضائح السياسية بامتياز ، ليحمل النشطاء أسوأ صورة عن مصر وجكومتها ، وينقلوها إلى بلدانهم بينما الكيان النازي اليهودي يزغرد في كمه ، فقد وجد من يقوم نيابة عنه بما يريد ، ويؤكد لمن يريد مساعدة شعب فلسطين في غزة أنه سيلقى الذل ألوانا ؟

لماذا لم تكن حكومتنا أذكي من العدو ؟

لنقرأ كتاب معالجة السلطة المصرية لموضوع الجدار العازل ، فهو لا يقل بؤسا عن كتاب القافلة ، فقد نشرت صحيفة صهيونية خبر إقامة الجدار الفولاذي ، ومضى على نشر الخبر أيام ولم تنف السلطة أو تؤكد ، وتركت المجال للتكهنات والتخرصات والأخذ والرد، وبعد أن أفاقت من النوم دفعت المتحدث باسم الخارجية ليقول كلاما مائعا يتحدث عن السيادة المصرية ! بعد الكلام عن السيادة قيل إن مايجري على الحدود ليس جدارا فولاذيا ولكنه إنشاءات هندسية .. وظهرأحد أعوان النظام على شاشة الجزيرة يحلف أن يعدم أولاده بأن ما يجري ليس جدارا ولكنه إنشاءات .. هزلت !

ولجأ النظام في إدارة الأزمة إلى فرق الردح الضاربة من كتاب السلطة وأبواق الفضائيات والإذاعة ، وراحت مذيعة مثل (شاويش نوبتجي) تفكر بلسانها وتفرش

الملاءة لحماس ، وتهجو الفلسطينيين ، وترحب بالفتى دحلان صوت العقل الفسطيني ، وحبيب الجنرال دايتون ، والجنرال آفي دختر وغيرهما من أصدقائنا (الجدد!).
إدارة أزمة الجدار ، وأزمة القافلة من قبلها ، والأزمات السابقة عليهما ، تؤكد أن القوم لا يعنيهم أمر البلد ، ولا يستخدمون عقولهم من أجل العمل السليم والتصرف الصحيح ، ولكنهم يفضلون القبضة الحديدية ، والعصا الغليظة ، والأبواق الرداحة التي لا تملك منطقا ولا برهانا ولاحجة مقبولة ؟
وكان على الناس أن يطرحوا أسئلة عديدة من قبيل : إذا كان اليهود القتلة النازيون يسمح لهم بزيارة قبر أبى حصيرة بدمنهور، فيرقصون ويسكرون ويفجرون على الأرض المصرية الطاهرة ، وتقوم السلطة بحمايتهم بآلاف الجنود والأجهزة ، وتنفق على هذه الحماية عشرات الألوف من عرق الشعب المصري البائس الفقير.. فلماذالايسمح للقافلة بدخول غزة في هدوء ليروا ما فعله القتلة النازيون اليهود من قتل ودمار وخراب ؟
وإذاكانت مصر تسمح للصهاينة القتلة بالدخول إلى جنوب سيناء بدون تأشيرة ليرتعوا ويلعبوا ويعربدوا على شواطئ خليج العقبة دون أن ينفقوا ما يعادل قيمة حمايتهم .. أفلا يكون من باب أولى ان نسمح للغزاويين بدخول العريش والحصول على احتياجاتهم الأساسية ولو بضعف ثمنها دون أن ننفق عليهم مليما واحدا لحمايتهم ؟
هل صار دور الحكومة المصرية حماية الكيان اليهودي الغاصب بخنق قطاع غزة وقتل أهلها جوعا ، ويخرج العجائز المتصابون ليقولوا إن تجارة الأنفاق تدر الملايين على قيادات حماس ؟
لقد رأى العالم كله أن مصر العربية المسلمة صارت أشد قسوة على أشقائها من الأعداء ، وأن الدور المصري صار خاضعا للإرادة الصهيونية المجرمة بدليل أن الاستباحة لسيادة مصر من جانب اليهود الغزاة لا تثير أية حساسية لدى الإدارة المصرية ، ولاتمثل أية معضلة لدى فرق الردح الضاربة فى الإعلام والصحافة والإذاعة ، وأن هذه الفرق لا تتحدث أبدا عن كسر رجل اليهود الذين يقتلون الجنود المصريين ويستبيحون السيادة المصرية بالطيران والرصاص وغير ذلك !
لقد اقترحت من قبل أن يتدرب وزير الخارجية المصري على يد وزير الخارجية التركي الذي ينصف بلاده دون أن تتحرك الجيوش والقوات المسلحة التركية ، ولكني نسيت أن الأول يسير دائما بصحبة مدير المخابرات ، مما يعني أنه لايملك من أمره شيئا ، وبالتالي فإن المتحدث باسمه لايعرف ما ذا يجري ، ولا كيف يتناوله ؟
هل هناك في السلطة المصرية من يدرك قيمة مصر ودورها ؟

***

حرب بالوكالة .. تدمير باكستان

في ٣٠/١٠/٢٠٠٩م وفي تكتم شديد، اجتمعت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في إسلام أباد مع زعماء القبائل الباكستانية، في منطقة الحدود الشمالية مع أفغانستان (نحو ١٢٠ شخصا) جميعهم من منطقة القبائل في وزيرستان، لبحث إمكان التعاون للحد من تأثير طالبان في تلك المنطقة. حيث تقوم القوات الباكستانية بهجوم عسكري واسع النطاق، للقضاء علي نفوذ طالبان الباكستانية هناك .
ويأتي هذا الاجتماع بعد يومين من إعلان وزيرة الخارجية الأمريكية فور وصولها لإسلام آباد ، استعداد بلادها للتعامل مع عناصر طالبان الأقل تشددا ، مؤكدة أن واشنطن تسعي لفصل قادة طالبان عن العناصر التابعة أو المؤيدة لها، وأن من حمل السلاح في وقت من الأوقات ليس بالضرورة عنصرا من عناصر طالبان. وقد تولت السفارة الأمريكية كما تقول الأهرام ٣١/١٠/٢٠٠٩م ؛ تنظيم اللقاء بعيدا عن الجهات الباكستانية الرسمية .

وقال زعماء المقاطعات القبلية الباكستانية على الحدود الأفغانية لوزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون : إن القصف الجوي يولد الكراهية، وإن استخدام القوة ليس سبيلاً لحل المشكلات.. وأكد الوفد لكلينتون أن القبليين ليسوا إرهابيين .ومن جانبها، قالت كلينتون إن بلادها ستواصل تعاونها مع باكستان في حربها ضد الإرهاب (!) ، وأضافت أن الروابط بين إسلام آباد وواشنطن لا تنحصر فقط بتلك الحرب وبقضايا الأمن بل إن واشنطن تريد علاقة طويلة الأمد ومستمرة مع باكستان.وأفادت الوكالة أن كلينتون حضرت أيضاً عرضاً ثقافياً في المجلس الوطني الباكستاني وذلك تحت حراسة أمنية مشددة، وبعدها التقت مع وفود من المفكرين ومن المجتمع المدني والنساء وناقشت معهم مسألة تطوير القطاع الاجتماعي..
وواضح أن الولايات المتحدة بعد فشلها الكبير ، وهزيمتها المتوقعة في أفغانستان تحاول أن تضرب عصفورين بحجر ، الأول تسخير الجيش الباكستاني المسلم لقتال فريق من الشعب الباكستاني المسلم في وزيرستان ؛ اعتقادا منها أن قبائل المنطقة تساند طالبان أفغانستان في مواجهة الجيش الأميركي وحلف الناتو الذي يحارب هناك منذ ثماني سنوات تقريبا ولم ينتصر .
وبالطبع فاللعبة السهلة هي إطلاق تهمة الإرهاب على كل من يقاوم الغزو الاستعماري الصليبي أو الصهيوني ، وقد وُصف المجاهدون الأفغان بالإرهاب ، كما وصف المجاهدون الباكستانيون في وزيرستان بالإرهابيين ، وكما يوصف المجاهدون في فلسطين بالإرهاب ، أو المليشيات الإرهابية ، وللأسف فإن بعض المحللين العرب والمسلمين ينزلقون وراء التوصيف الاستعماري الكاذب ويصفون المسلمين في هذه المناطق بالتشدد ، أو يقولون إن هذه المناطق تتبع تدينا متشددا ، وكأن الاستسلام للعدو الاستعماري الصليبي أو الصهيوني هو قمة التحضر التي تدل على الإسلام الصحيح ، والأمر فيما أتصور يقتضي مراجعة من كتابنا ومحللينا في استخدام المصطلحات التي تروجها المؤسسة الاستعمارية الغربية الصهيونية . إن مقاومة المحتل الغاصب فرض على المسلمين لا يسقط عن الأمة ،وإذا لم تقم به فهي آثمة شرعا .
إن المسلمين لم يحتلوا دول الناتو أو يستعمروها حتى يحاربهم الناتو ويقصف بيوتهم ويقتل عشرات الألوف بل مئات الألوف منهم بلا ذنب ولا جريرة ، ويخرب مدارسهم ومستشفياتهم

ومساجدهم ،وينهب ثرواتهم ، ويسرق تراثهم ، والأمثلة واضحة في أفغانستان والعراق وفلسطين ، وها هي الباكستان على الطريق ذاته ، ولكن هذه المرة يتم تجييش الجيش الباكستاني نفسه ليقضي على شعبه بحجة مقاومة الإرهاب .
الأمر الآخر هو تفتيت باكستان التي تملك سلاحا نوويا ، حتى تطمئن الدولة الصهيونية الغاصبة في فلسطين ، وأيضا الحليفة الهندية ، وتسقط دولة إسلامية يمكن أن تكون شوكة في جنب المؤسسة الاستعمارية الصليبية الصهيونية ،وهي تغتال مناطق أخرى في العالم العربي أو الإسلامي ، وخاصة إيران التي يبدو أنها تمثل هاجسا حقيقيا وقلقا ملحوظا للولايات المتحدة والصهيونية العالمية في تطلعها إلى بناء قوة نووية ، بعد أن أقامت قوة عسكرية ليست بسيطة .
إن تفتيت باكستان يعني صراعا عرقيا طويل المدى بين البلوش والأوزبك والفرس والطاجيك وغيرهم . وهو ما ينعش آمال الأميركان والصهاينة في الوجود الدائم بالمنطقة وضمان سلامة دولة الغزو النازي اليهودي ، واستمرارها بلا متاعب بعد استسلام العرب وخضوعهم الذليل ، بل ومساعدتهم في تأمين الكيان الصهيوني وحمايته ، ومحاصرة الفلسطينيين الذين يمكن أن يزعجوه!
إن الجيش الباكستاني الذي كان دائما حصنا لإسلامية باكستان ، بل أفغانستان ؛ صار اليوم أداة في يد الأميركان عن طريق آصف زرداي – زوج بي نظير بوتو الراحلة – لتمزيق باكستان وربما أفغانستان ، وإذلال المسلمين فيهما .
إن الهجوم الراهن للجيش لباكستاني على وزيرستان ضم ثلاثين ألف جندي ميدانيا مدعوما بالطائرات المقاتلة والمروحيات الهجومية والمدفعية . وعلى الأرض تبدو المنطقة مهجورة بعد أن فر سكانها المائتي ألف من المعارك.
ومع ذلك ففي اليوم الثالث عشر من الهجوم البري على طالبان في مقاطعة وزيرستان الجنوبية القبلية استغرب أحد الجنود أن يكون المسلحون مجهزون بأحدث المستلزمات لتضليل الاتصالات والتواصل بالانترنت عبر الأقمار الصناعية !
وإذا ربطنا ذلك بالخيبة الكبرى التي عاشتها القوات الأميركية مؤخرا أدركنا لماذا هرعت هيلاري كلينتون لتدعم آصف زرداي في حربه بالوكالة عنها ضد شعبه وقومه .
إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما يقف الآن عاجزا أمام الخسارة الكبيرة التي تكبدها جيشه بعد تحطم مروحيتين أمريكيتين أسفر عن مقتل أربعة عشر جنديا أمريكيا ، وثلاثة مدنيين آخرين. لقد أصبح الرئيس الأميركي مترددا في إرسال قوات أمريكية إضافية إلى أفغانستان كما لوح له بعض الجنرالات الأميركيين هناك ، وربما يتذكركما يقول بعض المعلقين تجربة ثوار الفيتكونغ الفيتناميين الذين كانوا يستبشرون أكثر كلما سمعوا أخبار زيادة عدد قوات الأمريكيين في فيتنام، فزيادة عدد القوات يعني توفر الفرص بشكل أكبر وأسرع لضرب أكبر عدد ممكن من الجنود المنتشرين وهذا ما سيؤدي إلى زيادة الخسائر الجسيمة وتكبد المزيد من الانتقادات والضغوطات السياسية والشعبية .
إن أميركا تسعى لتحقيق أهدافها الإستراتيجية ، وفي مقدمتها الأهداف الاقتصادية ، ويجب ألا نلومها على ذلك بل ينبغي أن يلوم المسلمون أنفسهم أولا حين يسمحون لها بتحقيق هذه الأهداف ، ويقتنعون بما يقوله الغزاة الصليبيون ويطرحونه من أسباب ماكرة وخادعة ليقتل المسلم أخاه ، ويدمر وطنه ويقتل شعبه ويضع أهله في دائرة الذل والهوان ، ويساعد على النيل من مسلمين آخرين خارج وطنه لا ذنب لهم إلا أنهم مسلمون يملكون الثروات أو المواقع الإستراتيجية أو التراث الإنساني الذي لا يملكه الغزاة الهمج .
وأظن أن الشعب المسلم في باكستان سيدرك عاجلا أو آجلا قيمة إسلامه ووطنه ، وسيفطن إلى تدبير الغزاة الهمج ، ويستعيد سيرته الأولى يوم أنشئت باكستان عل يد محمد إقبال شاعر الإسلام العظيم في القرن العشرين ، والقائد الكبير محمد على جناح .
***

الفارس الصليبي واستئصال الإسلام

في غمرة الأحداث السيئة التي تمر بها الأمة عبر خبر مهم لم يتوقف عنده أحد ، وإن كان يخصنا بصورة قوية ، ويكشف ماذا يفعل عدونا لإذلالنا ، واستئصال ديننا وهويتنا .
الخبر يتعلق بقضية رفعها بعض العراقيين في الولايات الأميركية المتحدة ضد شركة الخدمات الأمنية الشهيرة بلاك ووتر التي تعمل في العراق، وتقوم بمهمة الحماية والحراسة لموظفي الولايات المتحدة الذين يعملون في وزارة الخارجية الأميركية أو الجيش الأميركي ، ويقومون بتوريد الأجهزة والمعدات التي تحتاجها هذه الجهة أو تلك .
كان أفراد من الشركة قد اتهموا بقتل ١٧ عراقيا من المدنيين مع التمثيل بجثثهم ، وذلك بميدان النسور في بغداد بتاريخ ١٦يولية ٢٠٠٧م دون أن يقترف العراقيون المدنيون أي ذنب أو جريمة . يومها تحدثت بعض الأنباء عن المذبحة البشعة ، وبعد قليل طويت أوراق المذبحة ، وذهبت إلى أدراج النسيان ، في ظل تراكم المذابح العراقية التي تجري للعراقيين مع مطلع كل شمس على يد الغزاة الاستعماريين الصليبيين ، أو بمعرفة عملائهم المعلنين أو المستترين .
ويبدو أن بعض العراقيين ممن لم يفقدوا الأمل بعد ، ما زالوا يحملون آلامهم وجراحهم ويطوفون بها العالم بحثا عن دواء أو شفاء ، لعلهم يجدونه هنا أو هناك من خلال إدانة المجرمين أو رد اعتبارهم بلغة القانون ، بعد أن تعرضوا لثاني هجمة تترية وحشية في التاريخ . وكانت القضية في الولايات المتحدة وسيلة من وسائل البحث عن علاج في غابة الوحشية الاستعمارية الصليبية التي سخرت القوة والإعلام والقضاء والصحافة والعملاء لخدمتها في كل مكان ، والتغطية على آلام المظلومين والمضطهدين والمقهورين من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه.
ما يحاول بعض الناس تجاهله ، أو طمسه ، هو انطلاق هؤلاء القتلة في بلاك ووتر من تصور صليبي دموي أحمق لا علاقة له برسالة المسيح عليه السلام ولا أخلاقه ولا قيمه ، أنهم يقومون فيما يتصورون بمهمة مقدسة لخدمة الرب تتعلق بتصفية المسلمين الكفار وقتلهم ، وهي الفكرة ذاتها التي حركت جيوش الهمج الهامج في الحروب الصليبية الأولى وقادها الراهب بطرس الحافي ووصلت إلى القدس عام ١٠٩٥م ، وكانت مهمتها المعلنة تخليص بيت الرب (القدس) من يد المسلمين الكفار ، وتحرير مهد المسيح عليه السلام من الحكم الإسلامي !
ومع أن الصليبيين القدامى أهرقوا كثيرا من الدماء البريئة للمسلمين وغيرهم ، لدرجة أنه لم يسلم من أذاهم بعض المسيحيين في بيزنطة وجنوب إيطاليا في الحملة الثالثة ، حيث تعرضوا للقتل والنهب والاغتصاب باسم المسيح عليه السلام – فإن بلاك ووتر يعدون أنفسهم من فرسان المعبد الذين يخدمون المسيح ، والرب ، ويقومون بخدمة جليلة للتقرب إليه [فرسان المعبد الدمويون المتوحشون لهم حتى الآن ؛ سفارة في القاهرة معتمدة ،ولهم سفير له حصانة الدبلوماسيين ، وامتيازات السفراء الآخرين ، مع أن دولة فرسان المعبد جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط تعشش فيها المافيا وعصابات الرقيق الأبيض والمخدرات !] .
قالت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٧ – ٨ – ٢٠٠٩م :

فجرت محاكمة إريك برينس من مؤسسة شركة بلاك ووتر الأمريكية الخاصة للأمن مفاجآت صاعقة ، فلم تقتصر الاتهامات الموجهة إليه علي القتل ، وتهريب السلاح ، والقتل المتعمد للمدنيين، حيث أضاف اثنان من العاملين السابقين في الشركة أن برينس قتل وسهل قتل أشخاص كانوا يتعاونون مع المحققين الفيدراليين الأمريكيين الذين كانوا يحققون في جرائم وتجاوزات الشركة. وأكدا أيضا أن برينس اعتبر نفسه فارسا صليبيا مهمته الرئيسية تخليص العالم من المسلمين والإسلام.
واتهما الشركة بتشجيع ومكافأة كل من يقتل عراقيا، وأنها تعاملت مع العراقيين بازدراء، واستخدمت ألفاظا عنصرية تحط من قدرهم. وأضاف الشاهدان أن مسئولي الشركة كانوا يعلنون أمام الجميع أنهم ذاهبون إلي العراق لقتل العراقيين، واعتبار ذلك شكلا من أشكال الترفيه. كما أكدا أن برينس كان حريصا علي تعيين أشخاص يؤمنون بأفكاره للعمل بالعراق، حيث يؤمنون بتفوق المسيحية وينتهزون كل فرصة ممكنة لقتل العراقيين. وكانوا يعتبرون أنفسهم فرسان المعبد؛ المحاربين الذين يشاركون في الحملات الصليبية.
ما قالته الأهرام خطير للغاية ويعنينا بالدرجة الأولى لأنه يشير إلى نمط من التفكير أو السلوك لا يعلن عن نفسه غالبا وإن كنا نرى تطبيقاته على الأرض حية وماثلة أمام أعيننا في قتل عشرات الألوف من المسلمين في حروب واعتداءات لا تتوقف ، بذرائع مختلقة وواهية ، ولكن ما نسمعه عادة من المسئولين الأميركيين ، والإعلام الأميركي هو كلام معسول عن الحرية والعدل وحقوق الإنسان ، بينما الجيش الأميركي وبقية الجيوش الصليبية الغازية تسحق كل ما في طريقها من حجر وبشر يمت إلى عالم المسلمين ، وهاهي شركة بلاك ووتر التي تعتمد عليها الخارجية الأميركية والجيش الأميركي تقدم مثالا تطبيقيا حيا ، وتتحرك من خلال فلسفة صليبية صريحة ، لا يخافت بها المسئولون عن الشركة أو من يعملون فيها ..
إنهم يؤمنون بتفوق المسيحية ، وبرغبتهم العارمة في القضاء على الإسلام والمسلمين وتخليص العالم منهما ، ثم إن المتهم إريك برينس يعد نفسه فارسا صليبيا ، مما يعني أن الرجل يتحرك في إطار مهمة دينية يجب أن يكافأ عليها بدلا من تجريمه ومعاقبته .. في الوقت الذي يعمل فيه مجموعة من النخب العربية على إلغاء الجهاد وتحرير الأوطان ومقاومة الغزاة ، ويعدون ذلك - مثل سادتهم الأميركان - إرهابا وتطرفا ووحشية !
لقد قامت الشركة بعمليات تهريب أسلحة إلي العراق بصورة غير قانونية عبر الطائرات الخاصة بها، و جنت أرباحا طائلة من وراء ذلك.
وقال احد الشاهدين اللذين أدليا في المحكمة إن الأسلحة المهربة كانت توضع في صناديق أطعمة الكلاب، وغالبا ما كان يتم تهريبها لداخل العراق علي متن الطائرة الخاصة برئيس الشركة، وأن العاملين ببلاك ووتر كانوا يستخدمون قذائف ومتفجرات محظورة دوليا لتحقيق أكبر قدر ممكن من الدمار بين العراقيين، بالإضافة إلي تهرب برينس من الضرائب. كما أشار الشاهدان إلي أن العاملين بالشركة كانوا يتفاخرون بإراقة دماء المدنيين العراقيين ويتعاطون المنشطات، ناهيك عن استغلالهم للأطفال في أنشطة الدعارة. واتهما رئيس الشركة وكبار المديرين التنفيذيين بتدمير أشرطة فيديو ورسائل الكترونية ووثائق أخري تدينهم وأنهم تعمدوا خداع وزارة الخارجية الأمريكية والهيئات الفيدرالية الأخرى.
وهذه الشهادة التي قدمها الشاهدان تفضح الفكر الصليبي الاستعماري الوحشي الذي يحركه التعصب ، ويشعله الاستعلاء العنصري في التسلي بقتل العراقيين وإهدار دمائهم عن طريق استخدام السلاح المحظور أو توريد السلاح للجهات التي لا تنتعش إلا في الشر وممارسته ، ونحن مشغولون بالحديث عن الإرهاب الإسلامي !
لا أظن أن الأمة بحاجة إلى كثير من الخداع أو المكر الذي تقوم به المؤسسة الاستعمارية الصليبية ، وعليها أن تحزم أمرها في مواجهة القتلة الصليبيين الغزاة الذين لا يرقبون في مسلم إلا ولا ذمة ، ولا يحفظون عهدا ولا ميثاقا ، ولا يراعون حرمة ولا قونا .. وهو ما يوجب أن يتعلم المسلمون أن القوة هي الدواء الناجع الذي يردع كل من تسول له نفسه أن يكون فارسا

صليبيا على حسابهم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عد الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ...) " الأنفال : ".

***

طعنة الخنجر .. وشبكة الحديد !

عقب فوزه بجائزة نوبل للسلام في أكتوبر ٢٠٠٩ م ، أصدر الرئيس الأميركي أوباما قراره بدعم القوات المقاتلة في أفغانستان المحتلة بخمسمائة مقاتل أميركي ، أي ما يقرب من كتيبتين لمواجهة قوات طالبان التي أنزلت بالأميركيين والمتحالفين معهم عددا كبيرا من الإصابات،بصورة لافتة .
كان المتوقع بعد فوز الرئيس الأميركي بجائزة نوبل للسلام أن يسحب بعض قواته على الأقل ، أو يشير إلى أنه سيسحب قواته كلها ، أملا في ترك الشعب الأفغاني المسلم الأسير ليرسم مصيره بيد أبنائه ، ويختار الطريق الذي يريده .. ولكن الرئيس الأميركي فضل أن يشعل المزيد من النار ، وأن يقتل المزيد من شعب الأفغان البائس الفقير ، وأن يصر على منهج القوة المتوحشة الذي اتبعه سلفه مجرم الحرب الصليبي جورج بوش الابن ، الذي ألقى بقواته وقوات المتحالفين معه من قوات المؤسسة الاستعمارية الصليبية في أتون حرب لا مسوغ لها اللهم إلا نهب ثروات الشعوب المطلة على بحر قزوين ، وخاصة البترول والغاز الطبيعي الموجودين في البر أو البحر .. دعك من السبب المريب المعلن ، وهو تفجيرات نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، فهذا السبب لو صح فرضا ، فإنه لا يسوغ قتل شعب أعزل آمن لا حول له ولا طول ، ولم يشارك الفاعلين أو يأمرهم بهذه التفجيرات .
ظن الناس أن الرئيس الأميركي الآتي من جذور غير بيضاء سيكون أكثر تعقلا وإنصافا ووعيا بطبيعة العلاقات بين الأمم والشعوب ، وبناء على كلامه المعسول ، تصور العالم أن الرجل سيحدث تغييرا ملموسا في السياسة الوحشية للولايات المتحدة التي ضربت عرض الحائط بالقانون الدولي ، ودمرت أفغانستان بطيرانها الحربي ، ونسفت المساجد والمدارس والمستشفيات والبيوت المتواضعة للأفغان البائسين ، وذهبت إلى العراق فأعادته إلى عصور ما وراء التاريخ لسبب كاذب وهو امتلاكه لأسلحة دمار شامل ، وأصلت الشعب الفلسطيني الأسير بنيران القوات النازية اليهودية التي تأتمر بأمرها وتتحرك بمشيئتها فقتلت ودمرت وقسمت الشعب بين فريقين أحدهما تابع للعدو الغازي القاتل ، وآخر محاصر يعاني القهر والجوع والبؤس ، وقصفت الشعب الصومالي وقتلت كثيرا من أبنائه دون ذنب أو جريرة اللهم إلا رغبة بعض أبنائه في تطبيق الشريعة الإسلامية ، وحرضت عليهم القيادة الصليبية في إثيوبيا لتحتل بلادهم وتصليهم نارا ، وتعصف بالأمل الذي كاد أن يتحقق بوحدة الصوماليين واستتباب الأمن بينهم ، كما حركت الخونة الذي شقوا الصف وتمردوا على شعوبهم في السودان ولبنان والعراق ومصر واليمن السعيد ..
الرئيس الأميركي جرد حملة عسكرية إرهابية ترافقت مع نيله جائزة نوبل للسلام (!) سماها " طعنة الخنجر " ضد الشعب الأفغاني المسلم ؛ قادها الجيش الأميركي والقوات المتحالفة معه ، فقصفت البيوت المتواضعة الآمنة ، وأزهقت عشرات الأرواح ، وأصابت المئات من الفقراء البسطاء ، ومع ذلك لم تستطع " طعنة الخنجر " أن تحقق هدفها ، ولم تتمكن من قهر المقاومة الشعبية الأفغانية التي تقودها طالبان باستبسال يصل إلى حد الشهادة . لقد قامت طالبان بحملة مضادة أسمتها " شبكة الحديد " ردا على " طعنة الخنجر " ، واستطاع الأفغان أن يوقعوا خسائر كبيرة بالحكومة العميلة والجيش الغازي الصليبي الذي لم يجد قادته بدا من الاعتراف بأن كسب الحرب في أفغانستان أمر صعب ، وفي الوقت ذاته راح البريطانيون يئنون من الخسائر التي حدثت لهم ويتوجعون ، وبدأ الحديث في عاصمة الضباب يكثر عن طبيعة الحرب في أفغانستان ومدى فاعليتها وجدواها وتأثيرها على الجيش والمجتمع في بريطانيا التي كانت عظمي ! ولم تقف كندا بعيدا عن الشكوى أيضا من خسائرها هناك!

لقد شكلت القنابل اليدوية الصنع التي يستخدمها مقاتلو طالبان منذ بداية ٢٠٠٩، السبب الأبرز للخسائر التي تلحق بصفوف القوات الاستعمارية الصليبية.. . وقال متحدث باسم حركة طالبان "نكبد دائماً القوات الأجنبية خسائر بهذه الطريقة (القنابل اليدوية الصنع).

ويبدو أن كثرة الخسائر دفعت بالقوات الاستعمارية الصليبية إلى محاولة تشويه سمعة طالبان ، حيث اتهمت الحركة أنها وراء قتل المدنيين ، وهو ما نفاه المتحدث باسم الحركة نفيا قاطعا ، حيث قال تعليقا على قتل ثلاثين مدنيا الصنع بحافلة في ولاية قندهار بينهم عشرة أطفال وسبع نساء و١٣ رجلاً بالإضافة إلى إصابة ٣٩ آخرين ، وقال المتحدث باسم طالبان : " إنهم يريدون إذاً تدمير سمعتنا عبر هذا الحادث. لكن شعب أفغانستان يعلم من قام بهذا العمل" .

يتجاهل العالم القصف الجوي الوحشي من قبل قوات الاحتلال الصليبية في الآونة الأخيرة علي الأهالي المدنيين في الولايات الشرقية من البلاد (نورستان وننجرهار) و استشهاد عشرات من أفراد الأفغان العزل ؛ وهو ما يكشف مدى عزم الصليبيين المحتلين في القتل العام للأفغان المسلمين ، كما يكشف عن مدى هوسهم وعجلتهم في هذا الفعل الوحشي الشنيع !

إن الصليبين الماكرين يبالغون في استخدام أحدث وسائل التكنولوجيا العصرية والتقدم العلمي والقتل بها من داخل أبراجهم الشيطانية إلى درجة تجعل بمقدورهم معرفة الفرق من أعلى المريخ بين الإنسان والخروف علي وجه الأرض، لكن هذا الطاغوت المتوحش المعادي للإسلام لم يتمكن في السنوات الثماني الماضية بغاراته الجوية وقاذفاته المتفوقة التي طالت الأبرياء والنساء والأطفال أن ينتصر على الشعب الأفغاني المسلم .

لقد اعترف مندوبو إدارة كابل العميلة بعد كل غارة جوية أن في هذه الغارة قتل الأهالي العزل من أفراد الشعب ، ومع ذلك يواصل الاستكبار العالمي وحشيته . ليس هدف المحتلين إضعاف المقاومة المسلحة في خنادق القتال وضربها بل قتل عامة الناس من الأهالي المدنيين ، والانتقام منهم لأنهم يرفعون نداءات الإسلام والحرية .

إن المآسي التي يعانيها الأفغان كثيرة ، ولكن الإعلام الاستعماري الصليبي لا يتناولها ولا يتكلم عنها ، وإن كان بعض أصحاب الضمير في الغرب لا يسكتون على جرائم المؤسسة الاستعمارية الصليبية ..

لقد أنتج الصحفي والمخرج السينمائي الاسكتلندي جيمي دوران فيلما وثائقيا عن مذبحة بشعة جرت لأسرى حرب من حركة طالبان وقعت العام الماضي(٢٠٠٨) . لقد استسلم ثمانية آلاف أسير من طالبان بضمان الحفاظ على أرواحهم بعد حصار قندوز. أرسل ٤٧٠ منهم إلى قلعة جانجي وكان بينهم الأمريكي المنتمي لحركة طالبان جون ووكر لند. وبالطبع كان تركيز وسائل الإعلام العالمية على الأميركي. ولم يهتم أحد على ما يبدو بالسؤال عما حدث للآخرين وعددهم ٧٥٠٠ أسير . وعمليا هناك ٤٥٠٠ مفقود ويعتقد أن ٣ آلاف شخص قتلوا. ويصور فيلم " مذبحة الأفغان.. قافلة الموت " حاويات أرسلت إلى سجن شبرقان في داخلها كثير من السجناء ماتوا بالفعل اختناقا في حين مات آخرون عندما أطلق جنود أفغان النار ببساطة على جوانب الحاويات وأقر أحد الشهود بإطلاق الرصاص على الحاويات وقتل أسرى. ما حدث بعد ذلك أنه بسبب المجزرة التي وقعت في سجن شبرقان تم فحص الجثث للتعرف على أصحابها وبعد ذلك طبقا لرواية شاهد آخر نصح جندي أميركي (الجنود الأفغان) بالتخلص من الحاويات إلى خارج السجن قبل أن تتمكن الأقمار الصناعية من التقاط الصور. وأخذت الحاويات بعدئذ إلى مكان يسمى دشت الليل وهي منطقة صحراوية تبعد عشر دقائق بالسيارة من السجن. وهناك تم إخراج القتلى والأحياء. ألقيت جثث الموتى في حفرة ضخمة أعدت لذلك بينما جرى تركيع الأحياء أمام الحفرة وأعدموا فورا وألقيت جثثهم مع الموتى !!!

وإذا كان الشعب الأفغاني المسلم يواجه الموت والمذابح الجماعية ، ولا يهتم به أحد في بلاد الإسلام ، فيكفي أن تذكر اسم طالبان ، حتى تنهض النخب الخائنة الموالية للغرب الاستعماري الصليبي ، والكارهة للإسلام ، وتسخر منك وتتهمك بالرجعية والتخلف ، بينما هم وسادتهم يركعون أذلاء مستسلمين لما تقوله المؤسسة الاستعمارية الصليبية ..

إن طالبان تقود اليوم الشعب الأفغاني ضد الغزاة المتوحشين وهاهي سنوات ثمان قد مضت دون أن يتمكن المجرمون الصليبيون من التمتع بالراحة على أرض الأفغان أو أرض الأسود التي حطمت من قبل إمبراطورتين عظميين هما بريطانيا والاتحاد السوفيتي .. وفي بلاد الإسلام لا تقرأ عن طالبان إلا ما يقوله خدام الغرب الاستعماري الصليبي وتغطيتها للمرأة هناك ، وكأن انتهاك حرية الشعب ، وإهانته ، ونهب ثرواته جرائم لا ترقي لمستوى تغطية المرأة الأفغانية التي تتغطي وفقا لتقاليد قبلية عريقة في التاريخ ، ووفقا لمفهوم من مفاهيم الفقه الإسلامي يعمل به بعض أصحاب المذاهب !

إن شعب الأفغان الأبي البطل يحتاج من المسلمين وخاصة أجهزة الإعلام الإسلامية الوقوف إلى جانبه حتى يتحرر من الغزاة الصليبين المتوحشين ..

***

.

ولاية الفقيه .. وولاية السفيه !

حبي للصحابة رضوان الله عليهم ، وآل البيت الكرام ؛ لا يفوقه إلا حبي للرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – الذي كان وسيظل إلى ما شاء الله مثلي الأعلى – ولله المثل الأعلى – وقدوتي الحسنة ، ومجال حركتي وتفكيري ، وبذلي وتضحيتي ، وآمل ألا يزايد أحد على في هذا السياق .. ومن ثم فإن موقفي من إيران وما يجري فيها ؛ هو موقف الناقد الدارس الذي يرى فيها ما قد يتمناه في بلده ووطنه ومحروسته التي هي عقل الإسلام وقيادته وأمله في كل الأحوال .. ولا أزيد.

لم أزر إيران ، ولا أعرف أحدا فيها ، لم أر ما يجري فيها رأي العين ، ولكني أتابعه من خلال الأحداث وما يكتب عنها سياسة وأدبا وفكرا وتحليلا ، وما يقوله الشانئون والكارهون وخاصة أولاد الأفاعي في فلسطين المحتلة ، وهذا يعطيني حدا أدني من المعرفة على الأقل أضعه في سياقه الموضوعي من القراءة والتحليل ..

ولعل أول أو أبرز ما تعاب به إيران هو " ولاية الفقيه " التي تشكل أساس النظام السياسي والإداري في الحكم الإيراني ، ويرى فيه الكارهون نقطة ضعف ، لأنه يمثل الأداة الفعالة لما يسمى " الدولة الدينية " بجبروتها وطغيانها وقمعها للمجتمع والأفراد ..

وأود أن أقول مباشرة إن الإسلام لا يعرف شيئا اسمه الدولة الدينية بمفهومها الكنسي أو اليهودي ، ودولة الإسلام هي أول حكومة مدنية على ظهر الأرض ، لا يتحكم فيها عالم دين مهما بلغ من مكانة ، ولا صاحب عضلات مهما بلغ من قوة ، فهي دولة يلزم فيها كل إنسان " طائره في عنقه " وحسابه على الله ، وصاحب السلطة أجير عند المسلمين . ليس هناك في دولة الإسلام حرمان أو غفران ، ولا يملك الشيعة على اختلاف فرقهم الباطنة والظاهرة أن يحكموا على أحد بالتأثيم أو التبرئة ... فالفقيه هناك مرشد وقائم على أمور الشريعة ، حتى لو اتخذ صورة مرشد الثورة ، فلا حصانة له ، ويستطيع أية الله منتظري – المعارض الأشهر – أن ينتقده ، ويرفض سلوكه السياسي ، ويطالب بتنحيته (هل هذا ممكن في بلاد المخلفين من الأعراب ؟) .

والفقيه في الواقع الشيعي يمثل قيادة شعبية حقيقية ، لأنه قريب من الناس في بساطته ، وجلوسه على الأرض ، وتقشفه وزهده ، حتى لو كان أهله وعائلته من (البازار) كبار التجار ، مثل آية الله على أكبر هاشمي رفسنجاني ، فالوضع هنا يعني " توظيف " الغنى واليسار لصالح البسطاء (أسهم رفسنجاني في تمويل الثورة قبل نجاحها بالملايين) ، وإنقاذهم من القهر والفقر جميعا .

الفقيه الشيعي عنصر حيوية وحركة بالنسبة للجمهور يقودهم ويعبئهم ويوجههم إلى العمل والاتجاه الذي يراه يخدم الشريعة ويطابقها ، ولعل هذا كان في من وراء ما بذله الشعب الإيراني من أموال ودماء في مواجهة النظام الشاهنشاهي المتوحش ، وجهاز أمنه الدموي (السافاك) ، وسياسته المخزية انبطاحا أمام الغزاة اليهود والمؤسسة الاستعمارية الصليبية بقيادة الولايات المتحدة .

ولاية الفقيه تؤمن بالتواصل بين القادة والبسطاء ، والحوزات والمساجد والمنتديات تشهد عملية تفاهم القمة والقاعدة وتحاورهما على مدى عريض .

وولاية الفقيه في التصور الإسلامي السني تعني في جوهرها المعارضة للمنكر ، ورفض المظالم ، حتى لو كان الثمن قطع الرأس على النطع (اقرأ ما جرى للعالم الفقيه سعيد بن جبير على سبيل المثال) ، والفقيه في هذا التصور ليس موظفا عند السلطة مهما بلغت من جبروت ، فهو صمام الأمان والحماية للضعفاء والفقراء والمظلومين ، ويستطيع الفقيه السني الذي لا يحكم أن يقيل الحاكم الظالم ويردعه عن طغيانه ، والأمثلة كثيرة في التاريخ القريب والبعيد ، وقد تصدى علماء السنة للمماليك والعثمانيين حين ظلم بعهم أو طغي !

ولاشك أن ولاية الفقيه في إيران وضعت أساس نظام سياسي أيا كانت سلبياته ؛ فهو أفضل كثيرا من ولاية " السفيه " في معظم بلادنا العربية . لقد استطاعت إيران تحت ولاية الفقيه هذه أن تخوض بالمتخصصين في شتى العلوم والأبحاث حربا مدمرة لمدة ثماني سنوات في مواجهة العراق وكثير من الدول العربية والولايات المتحدة والغرب، وتمكنت من التغلب على حصار غربي صليبي ممتد منذ نجاح الثورة الإيرانية حتى اليوم ، وأن تتبنى في ظل الحرب والحصار صناعة قوية ، وزراعة مثمرة وتوصلت إلى اكتفاء ذاتي في معظم المحاصيل ، وفي مقدمتها القمح ، وتشهد تفوق المرأة الإيرانية في المجالات كافة ، ومن بينها المجال السياسي والعمل العام ملتزمة بقيم الإسلام وأخلاقه ، ثم وهو الأهم فإن العسكرية الإيرانية الراهنة تعد صورة ناضجة لإبداع الآلة الحربية برا وبحرا وجوا ، فضلا عن إطلاقها الأقمار الصناعية ، وتتويج ذلك كله بتخصيب اليورانيوم !

الشعب الإيراني في ظل ولاية الفقيه ، ليس شعبا من المشايخ الذين لا يفقهون غير علوم الدين ، ولكنه شعب حي يعرف طريقه جيدا بالعلم والمعرفة المدعومة بالإيمان – أيا كان هذا الإيمان – الذي عبر عنه ملايين الشهداء الذين ضحى بهم في ميدان القتال مقاومة للاستبداد ومواجهة للعدوان ، وهو ما يجعل المعارضة القوية التي جرت بعد انتخابات الرئيس في ٢٠٠٩/٦/١٢ م جزءا من حيوية هذا الشعب ، وثورته الدائمة التي لا تتوقف بحثا عن العدل والتصويب ، وتمنع الثائرين من الانبطاح أمام غواية السلطة أو إغراء الفساد .

قارن ذلك بولاية السفيه " في بعض البلاد العربية ، وهي ولاية بينها وبين الناس من العوازل والحوائل ما يضع السفهاء في مرحلة الآلهة – وأن كانوا عجزة – ويضع الشعب في مكانة الكائنات التي لا قيمة لها ، ولا مستقبل .

السفاهة في مفهومها اللغوي تحمل كثيرا من معاني الخفة والطيش والجهل والاضطراب والخداع والانحراف .. إلخ ، والسفاهة بالمفهوم السياسي لا تبعد عن ذلك كثيرا ، فهي لا تعرف دينا ولا دنيا ولا خلقا ، ولا كرامة لبشر أو طن . إنها تحكم بالحديد والنار والتشهير ، وتنبطح أمام الغزاة، وتسجد للصليبيين الطغاة ، وتفرط في أغلى ما يملكه الوطن من تراث وثروات .

ولاية السفيه تنزع الإنسانية من مواطنيها ، وتحولهم إلى مجرد دمى تأتمر بأمر السفيه وتهتف باسمه أيا كان مستواه الإداري ، وتتعايش مع فساد الأتباع والأنصار ، وإن سُمح لها بـ " الهوهوة" و" الوعوعة " !

ولاية السفيه تضع الأجنبي في مكانة أعلا من مكانة مواطنيها ، وتفرط في استحقاقهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

انظر إلى ولاية السفيه وهي تستورد احتياجات الناس من الإبرة إلى الصاروخ (الذي لا تستعمله عادة !) وتبيع ما تملكه من مصانع ومؤسسات وأراض للسماسرة والانتهازيين ، وتفتح بلادها للأعداء والخصوم ، بينما تغلقها في وجه بعض مواطنيها الذين تنفيهم وتبعدهم ، ولا تتسامح معهم حتى وهم أموات ،فلا تقبل بدفنهم في تراب بلادهم !

وتأمل كيف رهنوا حياة بلادهم نظير حفنة قمح مسمومة يستوردها النصابون ومعدومو الضمير لتسميم الشعوب البائسة ، مع أن لديهم كل الظروف التي تجعلهم ينتجون القمح ويكتفون منه ، ومن المحاصيل والفواكه والخضراوات ، ولكن ولاية السفيه لا يعنيها إلا إذلال شعوبها وتلويعها من أجل الرغيف المسموم .

وتأمل كيف صار الاستسلام خيارا استراتيجيا لولاية السفيه ، بينما يزداد العدو الغازي قوة وشراسة وعدوانية على مدار الساعة في كافة الميادين ، ويكتفي السفهاء ببعض الاستعراضات التلفزيونية لسرايا الدفاع والدرك والجيوش الشعبية والأمن الوقائي.

الفارق كبير بين ولاية الفقيه التي تنحاز إلى شعبها مهما كان الخلاف معها ، وولاية السفيه التي تنحاز إلى كبار اللصوص والسماسرة والكذبة والمنافقين والأفاقين وأبواق الزور وأقلام الزور وشاشات الزور ؟

لا يحق لولاية السفيه أن تلوم ولاية الفقيه إلا إذا تغيرت هي وقدمت النموذج الإسلامي الوطني الحر القوي الذي لا يركع لواشنطن ، ولكن يسجد لله وحده ..وحتى ذلك الحين نسأل الله العفو والعافية .

***

الإرث الإسلامي

في منتصف رمضان ١٤٢٩ (سبتمبر ٢٠٠٨) زار رئيس الوزراء الأسباني خوسيه لويس ثاباتيرو تركيا ، وعلى مائدة الإفطار أعرب عن فخر بلاده بالإرث الإسلامي ، وتأثير الإسلام في تاريخها .

ثاباتيرو ابن الغرب المعادي تقليديا للإسلام وحضارته ، مصنف سياسيا ضمن دائرة اليسار المعادي تقليديا للدين – أي دين .. ولكنه في التعبير عن فخره بالإرث الإسلامي يتجاوز بمراحل موقف بعض النخب الثقافية العربية ، التي تسعى بقدر طاقتها للانسلاخ من الإرث الإسلامي ، وعده عبئا يجب التخفف منه في شتى المناسبات .

الفارق بين ثاباتيرو والنخب الثقافية العربية ، أن الرجل صادق مع نفسه ، ويعترف بالواقع الذي يؤكد أن الإسلام غيّر الأندلس بل وأوروبا للأفضل ونقلها إلى عالم من النضج والرقي ما كانت لتعرفه قبل الإسلام ، فقد منحها المعرفة والتمرد على الجهل والظلام والعبودية وترك آثارا ناطقة حتى اليوم بعظمة الحضارة الإسلامية في كل مكان على أرض الأندلس . في مدريد وقرطبة وإشبيلية وبلنسية وطليطلة ومرسية وغيرها .. كل أثر يشهد بعظمة الحضارة التي هضمت مالدى الآخرين وقدمته من خلال سياق إسلامي متميز للإنسانية كلها عطاء غنيا بلا منّ ولا أذى !

المفارقة انه في الوقت الذي كان فيه ثاباتيرو يفخر بالإرث الإسلامي ، كانت واحدة من النخب الثقافية العربية تصرح لصحيفة أسبانية تصريحات غريبة وفجة تنال من الإرث الإسلامي بل من الإسلام ذاته ، فتزعم لصحيفة "البابيس" أن الأديان تقهر المرأة ، وأن الحجاب خطوة إلى الوراء ، مثله مثل الختان الذي يروج له جزئيا جميع الأصوليين (؟) . وتصف النساء المسلمات بأنهن جوار للعبيد ، وأن الرجل عبد! ثم تغرق في مزاعمها بالقول أن الله - تعالى عما تقول – يَستخدم لاضطهاد الناس والنساء والفقراء .

هذا الخلل الذي تعيشه النخبة المثقفة في بلادنا يمثل فصاما غريبا ، حين يقبلون ما يقدمه الغرب بخيره وشره دون أدنى اعتراض أو تحفظ ، وفي الوقت ذاته لا يتورعون عن إهانة الإرث الإسلامي وتشويهه وتحقيره بمنتهى القسوة والفجاجة والفظاظة !

تقلب الصحف والمجلات الصادرة في بلاد المسلمين ، فتجد تهجما لا مسوغ له على العقائد والتشريعات الإسلامية ، واتهاما لها بالتخلف والظلامية والرجعية ، ودعوة إلى ما يسمى الاستنارة والحداثة دون أن ندري ما المقصود بالاستنارة أو الحداثة ، هل هي الاستنارة التي لا تؤمن إلا بالواقع وتكفر بما وراءه كما يفهمها الأوروبيون ؟ وهل الحداثة هي القطيعة مع الماضي بكل ما فيه من دين وتاريخ وعادات وتقاليد وتراث وقيم كما عرفها الغرب ؟

إن النخب الثقافية العربية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار لم يعد لها اليوم فيما يبدو من أهداف وغايات إلا رفض الإرث الإسلامي بمعناه الإيماني الايجابي ، دون أن تلتفت إلى ما صدعت به رؤوس الناس من كلام عن الحريات العامة ومقاومة الاستبداد ودعم الكادحين ومحاربة الامبريالية والرأسمالية والاحتكار والظلم الاجتماعي .

إن مثقفي هذه النخب اتفقوا على هجاء الإسلام في شتى المناسبات المتاحة ، ويرون الإرث الإسلامي مجرد كتب صفراء متعفنة ، وخطاب فكري متخلف ، وأفكار عقيمة عفا عليها الزمن .. وهذا الهجاء لا يقوم على أسس علمية أو مقدمات منطقية ولكنه تعبير عن رفض عشوائي يشبع رغبة شاذة تهدف إلى التماهي مع قيم الغرب الأنانية المتعصبة .

إنهم على سبيل المثال مندهشون من تنامي ظاهرة البحث عن الحلال والحرام لدى القاعدة الشعبية العريضة من المسلمين ، ويدينون القنوات الفضائية الإسلامية التي تقدم الفتاوى لهذه القاعدة . وقد تكون هناك مآخذ بالفعل على تلك القنوات وعلى بعض الفتاوى ، ولكن القوم لم يسألوا أنفسهم عن السر في تنامي الظاهرة ورغبة الناس في التعرف على الحلال والحرام ، حتى في الأمور البديهية .

لو حاولوا السؤال – وهم من يطالبنا بالسؤال دائما ! – لعرفوا أن الجمهور حَرم من مصادر المعرفة الشرعية في بلاد إسلامية عديدة ، وهو جمهور تقوده فطرته إلى الدين سواء رغبت هذه النخب الثقافية أم لم ترغب ! إنها " فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " (الروم : ٣٠) .

ثم إن معرفة الحلال والحرام تجنب الناس كثيرا من السلبيات التي تعوق عملية التطور والتنمية والإنتاج ، على المستويين الشخصي والعام .. إنها ظاهرة ايجابية بكل المقاييس ، وان كانت هنالك فتاوى غير موفقة ، فإن الحل هو الحرص من جانب المعنيين على أن يكون من يتصدر للفتوى أهلا لها . مع ملاحظة أن الاستفتاء ظاهرة قديمة مرتبطة ببداية التشريع ، وفي عصرنا الحديث يسأل الناس الصحف والمجلات والإذاعات والتلفزة ، التي تخصص جانبا من صفحاتها وبرامجها للإجابة عن أسئلة الجمهور في العبادات والمعاملات والمواريث وغيرها . وقد أتاحت لهم الفضائيات مؤخرا فرصة الاستفتاء المباشر السريع ، فنمت الظاهرة ، وعبرت عن الفطرة المستقيمة .

وإني لأعجب من أن دول العالم غير الإسلامي ، وبعضها علماني ، يحترم الأديان السائدة فيه ، ولا تجد مثقفين يتفرغون لهجاء النصرانية أو اليهودية ، أوالتشهير بمعتقداتها وتشريعاتها ، بل إن النخب الثقافية في الكيان الصهيوني الغاصب ، تتنافس على الإشادة بالإرث اليهودي ، وتشكيل سياسة الصهيونية وفقا لهذا الإرث .

لا ريب أن العوامل التي تساعد النخب العربية على الاستمرار في عدائها للإرث الإسلامي معلومة ، ولكن موقف "ثاباتيرو" وفخره بهذا الإرث يسدد ضربة صاعقة للنخب العربية المتماهية مع الغرب وثقافته الأنانية المتعصبة .

***

الفطرة الأولى

لعل جائزة نوبل لعام ٢٠٠٨م ، قد حققت نوعا من الإنصاف للإنسان بصفة عامة ، وللإسلام بصفة خاصة حين منحت جائزتها الأدبية للكاتب الأنجلو فرنسي " جان ماري جوستاف لو كليزو " (١٩٤٠ - ..) الذي وجد فطرته بعيدا عن الغرب وحضارته المادية الشرسة .
" لوكليزو " ليس مسلما ، وإن كان متزوجا من امرأة صحراوية مغربية ، اسمها " جيما" ، ولا أعلم إن كانت من أصول مسلمة أو غير مسلمة ، وقد نشأ في محضن حضارة محاربة تدك حصون ضحاياها بلا رحمة ، وتفتك بهم بلا هوادة ، ويشير لوكليزو إلى انه لد في أثناء الحرب العالمية الثانية التي طحنت عظام الملايين من الأبرياء الذين ذهبوا بلا ثمن ، نتيجة للأطماع الاستعمارية والصراعات على مناطق النفوذ في العالم .. ثم بدأ مراهقته مع حرب استعمارية أخرى ، وكان معنيا بها على جبهتين ، " فمن ناحيتي البريطانية – كما يقول – كان البريطانيون يحاربون ماليزيا ، ومن ناحيتي الفرنسية كانت فرنسا في حرب مع الهند الصينية أولاً ، ثم الجزائر . أي إنني عشت باستمرار في قلب ضجيج الحروب ، مهدّداً بالرحيل ومقتنعاً بأنها حروب ظالمة " . ويرى لوكليزو أن هذا الواقع هو الذي شق طريقاً لقلمه ..
والد لوكليزو بريطاني ، وأمه فرنسية ، وقد تولت أمه وجدته الفرنسيتان تربيته وتعليمه ، لغياب الأب أوقاتا طويلة بعيدا عن البيت ، كان والده طبيباً استعمارياً في الجيش البريطاني بنيجيريا ، وفى عام ١٩٦٧ الذي يعدّ حاسماً في حياته الإنسانية والأدبية ذهب إلى بانكوك في تايلاند ، لأداء الخدمة العسكرية ، وبعد أن أدلى بتصريحات صحفية هناك ؛ تحدث فيها لصحيفة " الفيجارو " الفرنسية عن دعارة الأطفال في تايلاند ، تم طرده إلى المكسيك ، وهناك وجد نفسه في تراث الهنود الحمر ، وعاش تجربة إنسانية خصبة نقلته من عالم المادية الغربية المتوحشة ، إلى عالم أكثر براءة وتلقائية وفطرة . " إنها صدمة حسية كبيرة صعبة " كما يقول ، حيث كان الجوّ حاراً ، وكان عليه أن يمشى مسافات طويلة على قدميه . لقد كان ضرورياً أن يصبح خشناً وصلباً ، منذ وطئت قدمه هذا العالم الجديد فلم يعد " كائناً عقلياً " ، وقد أثر عدم العقلانية على كتاباته التالية !
لقد كان " لوكليزو " معنيا بالبحث في السياق الحضاري الذي يعيشه الغرب ، والسياق الآخر الذي تعيشه شعوب مغايرة لها هويتها وخصوصيتها الثقافية (الهنود الحمر – المكسيك – تايلاند – العرب - إفريقيا) .
فالسياق الغربي خرّب انسجام الحضارات وتفاعلها وتكاملها ، وقضى على الشعوب الهندية في أكبر كارثة عرفتها الإنسانية ، ومع ذلك فإن الهنود الحمر المختبئين في الجبال والصحارى والغابات ما زالوا حسب قوله " يلقوننا الصورة الأولى لمبادئ الحرية والتضامن وحلم الحضارات القديمة السابقة على الغزو الإسباني " ، وهؤلاء الهنود " ما برحوا حراساً لأمن الأرض ومراقبين لسنن الطبيعة ودورة الزمن " .
إن سعى لوكليزو وراء الفطرة الأولى ، الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، جعلته يرى بشاعة حضارة بلاده ، وقهرها للضعفاء ، واستلابها لنعمة الأمن والسكينة والحياة الطبيعية ، في داخلها ، وبين الشعوب المستضعفة التي تعرضت لغاراتها ووحشيتها . ولا يخافت الرجل بالحديث عن صورة الزمن التي تغيرت بداخله من خلال علاقته بالهنود . يقول : " قبل ذلك ، كنت مذعوراً بكثير من الأشياء التي لم تعد ترعبني : الخوف من الموت ، المرض ، القلق من المستقبل . ذلك لم يعد يرعبني الآن .. ترعبني فكرة أن أطفالي يمكنهم أن يعرفوا المرض أو

الموت ، كذلك الحروب العبثية أو الوحشية مثل التي عشناها ، وكذلك احتمال وقوع الكوارث البيئية . إن مسئوليتنا أمام أجيال المستقبل مسئولية كاملة . إذا تعلمنا العيش مثلما يعيش الهنود الأمريكيون ، أو مثل هؤلاء سكان الصحراء . بالتأكيد لن يكون لدينا هذا القدر من الكوارث . بالتأكيد لن نكون بالدرجة ذاتها من الكمال التقني ، ولكننا لن نهدر بهذه السهولة فرصتنا للحياة .... هناك ضرورة ملحة لسماع أصوات أخرى ، للإنصات إلى أصوات لا ندعها تجيء إلينا ، أصوات أناس لا نسمعهم لأنهم استهين بهم لوقت طويل ، أو لأن عددهم ضئيل ، ولكن لديهم كثيرا من الأشياء لنتعلمها " .

هذه خلاصة فكر أديب يبحث عن الحقيقة وسط ركام من الزيف والتضليل تصنعه مدنية شرسة مستكبرة تعتمد على مركزيتها ، وتأثيرها الأقوى على الكون كله .. إنه لم يرضخ لهذا التأثير ، ولم يستسلم للمركزية ، ولم يخف من شراسة المدنية واستكبارها ، بل وقف على الجانب الآخر يتحدث عن عالم فطرى لم تلوثه المدنية ، وهو العالم الذي يدعو إليه الإسلام ، لأنه عالم الفطرة " فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله .. " (الروم : ٣٠) هي فطرة النقاء والصفاء والإحساس بالأمن والطمأنينة ، دون انبهار بعالم زائف مضلل ، يغتال فيه القوى الضعيف ، معنوياً ومادياً ، كما فعل الاستعمار الغربي أو ما يُعرف بالكولونيالية .

لقد لفت نظري موقف " لوكليزو " من حضارة بلاده ، وحضارة الآخرين ، وبحثه عن القيمة الإنسانية وليس المقدار المادي ، ولعله لهذا السبب ، لم يُعرف بصورة ملموسة في أدبنا المعاصر ، حيث إن معظم المترجمين العرب يدورون في فلك آخر يخدم المركزية الغربية ويروّج لقيمها ، ويتجاهل ما عداها ، اللهم إلا إذا كان سائراً في الاتجاه الغربي ذاته .. وربما كان ذلك من وراء ترجمة بعض أعمال لوكليزو في دائرة محدودة نسبيا لم يتح لها الانتشار على نطاق واسع ، بل إن الرجل داخل المركزية الأوروبية ، ليس معروفاً بصورة كبيرة ، وقد جاءت نتيجة استطلاع للرأي عقب فوزه بجائزة نوبل أجرى في السويد (عاصمة الجائزة) تبين منه أن ٩٨ % لا يعرفون الرجل ولم يسمعوا به !

أيا كان الأمر ، فإن الفائز بجائزة نوبل حين نقارنه ببعض أدبائنا المتهالكين على الجائزة ؛ نجد البون شاسعاً .. فالرجل صادق مع نفسه ، يبحث عن الحقيقة دون خوف أو وجل أو رغبة في جائزة أو شهوة في شهرة .. أما الذين عندنا فقد كتبوا وصرحوا بما يرضى الغرب وثقافة الغرب وتصورات الغرب . أهانوا الإسلام وشهروا بتشريعاته وقيمه ، وتبنوا بلا محاذير أو حدود مفاهيم غربية معادية لروح الإسلام وكرامة المسلمين ، وروجوا في كتاباتهم للإباحية والطائفية ، وتقبل الاستعمار ، وأدانوا مقاومته والدفاع عن الأرض المحتلة ، ومع ذلك فإن لجنة نوبل ، لم تمنح أيا منهم حتى الآن الجائزة ، ومات بعضهم محسوراً بعد أن قدم كثيراً من التنازلات على حساب دينه ووطنه وثقافته . وللأسف فمازال بعضهم ينتظر أن تأتيه الجائزة على طبق من شهرة ودعاية ومليون ونصف مليون دولار تقريباً ..

" لوكليزو " مستمر في كتابته التي تبحث عن الفطرة الأولى ، وينقب في الصحارى والغابات والجبال والجزر عمن يعيشون هذه الحياة ويكتب عنهم رواياته وقصصه ، وبحوثه ، وقد زار مناطق كثيرة في العالم استوحى منها العديد من موضوعاته فضلاً عن اهتمامه بالأطفال وكتابة قصص لهم ، بوصفهم النموذج الأوضح للفطرة الإنسانية التي لم تلوثها المطامع والصراعات ، ونظرة إلى عناوين بعض كتبه التي تبلغ أربعين كتابا ؛ تكشف لنا عن شيء من توجهه الإنساني : فمن كتب الأطفال : لولابى (١٩٨٠) ، بالابيلو (١٩٨٥) ، ومن رواياته : الباحث عن الذهب (١٩٨٥) ، رحلة إلى روديغس (١٩٨٦) العزلة (١٩٩٥) . وكانت أول رواية نشرها بعنوان " المحضر الرسمي " عام ١٩٦٣ ، ثم نشر مجموعة قصصية بعنوان " الحمى " عام ١٩٦٥ ، وفى عام ١٩٨٠ نشر روايته (ثلاث مدن مقدسة) ، ثم (الصحراء) التي حازت على جائزة جونكور الفرنسية ونوهت بها لجنة نوبل عند منحه جائزتها بالقول : إنها تقدم صوراً رائعة لثقافة ضائعة في صحراء شمال إفريقيا .

وهناك روايته " سمكة من ذهب " وبطلتها فتاة مغربية تُدعى ليلى وتناقش العلاقة المتوترة بين ثقافتين وعالمين (الغرب والشرق) .
حظي " لوكليزو " بعدد من الجوائز الأدبية في فرنسا ، ولكن موقفه المتعاطف مع القضية الفلسطينية سبب له بعض المتاعب ، فقد أعد عملاً عن المأساة الفلسطينية بعنوان " نجمة تائهة " يركز على سكان المخيمات ، ولكن اللوبي اليهودي في فرنسا أوقف ظهور العمل ، بعد نشر جزء منه ، ولا ريب أن موقف لوكليزو المنصف من مأساة أهل فلسطين أملته الفطرة الإنسانية التي تقود الرجل ، وهي المأساة التي يتجاهلها للأسف الشديد بعض الباحثين عن نوبل من الأدباء العرب .
لقد لخص الرجل حياته في سؤال هو أصل كل المغامرات والرحلات التي قام بها : من أنا ؟ أو بالأحرى : ماذا أكون أنا ؟
وليت بعض أدبائنا يسألون أنفسهم هذا السؤال ، لعل فطرتهم تقودهم إلى أدب أفضل .

***

أعلنوها صريحة .. وأريحونا !

رب ضارة نافعة !

كان من اللازم أن يرى الناس ويسمعوا ويعيشوا محنة الانتخابات / المهزلة؛ لكي يزدادوا تأكيدا أن السلطة البوليسية الفاشية ليس عندها أدنى قدر من التسامح أو التفاهم مع شعبها التعيس المنكود ، فهي في كل الأحوال والظروف ليست على استعداد أن تسمح لغير أتباعها ، وعبيدها بالمشاركة في تقرير مصير الوطن ، والإسهام في بنائه وتطوره وتقدمه ، وقد أغلقت على نفسها الباب ، واستعانت بالعصا الغليظة لترد كل من يدق ، أو ينقر على هذا الباب إذا رأى أنه مواطن في هذا البلد ويشعر أن له حقوقا مساوية مع من يتحصنون وراء الباب !

القتال الذي قاده البلطجية والأمن وأصحاب السوابق وأهل العصبيات والقبليات ، فضلا عن رجال حزب السلطة ، كشف حقيقة أزهى عصور الحرية الذي يتشدق به حزب السلطة ورجاله..

بدأ القتال بقصف إعلامي رخيص شارك فيه أبواق النظام وأقلامه ضد المعارضين كافة مع التركيز على الإخوان المسلمين بوصفهم الفصيل الأكثر وعيا وتأثيرا وصدقا وتضحية في الواقع الاجتماعي ، وسمعنا هجاء متدنيا ومنحطا لكل من يشتم منه المعارضة الحقيقة للاستبداد وتجلياته ، وراح رؤساء التحرير ورؤساء الإدارات في معظم الصحف الحكومية وصحف ملك اليمين ونجوم الأجهزة الدعائية الحكومية ، يتنافسون في الهجاء والبذاءة دون سبب مقنع اللهم إلا إرضاء السيد السند الذي يدفع لهم مئات الألوف شهريا من عرق الشعب البائس وكدّه ، بل يدفع لبعضهم الآخر الملايين وخاصة من يتمتعون بنسب إعلانات عالية .. وتأمل عندما يحصل رئيس مجلس إدارة على مليون جنيه شهريا في المتوسط ، وهو لا يملك من المؤهلات إلا القدرة على الردح والشتائم البذيئة وقلب الحقائق ، وقارنه بألف أستاذ جامعي يعيشون حياتهم اليومية بشق الأنفس ، ويبحثون ويدرسون ويسعون لترقية الوطن بالعلم والعمل ولا يحصلون معا إلا على هذا المليون بواقع ألف جنيه شهريا لكل منهم .. ألا يحق لصاحبنا أن يعبد من يمنحونه المليون من دون الله ويركع ويسجد لهم ، وينسب إليهم ما لا ينسب إلا لله ؟ وأستغفر الله ؟ !

ثم كانت الدعاية المضحكة التي تخجل من اللغة العربية ، وتقدم الفلاح المصري في صورة زاهية في ملبسه ومسكنه ومزرعته والمياه النقية التي يشربها ، والمدرسة الجميلة التي يعلم فيها أولاده، ويتحدث عن مستقبل أفضل ، ونسي دعاة الاستبداد والفاشية فشلهم الذريع في توفير كوب من الماء النظيف لعشرات الملايين من الفلاحين والعمال الفقراء ، وتجاهلوا عشرة ملايين مصاب بالوباء الكبدي ، وعشرين

مليونا مصابون بأمراض أخرى مثل السرطان والسكر والكلى وغيرها ، بسبب الخيبة الثقيلة في عدم القدرة على تنقية المياه وتنظيف نهر النيل من الملوثات التي يقوم بها حيتان حزب السلطة وأتباعهم .

ثم جاءت الانتخابات ليشهد العالم كله على فسادها وتزويرها وشراء الأصوات والذمم ، والتدخل الفج الذي نقلته بالصوت والصورة القنوات الفضائية والإذاعات العربية والمنظمات الدولية ، ولست بحاجة إلى رصد كل معالم الفساد والتزوير والتدخل في الانتخابات المهزلة ، ولكن يكفي أن النتائج التي أعلن عنها الأشاوس والنشامي من حزب السلطة وأبواقه سلفا ، هي التي تحققت خلفا ، فلم يفز إلا أعضاء حزب السلطة ، وبعض من ألقي إليهم فتات المقاعد من الأحزاب الورقية التي صنعها حزب السلطة على عينه ..

ومع كثافة الدعاية التي صنعها حزب السلطة فلم يذهب إلى التصويت غير أقلية ضئيلة لا تتجاوز ١٠% ، كثير منهم قام النظام بتوفير حضورهم ، وصوت نيابة عنهم ، ووجد بعض من ذهبوا للتصويت أن هناك من قام بالواجب بدلا منهم ، فعادوا لا يدرون ماذا يفعلون أو يقولون !

وكانت النتائج في كل الأحوال صناعة محلية تثبت أن حزب السلطة هو صاحب القول الفصل في الاختيار والتصويت والفوز والإعادة أيضا . ونحن لا نملك إلا تهنئة حزب السلطة بإنجازه العظيم في صناعة المهزلة ونهايتها ، ولكننا نود أن نقدم إليه اقتراحا مريحا للغاية حتى لا يورط نفسه مستقبلا في فضائح إعلامية يراها العالم بالصوت والصورة ..

ما الذي يمنع النظام البوليسي الفاشي أن يعلن على الملأ أن حكاية الديمقراطية هذه حكاية سخيفة ، وأنها تزعج الشعب المصري وتحمله فوق طاقته ، وتعرضه لمشكلات لا تليق به ، وأنه سيقوم نيابة عن الشعب العريق ذي الآلاف السبعة من الأعوام بتعيين نواب مجلسي الشعب والشورى ، مثلما يعين المحافظين ورؤساء المدن والقرى ، ويوفر على الناس بؤس المشهد الهزلي الذي يعرض على الشعب طوال أيام الدعاية والانتخابات ؟

إني واثق تماما من أن الشعب سيقبل ذلك ، وسيكسب النظام المستبد نقطة لصالحة تضعه في دائرة الصدق لأول مرة .

لقد طالبت ذات يوم بأن يعلن النظام عن ديكتاتوريته الصريحة ليريح ويستريح ، ووضعت له نموذجا يقتدي به إذا بدا له أن يخدم البلد ومسألة تطويره وتقدمه ..

لقد طرحت نموذج إسبانيا في عهد الجنرال الراحل فرانكو . ومن المفارقات أن فرانكو حظي بهجاء ممتد من جانب الشيوعيين المصريين الذين يخدمون الآن النظام البوليسي الفاشي عندنا ؛ لسبب غير مفهوم ، مع أن الرجل خدم بلاده كما لم يخدمها أحد آخر ، فقد خاض الحرب الأهلية لمدة طويلة ، واستطاع أن يخرج من هذه الحرب بتوحيد إسبانيا تحت قيادته ، ثم أعلن الديكتاتورية حتى آخر حياته بناء على توافق وطني حيث جمع قادة الجيش والشرطة ورجال الدين والأعمال وأساتذة الجامعات وأصحاب الرأي والفكر وأعيان المجتمع الإسباني ، واتفق معهم على أن يتفرغ النظام للبناء والتعمير والتعليم وتحسين الزراعة وإقامة الصناعة والترويج

للسياحة ورفع مستوى المعيشة ، شرط أن تكون كرامة المواطن الإسباني مقدسة ، ولا يقبض جهاز أمن الدولة على أي مواطن إلا بسبب قانوني ، ولا يتم ذلك إلا بين العاشرة صباحا ، والسادسة مساء .وبعد موت فرانكو تتحول إسبانيا إلى ملكية دستورية بها حزبان كبيران يتبادلان الحكم وفقا لتصويت الناخبين ، وتتحول أسرة فرانكو إلى أسرة ملكية تملك ولا تحكم . وتم تنفيذ الاتفاق وصارت إسبانيا اليوم نموذجا جيدا للديمقراطية وخدمة المواطن الإسباني ؛ وحقق الإسبان إنتاجا يفوق إنتاج الدول العربية مجتمعة بما فيه البترول والمعادن سبع مرات ،ويتنافس السياسيون هناك على خدمة بلدهم وشعبهم وليس على الحصانة والمناصب والمغانم وقهر المواطنين !

أعلنوها دكتاتورية صريحة على غرار إسبانيا فرانكو ، وسوف تريحون وتستريحون ، فالديمقراطية المزيفة لا تنتج إلا عناء لا لزوم له ولا مسوغ ، ولستم في حاجة حينئذ إلى جيوش الكذبة والمنافقين والأفاقين الذين يمدحون حزب السلطة ويهجون من يعارضه ، ويسبون الإسلام والمسلمين باسم الدولة المدنية والحداثة والتنوير ، ويحاربون هوية الأمة ولغتها وثقافتها وتاريخها ومستقبلها .

أعلنوها ديكتاتورية صريحة على غرار إسبانيا فرانكو، لتستريحوا وتريحوا، ويتفرغ الناس للعمل والإنتاج وتنظيم حياتهم الاقتصادية والعلمية والثقافية ، وفي الوقت نفسه يتاح للإنسان المصري فرصة بناء ذاته فكريا وعقديا وسلوكيا ، ويلتقط جميع الفرقاء أنفاسهم فلا محاكمات عسكرية أو استثنائية ، ولا حملات إجرامية على الإسلام والمسلمين من جانب النخب العميلة الموالية للغرب واليهود، ولا استنفار لقوى الأمن ضد المواطنين وأهل الرأي .. فقط حافظوا على كرامة الإنسان المصري ..

عندما تخبرون الشعب المصري التعيس بحقيقة نواياكم سوف تستريحون وتريحون ، فقد تعب الشعب من الأكاذيب والتضليل ، و أنهكته لقمة العيش ، ولم يعد قادرا على مواجهة الكذبة ؛ أصحاب الوجوه السميكة الذين لا يعرفون الحياء ولا حمرة الخجل ، وتشربت أكتافهم السحت والحرام ..

يومئذ – أيها السادة – لا حاجة بكم إلى العصف بالصحف المشاغبة أو إغلاق القنوات الإسلامية وترك القنوات الطائفية التي تخطط لتمزيق الوطن ، ولا حاجة بكم إلى معاداة قناة الجزيرة أو البرامج الحوارية التي تنغص منامكم ، وتكشف أكاذيبكم ، ولا حاجة بكم إلى حجب المواقع الضوئية ، لأن الناس حينئذ يكونون قد استراحوا إلى صراحتكم وصدقكم التاريخي الذي عبر عن نفسه لأول مرة ، بأننا نعيش أزهى عصور الاستبداد والديكتاتورية .

أما أهل الحركة الإسلامية فلهم حديث آخر إن شاء الله !

***

الإسلام .. والحل ؟!

في إطار الهجمة الضارية التي بدأت مع قدوم نابليون بونابرت واحتلال مصر عام ١٧٩٨م ، لمحو الإسلام من نفوس المسلمين وقلوبهم ، وتصاعدت بدخول الإنجليز الغزاة ، وتكوين النخب الرافضة للإسلام تحت مسميات شتى ، فإن الصراع لم يتوقف بين من يريدون القضاء على الإسلام أو تحويله إلى إسلام غربي أو أميركاني على الأقل ، وبين من يؤمنون بهذا الدين منهج حياة ، مثلما هو طريق اعتقاد ، وبعد انقلاب العسكر في ١٩٥٢، ظهرت بعض الأيديولوجيات التي روج لها بعض النخب ، وأثمرت تطبيق ما سمي بالاشتراكية التي جعلت الدين الإسلامي وفقا للميثاق القومي مجرد قيم روحية لا علاقة لها بالدنيا ولا بالمستقبل . وجاءت الهزيمة القاتلة في ١٩٦٧ حيث لم تصمد الاشتراكية ولا التقدمية وانهار البناء الوطني والقومي ، مما حتم ضرورة المراجعة التي جعلت الإسلام يتصدر الساحة مرة أخرى ويقود الجهاد ضد العدو النازي اليهودي الغاصب ، وسمع الناس لأول مرة " الله أكبر" تجلجل في أعماق سيناء وفي آفاقها المختلفة ، وكان العبور العظيم الذي صنعه العلم والتدريب والتخطيط اعتمادا على الله ونصرته وتوفيقه .
كان المناخ العام ينفر من الشيوعية والشيوعيين ، كما يرفض النخب المتغربة التي تقلد أسوا ما في الغرب من انحلال وعلمانية بائسة ومظاهر شكلية لا تقدم ولا تؤخر .. وكانت الصحوة الإسلامية بداية طريق جديد يسعي لبناء نهضة حضارية جديد ة على أساس إسلامي..
في ذلك الحين نشطت الحركة الإسلامية ، وظهرت بعض المقالات والكتب تبشر بانتصار المنهج الإسلامي المعبر عن الشعب بكل طوائفه واتجاهاته باستثناء النخب الموالية للغرب والماركسية ، وكتب صديقي الراحل جابر رزق – رحمه الله – المسلمون قادمون ، وصدر له كتاب بهذا الاسم في دار الاعتصام ، وكتبت حينئذ في مجلة الاعتصام وغيرها عن الإسلام بوصفه حلا لمشكلاتنا المختلفة بعد فشل النظريات المستوردة .. وظهرت أكثر من مقالة أواخر السبعينيات حتى أواسط الثمانينات تحمل الإسلام هو الحل ، وقد تبنى الراحل عادل حسين – رحمه الله – الشعار ، في جريدة الشعب التي أغلقتها السلطة ، ونشره على أوسع نطاق خاصة في انتخابات ١٩٨٧، حيث لقي ترحيبا جماهيريا عريضا ، لأنه تعبير عن وجدان الأمة وهويتها ، وحلمها في البناء والتغيير .
كان الأمل كبيرا في نهضة إسلامية رشيدة ؛ تعيد للأمة هيبتها ونضارتها ، فجاءت اعتقالات سبتمبر ١٩٨١م ؛ التي أعقبها اغتيال السادات ، وكان ما كان من عنف ودماء !

نجح الأشرار في تفريغ الصحوة الإسلامية من مضمونها ، وجرّ كوادرها إلى ميادين أخرى ذهبت بالكثير من الشباب إلى غيابات الظلام ، وأزهقت عديدا من الأرواح ، وتولدت محن وآلام ، ما زالت آثارها باقية حتى اليوم ، واستطاع الأشرار أن يجعلوا مكافحة الإرهاب محوا للإسلام واستئصالا له ، مع وصم كل مسلم بالظلامية والدموية والتخلف ، لدرجة أن تجرأ بعضهم ونشروا بيانا على صفحة كاملة في عدد من الصحف الكبرى يطالبون بحذف المادة الثانية من الدستور ، مع أنها عمليا لا تطبق في الواقع الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي .

ثم رأينا دولة إسلامية دينها الرسمي الإسلام وأغلبيتها الساحقة تدين بالإسلام عقيدة ، وأقليتها غير المسلمة تدين به حضارة وثقافة تحظر شعار الإسلام هو الحل ، وتجند أبواقها الإعلامية والصحف التي تسيطر عليها ، وصحف ملك اليمين وقنواته ، والأحزاب الورقية لتهاجم الشعار وتعده شعارا طائفيا ؟! يا للعار مصر المسلمة ترى الإسلام في مصر طائفة ؟ مصر التي ينظر إليها العالم الإسلامي بوصفها بلد الأزهر وعقل الإسلام تتنازل عن الإسلام وتخجل منه وتراه طائفة مثل الأقليات المحدودة ؟ مصر المسلمة ترى أن الشعارات الدينية الإسلامية كفر يجب ألا يمارسه أهل السياسة ، لأن خلط السياسة بالدين لا يجوز ! كيف ؟ أريد من يشرح لي : هل عندما أرشح نفسي جدلا في الانتخابات يجب أن أتخلى عن ديني ؟ أو بمعنى آخر هل أتخلى عن الإسلام لأصل إلى كرسي النيابة ؟ أم إن عدم خلط الدين بالسياسة يعني أن أستحل التزوير والكذب والوعود الزائفة والرشوة والعنف والإرهاب وأعدها أمورا لا علاقة لها بالإسلام؟

نواب حزب السلطة يستخدمون في الانتخابات / المهزلة كل الشعارات الإسلامية بدءا من قوله تعالى : " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وإنا فتحنا لك فتحا مبينا ، سر على بركة الله وتوفيق الله ، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، حتى رمز الهلال الإسلامي يحتكره الحزب الحاكم ... ولا يخلو منشور انتخابي ولا لافتة لمرشح ، ولا ميكرفون سيارة تمر وتحمل اسم المرشح ورمزه ، ولا إعلان في صحيفة عن المرشح ؛ من استخدام الآيات القرآنية التي تعد شعارات دينية إسلامية بامتياز ، ولكن السلطة تتربص بشعار واحد فقط أقره القضاء هو : الإسلام هو الحل ! ولا أدري ماذا يضايق القوم في هذا الشعار ؟ ألا يفاخر حزب السلطة أنه يملك الأغلبية الساحقة ؟ ألا يملك القدرة على التزوير الغشيم ليحصد هذه الأغلبية ؟ ألا يملك جيوشا جرارة من الأبواق والأقلام التي تروج لنوابه ، ومنهم أصحاب التسميات التاريخية : نواب القروض ، نواب سميحة ، نواب النقوط ، نواب التأشيرات ، نواب القمار ، نواب العلاج ، نواب سب الدين ، نواب الأحذية ، نواب ضرب النار في المليان ، نواب العبارات الغارقة ، نواب الدم الملوث ، نواب الاحتكار ، نواب الفياجرا ، نواب الأراضي ، نواب الفنانات الفاتنات..؟

إن حظر الإسلام في الحياة أو الانتخابات جريمة لا تغتفر ، ويدخل تحت قوله تعالى :" أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ " (سورة البقرة :٨٥) .

ولا أظن أن خصوم الإسلام الذين يترقبون موسم الانتخابات الهزلية للتحرش بالإسلام سيفلحون أو يحققون نجاحا كبيرا في محو الإسلام واستئصاله ، لأن الشعب المصري بأغلبيته وأقليته ينحاز إلى الإسلام فطريا وتاريخيا ، ولا يرضى به بديلا .
أما كسب الانتخابات / المهزلة فينبغي أن يبتعد عن العدوان على الإسلام ، وتجييش الأبواق المأجورة وأقلام المرتزقة والأفاقين للنيل منه .
هل هناك ما يسوغ للسلطة أن تخوض قتال شوارع - كما وصفته بعض الصحف – ضد من يرفعون شعار الإسلام هو الحل ؟ أليست الانتخابات الحقيقية - وليست انتخابات الاتحاد الاشتراكي أو حزب السلطة - تفترض أن يعلن الناس عن برامجهم وشعاراتهم ، والشعب هو الذي يختار منها ما يعجبه ويتناغم معه ؟ أم إن الانتخابات مصيدة أعدتها سلطة الطوارئ لاعتقال مئات الشباب الإسلامي وأقارب المرشحين الإسلاميين ، وإيداعهم المعتقلات بعد استخدامها العنف والإرهاب في الشوارع وتفريق المسيرات بالقوة ، وفض المؤتمرات بخراطيم المياه وتمزيق اللافتات ، وفي الوقت ذاته تهيئ المجال لمرشحي حزب السلطة وتبسط الحماية عليهم ،وتستجلب الدعاة الإسلاميين لتأييدهم والوقوف إلى جانبهم وتلجأ إلى المساجد والكنائس للقاء الجماهير وتعليق اللافتات ومعاقبة الأئمة الذين يرفضون الانصياع لإرادة السلطة ومزاجها؟
إنه لأمر عجاب حين تفعل السلطة الشيء ونقيضه في آن واحد ، وتكيل بمكيالين ، ثم تدعي أنها تجري انتخابات نزيهة ؟
هناك من يسأل : ماذا لو رفع الاتحاد الاشتراكي أو حزب السلطة شعار الإسلام هو الحل ؟ ماذا سيتغير في واقع الانتخابات المهزلة ؟ هل ستتغير النتائج التي قررها الاتحاد الاشتراكي أو حزب السلطة سلفا ، وتوزيعه للفتات على بعض الأحزاب الورقية التي وافقت على دخول الانتخابات ؟
وبالمناسبة فأظن أن دخول الإخوان الانتخابات لم يكن اقتناعا أنها ستكون نزيهة كما زعم أحد كتاب السلطة ، وليس مجاراة للأحزاب التي وافقت على المشاركة ، فالإخوان فيما أظن – ولست متحدثا باسمهم أو معبرا عن وجهة نظرهم - يعلمون أن التزوير لن يتوقف ، وأنهم ربما لا يحصدون مقاعد على الإطلاق ، ولكنهم أرادوا أن ينقلوا للناس وعيا إسلاميا بشعار " الإسلام هو الحل " ، ينقلهم من حالة الاستسلام للواقع المتردي إلى يقظة حية تدافع عن الدين والوطن والمستقبل في ظل الحصار والاستبداد والطوارئ ونواب الاتحاد الاشتراكي أو حزب السلطة .

***

موسم التحرش بالإسلام

التحرش بالإسلام والمسلمين لا يتوقف في أجهزة الدعاية الرسمية من صحف ومجلات وقنوات أرضية وفضائية ، و التحرش أمر معتاد من خصوم الإسلام وأعدائه على السواء ، ولكن حين يكون التحرش ممن يحملون أسماء إسلامية ، ويمثلون النظام فهذا أمر يبدو غريبا وعجيبا وشنيعا في بلد دينه الرسمي الإسلام ، وأغلبيته الساحقة تدين بالإسلام عقيدة وشريعة ، ودنيا وآخرة ، وحياة ومماتا ..

ولا شك أن هناك جناحا في السلطة يكره الإسلام ويحاربه ، ويتمنى زواله من الوجود ، لأن ذلك يسهل له عملية الفساد والإفساد ، ويتيح له التعامل مع أعداء الأمة بسهولة ويسر ، وتنفيذ أوامرهم ورغباتهم الشيطانية دون تعقيدات أو صعوبات كتلك التي يجدها في ظل وجود الإسلام والمؤمنين به !

هناك نُخَبٌ سُلِّطتْ على الأمة منذ زمن الاستعمار الفرنسي ، ثم الإنجليزي ترى أن تقدم الأمة لن يتحقق إلا باللحاق بالاستعمار وأذنابه ، ولذا فلا بد من القضاء على الإسلام تحت لا فتات براقة بدءا من التنوير (بمعناه الأوربي) والتقدمية (الماركسية) والعلمانية (إلغاء الدين) ، حتى الدولة المدنية والمجتمع المدني والليبرالية .. إلخ. وقد حاولت هذه النخب التي ارتقت السلطة في الغالب محو الإسلام ولكنها لم تستطع ، حتى في زمن الاشتراكية ، فقد وجدت أن من الضروري البحث عن مدخل ليقبلها الناس ، فاختارت لها وصفا يقربها من الإسلام ، وسمتها الاشتراكية العربية !

لم تتوقف النخب المعادية للإسلام والموالية للغرب يوما عن التشهير بالإسلام وهجائه ، وصناعة الأباطيل حول عقائده وتشريعاته ، و البحث عن الثغرات أو السلبيات في سلوك بعض المسلمين ، والارتكاز عليها لصبّ حمم الأكاذيب والترهات على الإسلام والنيل منه ، و كلما ظن القوم أنهم نجحوا يفاجأون بالهزيمة المريرة ، وتنشأ أجيال تتمسك بالإسلام كأقوى ما يكون ، حتى لو لم تجد من يقدمه إليها تقديما كاملا ، عندئذ تحتمي بالمسجد ، وتنتظر لحظة الفرج الإلهي بوجود المعلم والمجدد والباعث الذي يجلو قيم الدين الحنيف كما نزلت من عند رب العالمين .

ومن حين لآخر تقيم السلطة مهرجانا فجّا تسميه الانتخابات ، وما هي بانتخابات ، ولكنها تزوير غشيم لإرادة الأمة ، واستعراض للعضلات البوليسية ، وشراء للذمم ، وسوق للأكاذيب الفاجرة ، ولا تكتفي بذلك بل تطلق أبواقها والمتحالفين معها من

الأحزاب الورقية ، والقوى الانتهازية للهجوم على الإسلام بوصفه عائقا يعوقها عن مواصلة مسيرتها الفاسدة الرديئة !
قبل فترة فوجئنا بأحد المسئولين من مخلفات التنظيم الطليعي قيل إنه مرشح لرئاسة مجلس الشعب القادم ، يتحدث عن الإسلام حديثا غريبا ، ويصفه أنه لا يصلح إلا في أمور الحيض والنفاس ، وطقوس الجنازات ، وأنه لا شأن له بالدنيا وأحوالها ، ولا صلة له بالأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية !
ثم رأينا هذه الحملة الضارية على القنوات الإسلامية وإغلاقها بحجج واهية ، لا تصمد أمام العقل ، من قبيل إثارة الفتنة الطائفية ، والدجل والشعوذة ، والمفارقة أن هذه الحملة تركت القنوات التي تثير الفتنة فعلا، وهي غير إسلامية ، ولم تستطع الاقتراب منها أو الإشارة إليها ، كما تركت قنوات الدجل والشعوذة تسرح وتمرح وتخرق عين المشاهد على مدار الساعة ، ثم إنها لم تشر بكلمة إلى القنوات الإباحية التي تقدم كل ما هو رخيص وبذيء ، ومصادم للذوق والفطرة الإنسانية ، ولم تستدع أحدا من أصحابها لتقول له : ترفق بالشعب والأمة ولا تبث هذا الانحطاط المخجل الذي يؤثر في الشباب والأطفال خاصة !
تمتد الحملة لتشغل الناس بالنقاب والحجاب وكأنهما يمنعان البلاد والعباد من التطور والتقدم والحرية والديمقراطية والاكتفاء الذاتي من الطعام ، وتخصص لذلك مساحات ورقية واسعة ومساحات زمنية طويلة ، هجاء للنقاب والمنتقبات ، والإساءة في خلال ذلك إلى الإسلام ، وكأنه لم يبق في مصر من مشكلات غير النقاب والحجاب . أما الجوع والفقر والغلاء والجرائم اليومية وحوادث الطرق والسيارات والقطارات ، ورغيف الخبز الذي صار معضلة المعضلات ، والزحام السكاني وتناقص الأرض الزراعية وحمى الاستيراد ، ونهب أراضي الدولة ، وسطوة المحتكرين واللصوص الكبار الذين يسرقون الدولة بالقانون ، وانهيار الأمن الاجتماعي ، والانحدار الاقتصادي وزيادة الديون الخارجية والداخلية .. كل هذا لا يعني السلطة أو الجناح المعادي للإسلام في السلطة تحديدا .
يصل الأمر ببعض الأبواق المأجورة وخاصة من فلول الأحزاب الشيوعية البائدة ؛ إلى مطالبة السلطة بتعقب كل من يرفعون راية الإسلام والقضاء عليهم ، وعدم تكرار تجربة (التساهل !) التي جرت في انتخابات عام ٢٠٠٥ ؟
أما استغلال الهجوم على شعار " الإسلام هو الحل " ؛ فحدث ولا حرج ! فقد صار هذا الشعار حصان طروادة الذي يتسلل منه كل معاد لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم ، ليقول في بجاحة : إن ذلك سيدفع غير المسلمين لرفع شعارات أخرى مماثلة تعبر عن أديانهم وتوجهاتهم . بل يتمادون في بجاحتهم ويصفون شعار الإسلام هو الحل بأنه شعار طائفي !!
ولا أدري بأي منطق يتكلم هؤلاء ؟ هل نسوا أن الإسلام هو دين الشعب وثقافته ، للمسلمين وغير المسلمين على السواء ؟ هل تحول الإسلام وهو دين الناس جميعا وثقافتهم ؛ إلى طائفة ؟ ما الذي يقلق في الشعار والدستور يؤكد إسلامية مصر صفة ومرجعا ؟ لماذا تكرهون الإسلام إلى هذا الحد ؟ إذا كنتم مسلمين حقا فلا تنزعجوا من هذا الشعار..لأنه يعبر عن الأمة جميعا بلا استثناء ، والاحتكام إلى صناديق

الانتخابات الحقيقية قادر على فرز ما يريده الناس وما لا يريدونه من شعارات أو أشخاص أو اتجاهات ! أما إذا كانت مناسبة الانتخابات فرصة للدعوة لإلغاء الإسلام من حياة الأمة ومستقبلها ، فإن الأمر مستحيل بالنسبة لكم ، لأن الشعب المسلم لن يفرط في إسلامه ولو تحالفت عليه كل أبواق الزور الحكومية والإلحادية والطائفية ..

من الطرائف النكدة أن حزبا حكوميا يدعي اليسارية ، أصدر بعض المطبوعات حول موقفه من الإسلام ، فكان هذا الموقف تملقا رخيصا لبعض الطوائف ، وسعيا أرخص لكسب أصواتها ، وجاء في بعض المطبوعات التي أصدرها الحزب اليساري الحكومي أن الصحابي الجليل عمرو بن العاص أول من أثار فتنة طائفية بين المسلمين وغيرهم في مصر، وأن جعفر بن أبي طالب رضي الله هو الذي أطفأها ، و نسي اليساري الحكومي البائس كاتب الموضوع أن من لقنوه هذا الجهل الفاحش لم يذكروا له أن جعفرا - رضي الله عنه - قد استشهد قبل فتح مصر ، وبالتالي فالقصة كلها ملفقة وغير صحيحة ، وقد عاد اليساري الجاهل الذي ادعي كذبا على الصحابي الجليل ليعتذر ويعلن احترامه لعمرو بن العاص بعد انكشاف كذبه ، ليقع في جهل أشد حيث ادعي أن عمرا قام بالفتنة بين المسلمين والنصارى في الحبشة ، ونسي المذكور أن النجاشي كان يعرف كلا من المسلمين وعمرا جيدا ، وأن الحادثة التي يشير إليها كانت في مجال آخر ولهدف آخر ، هو إخراج المسلمين من الحبشة وتسليمهم إلى قريش ، ولم تكن فتنة بين المسلمين والنصارى كما ادعى !

إن التحرش بالإسلام وزيادة وتيرته في موسم الانتخابات / المهزلة ، مع القبض على عشرات الشباب من الإسلاميين ، والتشهير بالمرشحين الذين قبلوا خوض هذه الانتخابات البائسة ، يمثل وصمة عار في جبين النظام البوليسي الفاشي ، ويشكك في صدق مزاعمه التي تتحدث عن الشفافية والنزاهة والالتزام بالضوابط القضائية .

ولا أظن أن الأمر يخفى على المراقبين في الداخل والخارج ، فالهدف من هجاء الإسلام والإسلاميين هو عدم تمكين المرشحين الإسلاميين من الفوز ، ومحاولة إقناع العامة بسلامة موقف مرشحي السلطة ، وتسويغ مسبق لعمليات التزوير الغشيم التي تمارسها الأجهزة الأمنية علنا وعلى رءوس الأشهاد ، لينجح المصفقون والمنافقون والجلادون السابقون ، وليقول المجلس المتوقع ردا على طلبات الحكومة الفاشلة : موافقة ! موافقة !

من الأفضل للنظام البوليسي الفاشي أن يوفر على نفسه هذه الحملات الرخيصة ضد الإسلام ، لأن الشعب لن يصدقه ، ولن يقبل بما يقول !

***

حزب فرنسا وحزب الكاتدرائية !

جلست المذيعة المشاغبة مثل القطة الأليفة تبتسم وتفتعل الابتسام أمام محدثها ، وتحاول بقدر الإمكان أن تختلق المواقف التي تثير الابتسام أو الضحك ، وهو يساعدها بما يقرب من التنكيت والتبكيت للنظام والمجتمع ، ويعرض رؤاه التي تتحدث عن الظلم الذي يلاقيه نفر من الشعب المصري يمثلون طائفة قليلة العدد ، ولكنها تظفر بامتيازات الأسد في الاقتصاد والسياسة والحماية والحصانة . كان زعيم التمرد الطائفي يؤكد ويحرص على التأكيد أن الطائفة يبلغ عدد أفرادها اثنا عشر مليونا ، والمذيعة المشاغبة تؤمن عليه وتستمع إلى مسوغاته ولا تشير من قريب أو بعيد إلى التعداد الذي أذاعته مؤسسة إيبو الأميركية وهي مؤسسة ليست منحازة إلى المسلمين (المتوحشين) بسبب! وهو تعداد يقول إن غير المسلمين في مصر يبلغ عددهم أربعة ملايين ونصف مليون بكل أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم ، مما يعني أن مطالبهم بالكوتة افتئات على الأغلبية وتحد لها بل إهانة لها وإذلال لا يقبله المنطق ولا العقل ولا الكرامة التي تحرص عليها السلطة .. ولكن رئيس التمرد الطائفي استمر في عرض مظلوميته المفتعلة ، مبايعا للوريث ، مؤكدا على أن قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين بلغ أرذل العمر ، ولم يدخل إلى حيز التنفيذ، لأن السلطة – بالبلدي الفصيح – تضطهد الأقلية الغلبانة الضعيفة ! وكانت المذيعة المشاغبة تؤمن على كلامه وتفتعل الابتسامات والمباسطات والمفاكهات لتحظى بالرضا الطائفي غير السامي في حضرة الزعيم !

ترتب على الحوار التلفزيوني أن قام أحد الوزراء على الفور وذهب إلى الكاتدرائية ، وبدأ الإجراءات العملية في تقديم القانون إلى القنوات الرسمية لإقراره وفقا لرؤية التمرد الطائفي ، وليس وفقا لرؤية بقية الطوائف والاتجاهات التي تتكون منها الطائفة نفسها !

المفارقة أن المذيعة المشاغبة نفسها كانت في رمضان قبل الماضي تستضيف عالما أزهريا من إدارة الأزهر ، وتتناول معه قضايا مصادرة الكتب الإلحادية والإباحية ، وكانت تنهر الرجل الطيب وتزجره كلما حاول التعبير عن رأيه ، لدرجة أنني تمنيت لو كنت مكانه أن أترك لها المكان وأمضى إلى حال سبيلي احتراما لنفسي وحفاظا على كرامتها .. ولكن الرجل الطيب ظل مذهولا مما تفعله المذيعة الشرسة ، لا يدري ماذا يفعل ؟

الفكرة الأساسية في المفارقة أن هناك نفرا في الإعلام والصحافة والسلطة والمجالات الأخرى متأكدون أن التمرد الطائفي في الدولة يملك مفاتيح المنح والمنع ، والغفران والحرمان ، وهذه المفاتيح مرتبطة جيدا بالموقف من الإسلام ، فالارتباط بالإسلام والدفاع عنه يخرج صاحبه من رحمة التمرد الطائفي إلى جحيم الفقر والفاقة والإقصاء والموت الفكري والمعنوي والعملي ، أما إهانة الإسلام والانتقاص منه ومن أعلامه وعلمائه فهو الباب الملكي إلى الدخول إلى جنة السلطة والمال والشهرة والمكانة الاجتماعية .. قارن مثلا بين أعضاء الروتاري والليونز والأونرهويل والأحزاب الشيوعية والعلمانية والماسونية ؛ وبين أعضاء العشيرة المحمدية وأنصار السنة والجمعية الشرعية .. ولا أقول الإخوان أو الجماعات الإسلامية أو حتى الشبان المسلمين ؟

انظر مثلا إلى الملياردير الطائفي الذي استطاع – بأموال المسلمين التي يقترضها بمئات الملايين من الجنيهات والدولارات- أن يشترى معظم الكتاب والمذيعين والصحفيين والإعلاميين في قنواته وصحفه وشركاته ، وفي الوقت نفسه يتبرع للتمرد الطائفي كي يتمدد وينتشر ، ويبني

قلاعا على هيئة كنائس ضخمة تؤكد أن مصر نصرانية ..وأن النصارى هم أصل البلد ، حتى لو كانت السيدة هاجر المصرية هي أم العرب ؟

الإسلام يبدو عبئا على صاحبه وخاصة إذا أعلن عن إيمانه بالتصور الإسلامي طريقا إلى العمل والإبداع والإنتاج والسلوك والفكر والحياة انطلاقا من قوله تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " (الأنعام : ١٦٢،١٦٣).. أما إذا تهاون المسلم في إسلامه ، واتبع طريق التصور الطائفي عن الإسلام فهو رجل مستنير وتقدمي وغير متعصب وغير متطرف وغير إرهابي .. وترضى عنه الجهات التي تملك الحل والعقد ، ويتم تصعيده إلى أعلى المناصب ودرجات الشهرة والمنفعة ..

هؤلاء الذين يرفضون الإسلام ممن يحملون أسماء إسلامية ويتحركون وفقا للرؤية الطائفية ، هم كيان حزبي غير رسمي ، ولكنه متماسك عمليا وموجود في الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري ، وهؤلاء يمكن تسميتهم بحزب الكاتدرائية ، لأنهم لا يتركون مناسبة لهجاء الإسلام وتشريعاته ووجوده إلا اهتبلوها وراحوا ينتقدون كل صغيرة وكبيرة بدءا من النقاب والحجاب إلى إقامة الصلاة في مواعيدها ورفع اليدين بالدعاء إلى الله مرورا بتطبيق الشريعة ومنع الربا وتحريم الخمور وعدم الفصل بين الدين والدنيا ورفض الإباحية والخلاعة ..

إن حزب الكاتدرائية الذي يحمل أعضاؤه أسماء إسلامية يصر على رفض المادة الثانية من الدستور ، ويطالب بتعديل الدستور لحذفها وليس إلغاء المواد المقيدة للحريات أو تلك التي تمنع الشعب من المشاركة في تقرير مصيره وبناء مستقبله وتحقيق استقلاله ومحاسبة المفسدين والطغاة والخونة .. كما يسعى إلى استئصال كل أثر للإسلام في التعليم والإعلام والثقافة والاقتصاد والمجتمع والسياسة والمؤسسات.. بل إن هذا الحزب يعمل بلا كلل ولا ملل لزرع الفكرة الفرعونية في وجدان الناس وعقولهم مع أن الفرعونية عار يجب أن يتخلص منه المصريون ، لأن الفرعونية تعني التجبر والطغيان وعبودية الشعب المصري وخضوعه للطغاة .

يقول تعالى (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) " القصص : ٤ "، و يقول تعالى : " فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين " (الزخرف : ٥٤) ، ويقول تعالى : " إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين " (القصص : ٨) .

ومع ذلك يخرج أحد الأبواق المزمنة في الصحافة المصرية ليقول : نعم نطلق على منتخب الكرة " الفراعنة " لأننا بالفعل فراعنة أولاد الفراعنة العظام الذين قال عنهم أفلاطون " إنهم أساتذتي في الفكر والفلسفة " وهو يوم فخر عظيم عندما نحيي الدولة الفرعونية أول دولة في العالم قادت الإنسانية إلى الحضارة والتوحيد ، وسوف يصبح العيد الأكبر عندما يمسك المصري المسيحي والمصري المسلم بجواز سفر مكتوب عليه : جمهورية مصر الفرعونية . أ . هـ

والبوق المزمن يخلط بين المصرية والفرعونية . نحن مصريون عرب ولسنا فراعنة طغاة . ومصر لن تكون فرعونية ، بل مصر إسلامية وستظل كذلك إلى ما شاء الله . الإسلام عقيدة المسلم وثقافة غير المسلم وحضارته .. إن مصر المسلمة ستبقى على مر الزمان رمزا للعدل والرحمة والحرية .. وسيذهب الفراعنة المعاصرون إلى حيث ذهب الفراعنة القدامي ، ويا لبؤس مصيرهم ونهايتهم !

إن حزب الكاتدرائية هو حزب فرنسا الذي حارب الإسلام في الجزائر ، وسرق أموالها وثرواتها ، وأزرى بلغتها العربية وشخصيتها القومية ، وسرقها حين وجدها فريسة بلا صاحب ولا مالك ، ولكنه سيلقى مصير الفراعنة القدامي أيضا ، وهو مصير مظلم ومؤلم بمشيئة الله .

حزب الكاتدرائية لا يخجل من تسمية المنتخب القومي بالفراعنة ، ولكنه يخجل أن يسمي بمنتخب الساجدين . لأن السجود ملمح من ملامح الصلاة في الإسلام ، وأي ملمح من الملامح الإسلام مرفوض لدى حزب الكاتدرائية بيتنا .

كنت أتمنى أن تكون المذيعة الشرسة المشاغبة في حضرة عالم الأزهر الطيب أليفة مستأنسة مثلما كانت في حضرة زعيم التمرد الطائفي ، مع أنها تنسب إلى أب طيب كان أستاذا في اللغة

العربية ، ويعد واحدا من الرواد في تخصصه الدقيق ، وكان في تخصصه منتميا إلى الإسلام ووفيا له ، ولكنها للأسف الشديد انحازت لحزب الكاتدرائية بيتنا من أجل مصالح صغيرة ، وهو حزب مصيره إلى الزوال إن شاء الله لأنه حزب غير طبيعي ، وغير إنساني ، ويتمسك بأهداب الفراعنة الطغاة الذين أغرقهم الله في عز سطوتهم وقوتهم جزاء وفاقا، وكانوا عبرة لمن يعتبر !

***

الفرعونية عار .. الإسلامية خيار ..!

استغل حزب الكاتدرائية بيتنا أحداث المباراة الشهيرة في الخرطوم بين مصر والجزائر لينفض سخائمه ، وينفش أحقاده على الإسلام والعروبة ، ويبعث أحط ما ينسب إلى مصر من تاريخ مشين باسم الفرعونية ، ويكفر مصر المسلمة ويخرجها من دينها ، ويعلن أن مصر فرعونية ، لا علاقة لها بالعرب ، ولا بالإسلام بالتالي ، فالعروبة صارت المرادف للإسلام عند الشعوبية الطائفية الخائنة ، مثلما التطرف والظلامية والأصولية والرجعية والتخلف هي الكود المتفق عليه بين فريق الخدمة في المؤسسة الاستعمارية الصليبية ، ودعك من التصنيفات التي يطلقونها على أنفسهم من قبيل الليبراليين والعلمانيين والتقدميين واليساريين .. إلخ .. فهذه كلها تصنيفات تعني شيئا واحدا هو كراهية الإسلام وخدمة العدو الاستعماري الصليبي وحليفته الصهيونية !

والمفارقة أن حزب الكاتدرائية بيتنا وجد فرصة التمدد والانتشار على صفحات الصحف القومية والطائفية والحزبية ، وعلى شاشات الفضائيات المماثلة ،ليكشف عن داخله الشعوبي الموالي للغرب ، في حين لا يجد المدافعون عن الإسلام هوية الأمة بأغلبيتها المسلمة وأقلياتها غير المسلمة ؛ فرصة ولو ضئيلة للتعبير عن إرادة الأغلبية ورؤيتها !

قال أحد الطائفيين الحقدة في مقالات مليئة بالتناقض والكذب والادعاء إنه توصل من خلال دراسة علمية (على أساس ديني؟)- كيف ؟ - إلى أن هويتنا فرعونية ، وأن العرب فراعنة يجب أن ينتموا إلى مصر لأن أمهم هاجر المصرية والأبناء ينسبون إلى الأجداد وليس إلى الأحفاد ! وهذا التخليط يدل على خلل في الجهاز العصبي لفريق الخدمة الاستعماري الصليبي في حزب الكاتدرائية بيتنا . العرب العاربة أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، والأبناء ينسبون للآباء والأجداد ،وليس للأمهات والجدات .. اللهم إلا ما تقترحه كاتبة من الحزب ذاته من ضرورة نسب الابن إلى أمه وليس إلى أبيه.. والعجيب الذي ليس عجيبا هو أن حزب الكاتدرائية بيتنا يريد أن يفرض على ثمانين مليون مسلم أن يتخلوا عن إسلامهم ويؤمنوا بفرعون نبيا ورسولا ، ويفخروا به حتى لو وصفه القرآن الكريم بأحط الصفات مثل الإفساد والاستخفاف والطغيان والظلم المبين والجهل الفاضح. القوم يريدون أن نتخلى عن ديننا ونقبل العبودية للفراعنة الجدد القادمين من وراء البحار ولو كانوا قتلة وسفاكي دماء لنتعلم منهم – وهم المستعمرون الهمج – أصول الحداثة والتقدم والتحضر ، بينما لم يقدموا لنا غير الدم والقهر والانحطاط ونهب أموالنا وثرواتنا وسرقة تراثنا وتسويق بضائعهم عندنا ، فضلا عن بث الفرقة والتشرذم والتفرق ، وتحريض الأخ على أخيه ليقاتله ويسفك دمه وينسى عدوه الأصلي ؟

يتحدث أحدهم عن الفترات التاريخية التي مرت بها مصر ،ويشير إلى الحقبة الفرعونية بأنها الحقبة الوحيدة التي أبدعت فيها مصر حتى أصبحت أول إمبراطورية في التاريخ، وكان ذلك في عصر تحتمس الثالث (الأسرة ١٨)، هذه الحقبة كانت قبل الغزو الأشوري.. مرورًا بالفارسي ، ثم اليوناني، ثم الروماني (٦٧٠ سنة)، ثم العربي (٢٢٨ سنة)، ثم المغربي (الفاطميين) ثم الكردي (صلاح الدين).. ثم المملوكي ثم التركي (سليم الفاتح)...إلخ!.. يتوقف صاحبنا عند الاستعمار التركي ولا يشير إلى الاحتلال الفرنسي ولا الاحتلال الإنجليزي ولا الاحتلال الصهيوني !

وتأمل وصفه للفتح الإسلامي بالاحتلال العربي ، وحكم صلاح الدين الأيوبي ومن قبله الفاطميون ومن بعده العثمانيون بالاحتلال ؟ مما يعني أننا حتى الآن ، ووفقا لأدبيات التمرد الطائفي الذي

تقوده الكنيسة الأرثوذكسية مازلنا محتلين من العرب ، أي إن حكومة مصر العربية دولة احتلال يجب تحرير المصريين الذين هم ليسوا عربا ولا مسلمين من هذا الاحتلال ! وهذا ما جعل صاحبنا وهو طائفي متعصب وحاقد يوجه الشكر لامرأتين تتعاطيان الكتابة فقال : " تحية إكبار وإجلال للكاتبة الموهوبة .... التي كتبت- فلتسقط العروبة- وتحية إجلال وإعزاز للكاتبة الفنانة التي تغلي عروقها بدماء فرعونية مصرية.. .... ومقالها الرائع- فضوها بقى- وتتساءل.. لماذا نتخلى عن هويتنا.. والكل يتمنى تاريخنا، وفرعونيتنا بكل ما فيها من عناد وشموخ.. ورقى.. وعلوم.. وحضارة؟ " ..

إسقاط العروبة بما تشير إليه من انتماء إسلامي هو هدف الكاتب الطائفي الحاقد المتعصب ، ولذا فرح بما تقوله المرأتان الفاضلتان ، ونحن نتمنى له أن يسعد بهما في حزب الكاتدرائية المعادي للعروبة والإسلام ، ولكننا نسأله لماذا يغالط ويزيف التاريخ ؟ إنه يقول دون أن يرف له رمش أويختلج له جفن ضاربا عرض الحائط بحقائق التاريخ والجغرافيا معا :

هل رأيتم شارعا في فرنسا باسم هتلر ..؟ وشوارعنا وميادينا عليها اسم قمبيز المحتل الفارسي مرة ، ومرة باسم المأمون الذي قتل من مصر آلافا وكان ذلك في ثورة البشموريين من الأقباط والمسلمين وأحرق قرى بالمئات .. ومرة باسم صلاح الدين الذي قتل ١٦٥ ألفا من المصريين ...وصاحبنا الطائفي المتعصب الحاقد يخلط ويغالط ويزيف ليتخلى المصريون عن إسلامهم من أجل سواد عيونه ويدخلوا في دين الفراعنة من جديد .

إن فرنسا لا تسمي شارعا من شوارع باريس باسم هتلر لأنه محتل ، ولكن مصر الفرعونية سمت شوارعها بأسماء الغزاة الصليبيين الهمج من الفرنسيين والإنجليز ، ومازال بعضها قائما حتى الآن ، فلا تتعجب إذا كانت التسمية باسم قمبيز الذي ليس بالضرورة هو قمبيز الفارسي ، فقد يكون اسم ميكانيكي أو فتوة من فتوات زمان وأطلق اسمه على الشارع الذي كان يسكنه!

الخليفة المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد ؛ الذي قال للسحابة أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك ، وأخو الخليفة المعتصم الذي استنجدت به امرأة مسلمة ضربها رومي صليبي متعصب ، قائلة : وامعتصماه ! فقال لها : لبيك يا أختاه ،فأنجدها وحول ليل عمورية إلى ضحى كما يقول جدنا أبو تمام صاحب البيت الأشهر : " السيف أصدق أنباء من الكتب .. " . وهؤلاء من أعلام الدولة الإسلامية التي علمت همج أوربا كيف يستحمون وينظفون أنفسهم .. أما المأمون فهو البطل المسلم الشجاع الذي قضى على التمرد الخائن الذي قاده البشموريون الطائفيون المتعصبون ناقضو العهد في براري الدلتا ، وألزمهم باحترام العهد والدولة والخليفة والمواطنة !

وصلاح الدين المسلم الكردي الذي أعاد مصر إلى الإسلام السني ، وطهرها من الحشاشين الذين عاثوا في الأرض فسادا وطرد زعماءهم المجرمين خارج مصر ، وهو بعد ذلك وقبله البطل الذي يفخر به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لأنه حرر القدس من الصليبيين الهمج القتلة الذين استوطنوا الشام واستحلوا دماء المسلمين وثرواتهم وتراثهم ..نحن نحب صلاح الدين الناصر لدين الله ، كما نحب الخليفة المأمون محرر مصر المسلمة من التمرد الطائفي الأكبر في التاريخ ، ونحب السلطان العثماني محمد الفاتح الذي حرر القسطنطينية من القتلة الصليبيين وجعلها مدينة السلام لكل البشر !

ومهما كان الجدل حول معنى كلمة الفرعون هل تعني البيت العالي أو البيت الأبيض أو الكرملين أو عشرة داوننج ستريت أو فراعنة مصر وحكامها في الحقبة الذهبية لعبودية المصريين واستذلالهم وقهرهم ، فهي لا تخص مصر العربية المسلمة التي ترفض الفرعنة لفظا ومعني لأنها عار يجب أن يتخلص منه المصريون لما تعنيه من جبروت ظالم وطغيان فاحش وجهل عظيم ، وتقدم للعالمين بكل فخر " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " (النحل : ٩٠).

مصر المسلمة يعنيها من مصر القديمة ما صنعه أهلها من حضارة ومن قيم ومن تراث يمثل شاهدا على حركة الإنسان في وادي النيل ، وهو ما استطاعت الحضارة الإسلامية أن تهضمه بعد تناول الصالح منه ورفض الطالح بوثنيته ومخالفته الفطرة الإنسانية .

إن حزب الكاتدرائية بيتنا يرمز إلى الإسلام والعرب بثقافة الرمل كما فعل ذات يوم شاعر نصيري (علوي) من سورية اسمه أدو نيس ، ويشيرون إلى ثقافة الفرعنة بثقافة النهر ، وهي مغالطة سخيفة لا تستحق الرد لأنها هجاء سخيف للعروبة والإسلام . يقول الطائفي المتعصب الحاقد : ثقافة الرمل قامت على الغزو.. والاعتداء.. والاغتصاب.. اغتصاب حقوق وأوطان الآخرين.. وثقافة النهر.. قامت على الحب والدفاع عن حقوق الآخرين !

وليته يتذكر - هذا المتعصب الحاقد - أن ثقافة الرمل هي التي حررته وحررت دينه ، وجعلت آباء كنيسته يخرجون إلى النور بعد طول اختباء وذعر وهوان ، ولكن يبدو أن التسامح بغير حدود يمنح الحقدة فرص التمرد وطول اللسان والقدرة على الكيد .. ولكن من قال إن ذلك سيبقى طويلا ؟

***

الغرب والعنصرية !

روع العالم الإسلامي بمقتل شابة مسلمة في ألمانيا صباح الأربعاء ٢٠٠٩/٧/١م اسمها مروة الشربيني داخل إحدى المحاكم الألمانية . كانت الصيدلانية مروة حاملا في الشهر الثالث ، وذهبت إلى المحكمة لتقاضي شخصا ألمانيا أهانها وهي تقوم بوضع ابنها (٣ سنوات) على المرجيحة في إحدى حدائق دريسدن ، ووصفها بأنها متطرفة وإرهابية وعاهرة لأنه رآها ترتدي الحجاب ! حكمت المحكمة أول الأمر بغرامة تقرب من سبعمائة يورو، وفي الاستئناف طعنها المذكور الذي يقال إنه من أصل روسي ١٨ طعنة بالسكين في قلب المحكمة أمام الناس جميعا والشرطة تتفرج ، وحين هم زوجها بالدفاع عنها فإن الشرطة الألمانية أطلقت عليه الرصاص على الفور ، ونقل إلى المستشفى في حالة خطرة .

الجريمة أعادت إلى الأذهان حوادث أخرى عديدة تم فيها الاعتداء على مسلمين يقيمون في أوربة والولايات المتحدة منهم أئمة وخطباء وأفراد عاديون يعملون بشرف وإخلاص في البلاد التي يقيمون فيها ، وتنوعت صور الاعتداء بين قتل وحرق واضطهاد وابتزاز وحصار اجتماعي ، وتخريب للمساجد والبيوت والمقابر الإسلامية ، وقد اعترف الرئيس الأميركي أوباما بشيء من ذلك في خطابه بجامعة القاهرة ٢٠٠٩/٦/٤ م .

ولا شك أن مقتل الشهيدة مروة بهذا الشكل البشع ، والقاتل الإرهابي لا يعرفها معرفة شخصية ، إلا من خلال الحجاب الذي ترتديه داخل محكمة مؤمنة تأمينا جيدا ، يؤكد أن روح التعصب والعدوانية والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين باتت تشكل ظاهرة خطيرة في الغرب الذي يتغنى ليل نهار بالتسامح وقبول الآخر والحرية إلى أقصى مدى .. وغير ذلك من شعارات صدع بها رءوسنا طويلا ، انهارت مرة واحدة بمواقفه التي تخالف هذه الشعارات .. فالشرطة على سبيل المثال لا يمكن أن تقف صامتة أمام قتل مروة وتهرع لمحاولة قتل زوجها إلا إذا كان رجال الشرطة ينظرون إلى المسلمين نظرة معادية فيها من التعصب والعنصرية ، ما يفسر موقفهم المشين ، ثم إن الحكومة الألمانية وقد تعاملت مع الموضوع ببرود شديد يؤكد على أن هناك تيارا قويا ينظر إلى المسلمين باستخفاف شديد ، فضلا عن كراهية عميقة يكنها للعالم الإسلامي وإن لم يبدها علنا ! بل إن موقف الحكومة من تقديم القاتل إلى القضاء وتوجيه تهمة بسيطة إليه يؤكد أن المسلم في منظورها لا قيمة له !

ولعل ذلك ما دفع بعض الصحف الألمانية إلى التساؤل عن عدم المبالاة من جانب الصحف والحكومة الألمانية ، فقد تساءلت صحيفة دير تاجسبيجل قائلة: لماذا بقي مقتل امرأة محجبة لم تسقط ضحية جريمة شرف مجرد خبر هامشي صغير لمدة أسبوع؟ هل يمكن أن يكون التعامل مع هذه الجريمة انعكاسا لطريقتنا في التفكير؟.

ثم إن القاتل يمثل جيلا جديدا من الشباب نشأ على كراهية الإسلام بحكم ما يسمعه ويراه في الصحف والإذاعات وشاشات التلفزة وفي التعليم العام والكنائس عن الرؤية الغربية للإسلام ، وهي رؤية معادية تتسم بالتعصب والعنصرية والعدوانية والنظرة الاستعلائية ، بالإضافة إلى موقف البابا بندكيت الحالي الذي وصف الإسلام بأوصاف غير مقبولة(دين شرير !) في بعض خطبه التي أذيعت على نطاق واسع ، وتأثر بها الغرب بأسره وعدها إعلانا بالحرب على الإسلام والمسلمين ، وهو ما تمثل في الاضطهاد العنصري الذي يعانيه كثير من المسلمين المقيمين في أوربة وأميركا الآن ، بل وفي القرارات التي تتخذها بعض الدول في تحريم

الحجاب والنقاب ، وحرمان المحجبات من الدراسة في المدارس الحكومية ، والعمل في وظائف الدولة والشركات والمؤسسات :
إن روح الكراهية التي تملأ وجدان قطاعات كثيرة في أوربة وأميركا ؛ تبدو نتيجة لبعث الروح الصليبية القديمة التي تأججت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ المريبة ! ثم إن غالبية الغربيين الآن يرون المسلم إرهابيا يتأهب للتفجير والقتل والدم ، كما يرون المسلم في الغرب عالة ومصدر عناء ، وسببا في انتشار البطالة والمشكلات والجريمة !
لقد كان رد الفعل ضد الجريمة النكراء في العديد من الدول الإسلامية ، وخاصة مصر غاضبا وعاصفا ، وتظاهر كثيرون أمام السفارة الألمانية في القاهرة ، وانطلقت دعوات تدعو إلى مقاطعة ألمانيا اقتصاديا ، وخاصة السيارات التي تصدرها إلى العالم الإسلامي : المرسيدس والفولكس والبي إم دبليو وغيرها. وهو ما دعا البروفيسور بيتر هاينه، أستاذ العلوم الإسلامية بجامعة هومبولت في برلين، إلى القول في تصريحات نشرتها صحيفة بيلد الألمانية إنه يجب أن نأخذ غضب الشعب المصري بشكل جدي للغاية، مشددا علي أن هذا الغضب حقيقي لا تنظمه أنظمة معينة.
وقال هاينه إن تصريحات نائب المتحدث باسم الحكومة الألمانية، التي وصف فيها الجريمة بـ الشنيعة وإنها تسببت في حالة من الصدمة والآسي في ألمانيا ، لم تكن كافية ، مشيرا إلي ضرورة تدخل المستشارة أنجيلا ميركل شخصيا في الأمر .
ولا شك أن الأدبيات المعاصرة في الغرب حول الإسلام والمسلمين تشير إلى طابع التعبئة بالكراهية والتعصب والعنصرية ، وخاصة من جانب رجال الدين المسيحي ، والكتاب المشهورين والمستشرقين ،ولعل فيما قاله القس المثقف بينام الذي يحمل درجة الماجستير في اللاهوت بالإضافة إلى شهادة في العلوم السياسية وأخرى في العلاقات الدولية، ما يؤكد على الطابع العنصري في التفكير الغربي المعاصر لدي قطاع عريض على الأقل . يقول بينام :
"منذ رؤيا محمّد في مطلع القرن السابع، ذُبح الملايين بسبب أكذوبة الإسلام. هذا الدين الزائف، المولود من قعر الجحيم، أدّى إلى لعنة دائمة حلّت بملايين البشر الذين يحبّهم الله'!"
إن تصوير الإسلام بهذه الصورة المشوهة والكاذبة يجذب كثيرا من المتعصبين والعنصريين في الغرب ، ويدفعهم إلى ممارسات عدوانية وشاذة ..يدفع ثمنها مسلمون بسطاء يسعون إلى الرزق أو العلم أو المعرفة .
ولا يقتصر الأمر على مجرد تشويه صورة الإسلام بل يمتد إلى التحريض السافر ضد المسلمين ، ولنقرأ ما يقوله المستشرق البريطاني الأشهر برنارد لويس لصحيفة 'جيروزاليم بوست'، العبرية : 'يوشك الإسلام على التحوّل إلى القوّة المهيمنة في أوروبا، بسبب الانضباط السياسي، حيث تنازلت أوربا عن خوض معركة الرقابة الثقافية والدينية'؛ وأصبح السؤال الأهمّ حول مستقبل أوروبا هو التالي: هل ستكون أوروبا متأسلمة، أم إسلام مُتَأورب'. كلّ هذا في غمرة تعاظم تأييد المسلمين الأوروبيين للحركات والمجموعات الإسلامية المتشدّدة. وفي المقابل، وبدل 'مكافحة هذا التهديد'، استسلم الأوروبيون، فخسروا 'ولاءاتهم وثقتهم بالذات'، وفقدوا 'احترام ثقافتهم الوطنية'، وبذريعة التعددية الثقافية 'استسلموا' للإسلام والمسلمين!
ويقترح لويس أن يقوم الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة بالنيابة عن أوربة في مكافحة الإسلام بخوض معركة ثقافية ضدّ هيمنة الإسلام عن طريق تشجيع وسائل الإعلام العبرية ، الفضائية منها بصفة خاصة، لكي تقدّم للمسلمين بديلاً ديمقراطياً عن العنف والتطرّف !
لقد كان برنارد لويس صريحا في تحريضه ، وتقديم مسوغات هذا التحريض المتمثلة في زيادة عدد المسلمين عن طريق التكاثر ، وهو ما أشار إليه في حديث لصحيفة دي فيلت الألمانية . يقول :
"'أوروبا سوف تكون جزءاً من المغرب العربي'. لماذا؟ لأنّ 'التوجهات الحالية تظهر أنّ أوروبا ستشهد أغلبية مسلمة في نهاية القرن الحادي والعشرين على أقصى تقدير'، وإلى جانب الأعداد المتزايدة من المهاجرين العرب والمسلمين، فإنّ الأوروبيين يتأخرون في سنّ

الزواج ولا ينجبون سوى عدد قليل من الأطفال، بعكس مسلمي أوروبا الذين يتزوجون في سنّ مبكرة وينجبون عدداً أكبر من الأطفال" .
مهما يكن من أمر ، فإن مواجهة العنصرية الغربية يقتضي منا نحن المسلمين أن نحافظ على إسلامنا أولا ، فلا يعقل أن يكون بيننا من يتفرغ لهجاء الإسلام وتشويهه بأقلام عربية وأسماء إسلامية ، وأن نحترم مواطنينا في بلادنا ونسعى لحفظ كرامتهم وصيانة حقوقهم ، وأن نقدم الصورة المضيئة للإسلام في السلوك والعلم والعمل ، وأن يتم التعامل مع الغير بالمثل ، وأن يكون لدينا الحق في اتخاذ الإجراءات الوقائية والكفيلة بردع العنصرية الغربية ، ولدينا وسائل عديدة اقتصاديا وسياسيا وفكريا .. ثم إن القوة المعنوية والمادية غالبا ما تحسم مثل هذه الأمور ، فالناس عادة يعدون الضعيف لا قيمة له ، ولا ثمن .

***

الدولة البوليسية .. والتطرف الشيوعي!

يواصل مثقفو الحظيرة نشر مغالطاتهم وأكاذيبهم على الناس في صلافة تصل حد الوقاحة من خلال الآلة الإعلامية الحكومية والحزبية والخاصة الواقعة تحت الهيمنة البوليسية، لتحقيق هدفين ؛ الأول : خدمة الدولة البوليسية والتمهيد لخطواتها في استئصال الإسلام وإبعاده عن الواقع الاجتماعي تحت ذرائع متعددة من قبيل التطرف والإرهاب والظلامية والأصولية والسلفية والتخلف والدولة الدينية ...إلخ ، والآخر تحقيق منافع ذاتية وخاصة على المستويين المادي والنظري ، بعد أن انكشفت حقيقتهم المزيفة وموالاتهم للصهيونية ، وانكسرت قوتهم بسقوط الراعي الرئيسي(الاتحاد السوفيتي) ، وتضاءل وجودهم العددي والفكري ، بعد توهج الفكرة الإسلامية ونفض الرماد عنها ..

لقد تعود مثقفو الحظيرة على أن يقولوا ويسمع الناس ، وأن يأمروا الواقع الثقافي فيطيع ، بحكم ما أعطته الدولة البوليسية لهم من إمكانات هائلة للنشر والتعبير، ووسائط حكومية وحزبية وخاصة تقع تحت الهيمنة البوليسية ، ولكن الشبكة الضوئية وإمكاناتها المذهلة أفقدتهم صوابهم ، بعد أن أتاحت للأقلام المحجوبة أو الممنوعة من النشر في الوسائل التي يفترض أنها قومية أو حزبية أو خاصة ، تقديم الحقائق ، ومواجهة الجرائم الفكرية والثقافية التي يقترفها الحظائريون الشيوعيون المصريون وأشباههم من الباحثين عن المنافع الذاتية والمصالح الشخصية ..

لن تكون جائزة القمني آخر هذه الجرائم بالطبع ، فالقوم يحاربون - في حماية الدولة البوليسية – معركتهم الأخيرة إن شاء الله ، ويتصورون أن إمكاناتهم في سحق الإسلام بلا حدود ، ولكن قدر الله لا يتخلف ، فهناك أجيال جديدة تملك الوعي ، وتنافح عن الدين بما تملك من جهد ودم ، وترى مصر عقل الإسلام الذي لا يمكن التفريط فيه ، كما أنها تؤمن بالرابطة الشرقية ،أي الرابطة الإسلامية ، التي أهانها شيوعي طائفي قديم ووصفها بالسخافة ذات يوم بعيد ؛ تقربا إلى سادته الاستعماريين الذين كان يتقرب إليهم بكل الوسائل ، ومنها كتابة التقارير ضد الأدباء والصحفيين ، ومنهم العقاد رحمه الله . لقد ذهب المخبر وبقي العقاد !_ وتلك سنة الله في خلقة : الزبد يذهب جفاء ، أما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، فاعتبروا يا شيوعيون .. يا أهل الحظيرة !!

قال أحد الشيوعيين الذين منحوا جائزة دولة في عام مضى بعد أن أهان الذات الآلهية : إن الدستور المصري يعطى شرعية للتطرف؛ بسبب المادة الثانية التي تنص على أن الدين الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع، كما قال إن الدستور يعطى بيد ما يأخذه بالأخرى.

وأضاف الشيوعي الذي أهان الذات الإلهية في خلال الندوة التي عقدت بمكتبة ما، إن ثوابت الأمة تختلف من مكان لآخر؛ فالثوابت في مصر الجديدة غيرها في بولاق الدكرور، مشيرا إلى أن المرجعية الواحدة التي يقف عليها يوسف البدرى والمحامى الذي وكله لرفع دعوة قضائية ضده هي المرجعية نفسها التي يقف عليها القضاة في مصر.

هكذا يكشف الشيوعيون عن وجههم الحقيقي المعادي للإسلام ، الراغب في استئصاله ، الساعي إلى إبعاده حتى من مادة صورية في دستور لا يخدم إلا الدولة البوليسية التي يلمّع الشيوعيون بيادتها .

الشيوعي يريد إلغاء المادة الثانية من الدستور لأنها تشير إلى إسلامية الدولة ! الإسلام لا يريده الشيوعيون ومن يستخدمونهم ، ولكن هل يوافق المصريون المسلمون وهم الأغلبية التي تشكل

٩٩٠٥٠% من سكان مصر بإيمانهم بالإسلام عقيدة أو ثقافة ؛ على استبعاد الإسلام من دستورهم؟ أظن أن ذلك أمر مستحيل ، لأن الإسلام حياتهم ومستقبلهم ، وتراثهم وتاريخهم وأمجادهم وأحلامهم ، وألآمهم وأحزانهم .

من المؤكد أن الشيوعي الجهول يعزف على الوتر النشاز الذي يردده بقية الشيوعيين من خدام الدولة البوليسية ، في الحظيرة ، وهو الكلام عن الثوابت الإسلامية التي هي ثوابت الأمة بالضرورة ؛ بطريقة تؤكد أمرا من اثنين : إما أنه جاهل لا يفقه معنى الثوابت في المفهوم الإسلامي وتشريعاته ، وإما إنه عميل للجهات التي تسعى لاستئصال الإسلام . وفي الحالين فأمره إلى خسران مبين وجرم كبير ، ذلك أن الثوابت الإسلامية لا تتغير في مصر الجديدة ولا بولاق الدكرور ولا وسط البلد فالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد مثلا لا تتغير في شرم الشيخ ولا تختلف في شارع كريم الدولة الذي يسكنه المسلمون وليس الشيوعيون ،والمرجعية الإسلامية واحدة لا تختلف عند فلان أو علان لأنها واحدة ذكرت في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأجمعت عليها الأمة بشكل واحد وصورة واحدة ، ولم يشذ عنها احد من المسلمين ، اللهم إلا الشيوعيون وأشباههم من خدام الدولة البوليسية الفاشية .

الشيوعي الذي يسخر من الثوابت من خلال حديثه عن اختلافها في بولاق الدكرور ومصر الجديدة ، لا يكتفي بهذه السخرية ، ولكنه ينتقل إلى إدانة قضاة مصر لأنهم مسلمون ، والإسلام في نظر الشيوعي الحكومي جريمة لا تعادلها جريمة كما علمه سادته الذين في كريم الدولة ولاظوغلي ، وإنه لشرف عظيم لقضاة مصر أن ينتسبوا إلى الإسلام ، وان يكون الإسلام مرجعيتهم الأولى والأساسية ، ويبدو أن صاحبنا رأى في القضاة الذين نفذوا القانون وسحبوا منه الجائزة التي حصل عليها مكافأة لإهانته الإسلام والذات الإلهية ، خصوما يجب أن ينال منهم ، وان يصمهم بالصفات الكريهة التي يصف بها الشيخ يوسف البدري ومحاميه ، وهذا لعمري دليل على الخواء والسطحية ، وفراغ القلب والعقل من الرؤية الإنسانية والعواطف الكريمة .. وبدلا من مراجعة النفس ، واحترام عقائد الناس ، يلجأ أمثال هذا الشيوعي الحكومي إلى التشهير بهيئة اجتماعية تحرس العدالة وسط ظروف قاهرة ، وتحاول ما وسعها الجهد أن تقف إلى جانب القانون حرصا على العدل والحق العام والحق الخاص .. بيد أن الشيوعيين الحكوميين يريدون إخضاع الدنيا والدين والدولة لهم ولإرادتهم الصهيونية الفاشية !

المفارقة أن الشيوعي الحكومي لا يخافت بالدعوة إلى إلغاء الإسلام ولكنه ينادي جهارا نهارا بإقصائه بحثا عما يسميه الدولة المدنية ، وكأن الدولة البوليسية التي تستخدمه لا تمثل له قلقا أو أرقا مع أنها حاضنته وحاضنة أمثاله ، ولذا يطالب بتغيير الدستور ، ويعلن أن الدستور ليس مقدسا لأنه يعبر عن واضعيه وأصحاب الحل والعقد لما يأتي مع مصالحهم أولا ثم المصلحة العامة ثانيا، مشيرا إلى أن العصور الأولى قبل المدنية في مصر كان الناس يسألون رجال الدين والمشايخ، ولكن مع تطور الدولة المدنية نشأ القانون وحل الفتوى إلا عندنا في مصر، وظلت النهضة المصرية الحديثة تأخذ بالقانون والفتوى – كما يقول الشيوعي الحكومي - مما أدى للانشقاق في المجتمع، فمرة التعليم دينيا ومرة أخرى نراه مدنيا، و كثيرا ما تتعارض المرجعيات(؟) ويحدث تفسخ في المجتمع!

الفتوى هي الهاجس الذي يقلق الشيوعيين وأشباههم في مصر ' وهي رمز إسلامي ينبغي في تصورهم حذفه ومحوه من الوجود حتى تتحقق " مدنية " الدولة ، وكأن القانون في مواجهة الفتوى ، والدستور في مواجهة الإسلام ؟

وبالطبع يتجاهل الشيوعي الحكومي أن انشقاق المجتمع جاء من مصادرة الحريات ولصوصية الكبار المدعومة بالقانون ، فتحول الناس إلي فريقين : الفقراء والكادحون وهم الأغلبية الساحقة ، والأثرياء وخدامهم من الشيوعيين وأشباههم في الدولة البوليسية الفاشية، ولا تستغرب أن يكون الشيوعيون المصريون في خدمة الأثرياء .. لقد صاروا أصدقاءهم وندمانهم وسمارهم وأقلامهم ومروجي أفكارهم لا سيما الطائفية والشعوبية ، وهم يجدون المقابل في صحف الأثرياء وقنواتهم التلفزيونية وجوائزهم الثقافية (؟) ومنتدياتهم وشركاتهم وسهراتهم المخملية !

سيبقى الإسلام في الدستور أو خارج الدستور ، ولن يستطيع أحد أيا كان أن ينال من الإسلام لأنه محفور في الصدور والقلوب والمشاعر ، حتى لو طمسته رمال القهر والطغيان وجرائم مثقفي الحظيرة من الشيوعيين وأشباههم!

حاشية :

يا وزارة الداخلية : ازداد عدد القتلي على الطرق السريعة والفرعية ، والقاتل الرئيس بل الوحيد هو السيارات الضخمة التي تجر مقطورة أو المسماة بالتريلا ، ونسأل متى يتوقف نزيف الإسفلت في ظل سطوة الحيتان أصحاب المقطورات؟

وحتى يتم تطبيق قانون توفيق أوضاع هذه السيارات تستطيع الداخلية أن تمنعها من السير في أوقات الذروة على جميع الطرقات ، ومن الطرقات الفرعية الضيقة في كل الأوقات ؟

***

الفرح يأتي من الشرق ؟

فلنترك عالمنا العربي الإسلامي الحزين المسكون بالآلام والمحن ، والمتاعب والتخلف ، والطواغيت واللصوص ، ونرحل إلى المشرق حيث مطلع الشمس ، لنستمع إلى نغمات شجية تلخص حركة شعب يبحث عن مزيد من التقدم والرفاهية ، ومزيد من الحرية والاستقلال .
الشعب الياباني أجرى انتخابات شفافة في أواخر أغسطس ٢٠٠٩م ، أزاحت الحزب الحاكم الذي ظل متربعا على سدة الحكم خمسا وخمسين عاما ، مليئة بالإنجازات الحقيقية وليس الورقية والإنشائية ، ولكنه مع ذلك خسر أمام الحزب المعارض الذي وضع سقفا مرتفعا لآمال الشعب الياباني وطموحاته ، تصوروا الشعب الياباني الذي ينافس الولايات المتحدة في التقدم والرفاهية يرى نفسه في درجة أدني من الآخرين ؟ ويتطلع إلى تحقيق المزيد من الطموحات والآمال ؟
لقد اعتذر آسو ـ رئيس الوزراء المهزوم - في مؤتمر صحفي عقده عقب إخفاقه في الانتخابات ؛ عن الخسارة الفادحة لحزبه الحاكم ، وقد أرجعها لفشله في معالجة المشكلات الاجتماعية المتفاقمة واتساع الفجوة بين دخول اليابانيين ، مؤكدا تحمله مسئولية الهزيمة النكراء والأولي لحزبه الليبرالي منذ٥٥ عاما.
وأضاف أنه اتخذ قرار حل مجلس النواب والدعوة لإجراء انتخابات مبكرة في التوقيت المناسب ، لاسيما أنه كان منتظرا الإقدام علي مثل هذه الخطوة عقب توليه رئاسة الوزراء في سبتمبر الماضي.
وأكد آسو أنه لم يكن من الخطأ منح الأولوية لخطط التحفيز الاقتصادي في خضم أزمة مالية واقتصادية عالمية بدلا من الدعوة لانتخابات مبكرة، وذلك في محاولة لتبرير تأخره في الدعوة إليها، مما منح الحزب المعارض فرصة ثمينة لتدعيم قواعد شعبيته.
كما أكد أنه سيضمن إعادة بناء الحزب الليبرالي الديمقراطي الذي سينتقل لمقاعد المعارضة للمرة الأولي منذ تأسيسه عام١٩٥٥.
تصوروا الحاكم الياباني يستقيل ببساطة ، ولا يطعن في شرعية الانتخابات ، ويعتذر عن خسارته ، ويعترف بفشله في حل المشكلات الاجتماعية المتفاقمة (؟)، واتساع الفجوة بين دخول اليابانيين (!) ، هل يعلم رئيس الوزراء الياباني المستقيل شيئا عن الفجوة بين أغلبية المصريين الساحقة وبين أقلية ضئيلة تتمتع بالمليارات والملايين ؟ إنه رئيس وزراء حالم لا يعيش في مصر .. ثم يعلن في فروسية ونبل أنه يتحمل مسئولية الهزيمة النكراء التي أطاحت بحزبه الليبرالي الديمقراطي عن عرشه لأول مرة منذ ٥٥ عاما !
أرأيتم كيف يتعامل الحكام الذين لم يتعلموا الإسلام ، ولم يطالعوا الآية الكريمة : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان ،وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .." (النحل : ٩٠) .
الحاكم الياباني المستقيل لم يلجا إلى تزوير الانتخابات ، أو منع الناخبين غير المؤيدين له من الوصول إلى صناديق التصويت ، أو منعهم من الترشيح أصلا، ولم يطلق على معارضيه كلاب جهنم للتشهير بهم وتجريحهم والنيل من أعراضهم .

الحاكم الياباني يفسر أسباب الهزيمة النكراء بوضوح ودون تلعثم ، أو استخدام لغة المجاز ، ويعد بأنه سيكافح من أجل إعادة بناء الحزب وسياسته.. هل يعترف حكام العرب والمسلمين بأخطائهم بمثل هذه الشفافية ؟

لقد بدأت اليابان نهضتها الحديثة بعد ثمانية عقود من النهضة المصرية التي بدأها محمد على ، وخاضت حربين عالميتين خرجت منهما خاسرة ومدمرة ، وكانت أول دولة تصيبها القنابل الذرية بعد القصف الأميركي الهمجي في الحرب الثانية ، ولكنها نهضت وتفوقت ، وصارت اليوم رمزا للجدية والعمل والانضباط والتقدم ، بل صارت تناطح الدولة العظمى التي دمرتها ووضعت أنفها في الرغام !

لقد سادت حالة التفاؤل بين الأوساط اليابانية، وقفزت أسعار الأسهم في بورصة طوكيو في رد فعل إيجابي علي فوز المعارضة، حيث قفز مؤشر نيكي٢٣٢,٨٦ نقطة ليصل إلي١٠٧٦٧ نقطة، وهو أعلي مستوي له منذ مطلع العام الحالي، كما ارتفع سعر صرف الين الياباني مقابل الدولار الأمريكي الذي بيع عقب الفوزمباشرة بـ٩٣,٢٧ ين.

لقد وصف هاتوياما – زعيم المعارضة الفائز ـ الانتخابات بأنها ثورة من الناخبين علي الوضع القائم، وأن الشعب الياباني سئم سياسات الحزب الحاكم ، وكان يطمح للتغيير، وتعهد ـ في خطاب النصر الذي ألقاه عقب الفوز ـ بالإنصات لصوت الشعب ، وألا يتم التعامل معه بتعال ، مشيرا إلي أنه سيركز خلال الأيام القليلة التي تلي انتقال السلطة لحزبه بشكل سريع وسهل ، وأنه سيعكف علي إجراء مشاورات لاختيار أعضاء حكومته الجديدة ، وأن تركيزه ينصب في البداية علي اختيار وزير المالية الجديد حيث إن حقيبة المالية تعد من أهم الحقائب الوزارية في اليابان، ويكتسب المنصب أهمية متزايدة في ضوء الأزمة المالية العالمية الراهنة ، كما تعهد زعيم المعارضة اليابانية الذي حقق فوزا كاسحا بإصلاح النظام الإداري وانتهاج سياسات أكثر استقلالا عن الخط الذي تتبعه الولايات المتحدة.

انظروا إلى الزعيم الذي يتحدث عن سأم الشعب الياباني .. ماذا لوعرف أن شعوب المسلمين تصرخ وتجأر بالصراخ من شدة الآلام والأوجاع التي صنعها المتخلفون الطغاة فأصابوا كبده بالفيروس الذي لا شفاء منه إلا بمعجزة إلهية ؟

انظروا إلى الزعيم الذي يعلن أنه سينصت لصوت الشعب ، ولن يتعالى عليه ، وسيصلح نظامه الإداري والاقتصادي ، وسينتهج سياسة أكثر استقلالا عن الولايات المتحدة .. من من آلهتنا العاجزة ينصت أو يتواضع أو لديه الرغبة في الإصلاح أو الاستقلال ؟

الشعب الياباني لا يملك عوامل التفوق الاقتصادي مثلما نملك ، ولكنه يملك الإرادة التي جعلته يعمل في إطار إنساني حقيقي يحقق لأبنائه جميعا الحرية والكرامة والعدل والمساواة ، فلا محظور ولا محظوظ ، ولا ابن الجارية وابن الهانم ، ولا انت عارف أنا مين ولا أنا ما ليش حد ، ثم إنه شعب يحافظ على ثقافته القومية ولا يفرط فيها مثلما يفعل الوزير الفنان الذي يحارب ثقافة بلاده ، ويقلب حقائق التاريخ ليكون الغازي المتوحش رسول ثقافة وبشير تقدم ؟ لقد كان شرط اليابان في معاهدة الاستسلام : الإبقاء على الإمبراطور رمز الثقافة القومية اليابانية وبالتالي الحفاظ الصارم على اللغة اليابانية والتشدد في تعليمها ورعايتها وفرضها في كل مراحل التعليم وجعلها اللغة الأساسية في المقررات الدراسية !

هل أتاكم نبأ اللغة العربية ، وما تعانيه على يد أبنائها من الصفوة ، وغير الصفوة ؟

لقد أضاء الشعب الياباني الجزر اليابانية بالفرح الحقيقي حين أجري انتخابات حرة نزيهة على الحقيقة وليس على المجاز ، والسؤال هل يمكن أن نرى فيما تبقي من عمر شيئا كهذا الفرح على أرضنا العربية الإسلامية ؟

لست أدري !

***

الحرية الدينية .. والتقارير الأميركية !

تفرض الولايات المتحدة نفسها مسئولا عن حركة العالم ، وترى أن السلوك العام للحكومات والشعوب مرهون بتقديرها وحدها وتفسيرها هي ، وليس ما تضعه المواثيق العالمية والمعاهدات الدولية و الخصوصية الحضارية للأمم والشعوب ، ومن ثم تعطي لنفسها الحق (؟) في التدخل في شئون الأمم والشعوب تحت مسميات شتى ، مثل : إقرار الديمقراطية ، خدمة السلام العالمي ، الحرب على الإرهاب ، ترسيخ الحرية الدينية ... إلخ.

وهذا التدخل يتم في الدول الإسلامية والعربية بالدرجة الأولى ، ويستثني الكيان النازي اليهودي في فلسطين المحتلة ، ودول التعصب الاستعماري الصليبي ، فلا يشير إليها بكلمة ، وإن أشار فهو العتاب الرقيق الذي يتناول الهوامش دون الأساسيات .

وتبدو مصر العربية المسلمة في مواجهة المدفع العدواني الأميركي دائما ومباشرة . وحين أقول مصر فإني أعني الإسلام والمسلمين ، وليس الحكومة والمسئولين ، فالهدف الذي تستهدفه السياسة الأميركية الصليبية المتعصبة هو الإسلام بوصفه عنصر المقاومة الذي لا يلين ، ومنهج الرفض الذي يواجه الوحشية الاستعمارية الصليبية سواء كانت تقودها الولايات المتحدة أو دول أخرى في الغرب الاستعماري الصليبي .

وقد وصلت الولايات المتحدة بتدخلها الإجرامي حد التدخل المسلح الذي دمر أفغانستان والعراق والصومال ، وأعادها إلى عصور التخلف والبدائية ، تحت ذرائع واهية وكاذبة لم تثبت صحتها ، وكانت في تدخلها العسكري المشين تستقدم فوق دباباتها آلاف المنصّرين وملايين النسخ من الأناجيل ، لتخرج المسلمين من إسلامهم ، مع قتل من يقاومون وجودها العدواني ، بل قتل الأبرياء الذين لا يعرفون أين تقع الولايات المتحدة .

وحين تصدر واشنطن ما يسمى بتقرير الحريات الدينية وتخص مصر بعدد كبير من الملاحظات أو الاتهامات بمعنى أدق ؛ حول اضطهاد غير المسلمين ، فهي تتجاهل حقائق ساطعة وواضحة ، وتعلم قبل غيرها أنها اتهامات باطلة وزائفة ، صنعها مجموعة من عملائها يعيشون على أرض مصر ويتلقون منها التمويل المادي

والمعنوي تحت لافتات جمعيات حقوق الإنسان أو مراكز الدراسات الإنسانية أو الاجتماعية ، ونحو ذلك . وهؤلاء العملاء – ومعظمهم طائفيون متعصبون أو متنصرون - يسخّرون جهدهم ووقتهم للحرب على الإسلام والمسلمين ؛ وفقا للخطة الاستعمارية القديمة المتجددة التي تسعى لتنصير المسلمين ، أو زحزحتهم عن مفاهيم الإسلام الصحيحة على الأقل ، أو تحريرها من الإسلام كما يحلم بعض الخونة ؛ في ظل حكومات مستبدة وفاشية تحكم المسلمين بالحديد والنار ، وتشارك الغرب الاستعماري الصليبي في نظرتها إلى الإسلام ، حيث تراه رجعية وإظلاما وتخلفا .

وقد أحسن الأزهر الشريف من خلال مجمع البحوث الإسلامية برده الهادئ على ملاحظات أو اتهامات الولايات المتحدة لمصر العربية المسلمة باضطهاد غير المسلمين ، وفند الأكاذيب والأباطيل التي ردّدها العملاء المتعصبون بصور أخرى في أكثر من مكان ، وأعلنوا الموافقة عليها ضمنا في أكثر من مناسبة !

لقد تضمن البيان ردًا علميًا وفقهيًا على ١٦ ملاحظة صادرة في تقرير الخارجية الأمريكية، تتضمن الاتهامات التي يكيلها للمسلمين صباحا ومساء نفر من الرافضين للإسلام في بلادنا ؛ منهم اليساري المتأمرك والعلماني والليبرالي ، فضلا عن الطائفي المتعصب ومرتزقة الفكر والكتابة وخدام الاستبداد في كل زمان ومكان .

لقد انتقد المجمع ما جاء في تقرير الخارجية الأمريكية من حيث اعتراف التقرير بالتدخل الأمريكي في الشئون الداخلية لمصر، والذي وصفه المجمع بالمخطط الأمريكي الذي يصب في صالح العدو الصهيوني .

ورد البيان على ما أثاره التقرير من زواج المسلم من المسيحية، وزواج المثليين، وإنفاق وزارة الأوقاف على المساجد دون الكنائس وغيرها مما ورد في التقرير..

وأكد على وجود العديد من المغالطات الصارخة في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الخاص بالحريات الدينية في مصر عام ٢٠١٠م، مشيرا إلى أن بعضها مرجعه الجهل بحقائق الإسلام وبحقائق أوضاع الأقليات في مصر ، وبعضها الآخر مصدره سوء النية والرغبة في التدخل بشئون مصر الداخلية، وانتهاك سيادتنا الوطنية.

وفى مواجهة هذه المغالطات، يقدم المجمع للرأي العام المحلى والعالمي وللدوائر الأمريكية التي أعدت هذا التقرير وأصدرته.. وأيضاً للأفراد والجماعات التي أمدت الإدارة الأمريكية بهذه المغالطات ؛ يقدم المجمع لكل هؤلاء الحقائق التي تصحح الأكاذيب.

ونفى مجمع البحوث في بيانه وجود اتجاه مصري لتقييد حرية الاعتقاد، أو الممارسات الدينية، مشيرا إلى أن بناء دور العبادة - في مصر – ينظمه القانون ولبناء المساجد شروط تسعة، تفوق – في الضوابط – نظيرتها في بناء الكنائس، وأن نسبة عدد الكنائس – في مصر- إلى عدد المواطنين المسيحيين - الذين يعيش كثير منهم في المهجر مقاربة لنظيرتها في المساجد المخصصة للمسلمين، وكنائس مصر وأديرتها مفتوحة الأبواب على مدار الليل والنهار.. ومنابرها حرة لا رقيب عليها.. ولا دخل للحكومة في تعيين القيادات الدينية المسيحية، على اختلاف درجاتها، بينما يتم شغل كل الوظائف الدينية الإسلامية بالتعيين من قبل الحكومة ومنذ عام ١٩٥٢م

ضمت الحكومة الأوقاف الإسلامية، بينما ظلت الأوقاف المسيحية قائمة، تديرها الكنيسة، وتحقق الحرية والاستقلال المالي للكنائس والأديرة والأنشطة الدينية المسيحية، مشيرا أن الدولة شاركت في نفقات إقامة كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة التي تعد أكبر كاتدرائيات الشرق على الإطلاق.
وتقوم وزارة الثقافة – في مصر – وعلى نفقة الدولة، برعاية الآثار الدينية المسيحية واليهودية – مثلها مثل الآثار الإسلامية سواء بسواء.
وحول النص الدستوري على أن دين الدولة في مصر هو الإسلام.. وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وأن اللغة العربية هي اللغة القومية لمصر، قال المجمع في بيانه إن الإسلام جزء أصيل من تاريخ مصر الإسلامية، منذ أربعة عشر قرنا، وهو تعبير عن هوية الدولة والمجتمع والأمة، مثلما تعبر العلمانية عن هوية بعض المجتمعات.. وتعبر الليبرالية عن هوية مجتمعات أخرى.. وفى هذه المجتمعات العلمانية والليبرالية تعيش أقليات إسلامية، لا تعترض على هويات المجتمعات التي تعيش فيها.
وأضاف البيان : أن هذه الهوية العربية والإسلامية لمصر، قد اختارتها وأقرتها اللجنة التي وضعت الدستور المصري عام ١٩٢٣م بإجماع أعضائها، بما فيهم القيادات الدينية المسيحية واليهودية.. ولقد صادقت الأمة على هذا الاختيار في كل التعديلات التي أجريت على هذا الدستور، على امتداد عقود القرن العشرين.. في تعبير حر عن إرادة الأمة، على اختلاف أديانها، وليست أمراً مفروضاً على غير المسلمين.
وأضاف البيان أيضا أن التشريعات الإسلامية لا تجور على الخصوصيات الدينية للمواطنين غير المسلمين، الذين أمرت الشريعة الإسلامية "أن يتركوا وما يدينون".. وعلاوة على ذلك، فإن القانون الإسلامي ليس بديلاً لقانون مسيحي، إذ المسيحية تدع ما لقيصر لقيصر، وإنما هو بديل للغزو القانوني الاستعماري، الذي أراد الاستعمار فرضه على بلادنا في ظل الاحتلال.. فهو قانون وطني يعبر عن هوية المصريين والخصوصية الحضارية للشرقيين.
ووصف البيان دعوى منع الحكومة المصرية حرية التبشير بالمسيحية بأنها دعوى مجانبة للحق والصواب، مشيرا إلى أن لكل صاحب دين سماوي – في مصر – حرية عرض دينه، والدفاع عنه، والدعوة إليه.. أما الممنوع فهو التنصير، الذي تمارسه دوائر أجنبية غربية.. وجاء إلى بلادنا مع الغزو الاستعماري منذ القرن التاسع عشر.
وأضاف البيان ؛ أن هذا التنصير الأجنبي الممنوع، يمثل خطراً دائما على الكنائس المسيحية القومية، التي عانت منه كثيراً فهو لا يعترف بالإسلام ولا بالمذاهب المسيحية الشرقية.
وقد فند البيان بقية الاتهامات التي وجهها تقرير الخارجية الأميركية بالمنطق والعلم والدليل الحي .بيد أن المشكلة الحقيقية تكمن في تنصيب أميركا نفسها قاضيا يحكم على عقائد الشعوب وسلوكها الديني والسياسي والاجتماعي وفقا لرؤيتها العنصرية المتعصبة ، وتناست أنها سمعت الرئيس الفرنسي ساركوزي يجيش الشعب الفرنسي

الكاثوليكي ومن ورائه الشعوب الأوربية ، ليمنع الحجاب والنقاب بالقانون في فرنسا التي كانت ذات يوم تسمي بلد الحريات .
المجد في ٢٠١٠/١٢/١١م .

إحراق المصحف ومسجد الأنبياء ؟!

في فجر يوم الاثنين ٢٠١٠/١٠/٤م ؛ أحرق عشرات المستوطنين من الغزاة النازيين اليهود ، مجموعة من نسخ المصحف الشريف ، وقاموا بإضرام النيران بمسجد الأنبياء بعد اقتحامه في بلدة بيت فجار قرب مدينة بيت لحم المحتلة .
وذكرت صحيفة معاريف العبرية أن شهود عيان فلسطينيين قالوا : إن المستوطنين الصهاينة انتهكوا حرمات كتاب الله وبيته وحرمة البلدة، ووضعوا ١٥ مصحفًا على سجاد المسجد ثم قاموا بإحراقها، إضافة إلى أن ذلك تسبب أيضاً في حدوث أضرار مادية لجدران المسجد الداخلية، وكتبوا كتابات بالعبرية ضد الإسلام ورسموا نجمة "داود" اليهودية.
وصرح أحد شهود العيان الفلسطينيين بأنه في الفجر شاهد سيارة بيضاء تحمل لوحات أرقام يهودية تهرب من المكان تجاه مفترق مغتصبة "كفار عتسيون"، بعد زمن قصير من إحراق مسجد الأنبياء في المدينة.
وفى السياق نفسه أسرعت إلى المكان قوات الشرطة الفلسطينية التابعة لسلطة رام الله المحتلة وطواقم الدفاع المدني وأطفأت النيران، وعقب ذلك فتحت الشرطة الفلسطينية تحقيقًا لإرفاق الحادث بسلسلة أحداث أخرى على أيدي المستوطنين الغزاة .
ورجح مراسل قناة الجزيرة في فلسطين المحتلة ؛ وجود مخطط متواصل لاقتراف أعمال إجرامية مماثلة كهذه ، وأشار نقلا عن مصادر فلسطينية إلى أن المستوطنين دنسوا عدة مساجد أخرى في المنطقة خلال الشهور الماضية. ولفت إلى أن التسلسل في هذه الأعمال يشير إلى وجود منظمة إرهابية يهودية تستهدف المساجد خصوصا في محافظة نابلس.
وأوضح مدير مكتب الجزيرة أن موقف الحكومة الصهيونية من ذلك لا يتعدى التحقيق والاستنكار ومع أنها قامت أحيانا باعتقالات في صفوف المستوطنين فإنها تتساهل معهم.
من جهة أخرى أكد مدير بلدية بيت فجار "علي ثوابته " ، أن ستة مستوطنين جاءوا في سيارة الساعة الثانية والنصف "وداهموا مسجد الأنبياء على مدخل البلدة وقاموا بحرقه وكتابة شعارات بالعبرية منها الحمام رقم ١٨".

وأضاف في اتصال مع " رويترز " :عندما رأى الناس النار في المسجد هرعوا إليه لإطفائها. وكانت النيران قد أتت على السجاد إضافة إلى ١٥ مصحفا". وقال "هذه أول مرة يهاجم المستوطنون مسجد القرية ، وهناك مستوطنة بالقرب منا اسمها " مجدل عوس".
في غضون ذلك، اعتقل جيش الاحتلال اليهودي ثلاثة فلسطينيين في حملة دهم بالضفة الغربية فجر الاثنين. وقالت الإذاعة الصهيونية إن الاعتقالات طالت مطلوبين فلسطينيين، جرت إحالتهم للجهات الأمنية من أجل التحقيق معهم.
ولم يكشف الجيش عن أي انتماءات تنظيمية للمعتقلين. وتشن قوات الاحتلال عملية دهم بصورة شبه منتظمة تعتقل فيها من تسميهم مطلوبين فلسطينيين وسط استياء سلطة رام الله المحتلة التي تعتبر تلك المداهمات تشكل إحراجًا لها
قوات الغزو النازي اليهودي لا تعبأ بقانون أو أخلاق أو ضمير ، وقد رأت العالم العربي والإسلامي جثة هامدة ، لا تتحرك مهما كانت حدة السكاكين التي تقطع فيها . فالحكومات منبطحة ، وتواصل قراراتها بالتفاوض مع العدو من أجل الاستسلام إلى ما لانهاية ، والشعوب تعاني من الجوع أو التخمة ، وتخضع لقهر غير مسبوق بعد أن تم قطع ألسنتها وأيديها ، وإشغالها بلقمة الخبز ، أو مباريات كرة القدم .
والشعب الفلسطيني يعاني الأمرين من الاحتلال النازي اليهودي ، وقوات رام الله المحتلة التي تقف كتفا بكتف مع العدو الصهيوني . لا تدفع عن الشعب الفلسطيني الأسير ما يذوقه على يد القوات النازية الغاصبة ، ولكنها تتطوع بتقديم خدمات مجانية للعدو ، بالقبض على الناشطين الفلسطينيين المقاومين وتسليمهم إلى العدو ، وملاحقة من ينتمون إلى الله من المنظمات المقاومة للاحتلال الغاصب ، وهو ما يعني أن الكارثة ليست في الاحتلال وحده ، ولكنها تمتد إلى من تسلطوا عليه ممن ينتسبون إلى فلسطين بالاسم وإلى العدو بالفعل .
إحراق المصاحف والمساجد بوساطة اليهود الغزاة ، منهج وليس حادثة فردية ، فالقرآن والمسجد يمثلان للغزاة القتلة ، مقاومة مستمرة لا تهدأ ولا تلين ، وطالما استمر القرآن في أيدي الفلسطينيين المسلمين ، وطالما ظل المسجد قائما ؛ يرسل اسم الله لكل المؤمنين ، فمعنى ذلك أن فلسطين لن تموت ، وأن الأقصى لن يسقط ، وأن القدس لن تظل أسيرة ، وأن أتباع محمد – صلى الله عليه وسلم - لن يسكتوا على اغتصاب المقدسات ، وبقاء الأشرار الغزاة في مأمن واطمئنان .
إن القرآن والمسجد رمز لما سيكون عليه المستقبل - إن شاء الله - وهو مستقبل مليء بالإيمان بالله ، وبالصبر في مواجهة طغاة العالم وفي مقدمتهم الصهاينة القتلة ، ولهذا يأتي المغتصبون بأفعالهم الخسيسة ، فيحرقون القرآن ويحرقون المساجد .
إن عملية الإحراق للقرآن ومسجد الأنبياء في قرية فجار ببيت لحم المحتلة ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة . إنها تحمل العملية رقم ١٨، ومعنى ذلك أن الغزاة القتلة مستمرون في مخططهم الشيطاني ، لإهانة الإسلام والمسلمين ، وكل ما تقوم به حكومة القتلة اليهود : فتح تحقيق ، ثم إغلاقه ، وهكذا يفلت الجناة من العقاب ، الذي لن يقع عليهم أبدا ، مهما استنكر رئيس الوزراء اليهودي ، أو قال وزير دفاعه

السفاح إن ذلك يضر بما يسميه كذبا مفاوضات السلام ، ومهما قالت بعض المنظمات اليهودية إن ذلك عمل لا يجوز !
المفارقة أن سلطة رام الله المحتلة تراقب المساجد في الضفة الغربية ، وتتولى التضييق على الأئمة والخطباء الذين لا يؤيدون السلطة الموالية للاحتلال ، والمنبطحة أمامه ، وتعتقل رواد المساجد ، وتغلق جمعياتهم الاجتماعية التي تقوم بدور في مساعدة الفقراء والمحتاجين والطلاب ، ولا نسمع صوت وزير الأوقاف الفلسطيني يغضب لله من أجل القرآن الذي احترق ، و المسجد الذي انتهكت حرمته ، وهو الوزير الذي لا يكف عن هجاء المتدينين من شعبه ، وسب علماء الإسلام الذين لا يوافقون على الاستسلام والانبطاح ..
وبالمثل فإن وزارة الأوقاف في مصر بقيادة فضيلة الجنرال ، لم يسمع لها أحد صوت عند حرق المصاحف والمسجد ، ولا حين أهين الإسلام على يد الكاهن المتمرد في الكنيسة المصرية الذي شكك في القرآن ، وزعم أن محمدا قاله (؟) ، وأن آيات أضيفت إليه بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إنها مفارقة غريبة : الصمت المريب حين يهان الإسلام ، والجهر المعيب حين الدعوة إلى زيارة القدس تحت ظلال السيوف اليهودية دون الدعوة إلى الجهاد ، وهذه المفارقة أمر محير وغريب بل عجيب ..
وزارة الأوقاف المصرية مشغولة بوضع كاميرات في المساجد المصرية لكشف الداخلين والخارجين والمصلين والمعتكفين والخطباء والمعلمين ، ولكنها لا تهتم بترميم هذه المساجد أو تجديدها ، تنشغل الوزارة بمنع الأئمة من تناول قضايا الأمة وأحوال الناس ، وتفرض عليهم الدعوة إلى تحديد النسل ورفض الختان ، ولا تسمح بالحديث عن الجهاد وتحرير المقدسات .. هل تعمل وزارة الأوقاف في مصر وأختها في فلسطين المحتلة لحساب الإسلام أم لحساب العدو النازي اليهودي ؟ قولوا لنا بالضبط كي نعلم – وإن كنا نعلم – حقيقة الدور المنوط بوزارة الأوقاف التي يأتي على رأس مهمتها الأولى الدعوة إلى الله ، وتحرير المسلم من الشرك وتحرير المسلمين من الطغاة والغزاة ؟
ثم متى تتحرك الهيئات والجهات القانونية والحقوقية ضد الإجرام النازي اليهودي الذي يحرق القرآن والمساجد في فلسطين المحتلة ؟
إن العدو لا يتورع عن اقتراف الجرائم المنافية لحقوق الإنسان ، والحيوان والنبات ، لقد آن الأوان لمواجهة هؤلاء القتلة بالقانون في كل المحافل الدولية ، والمنظمات العالمية ، ومؤسسات الضمير الإنسانية ، وملاحقة المجرمين في كل مكان ، وأعتقد أن لدينا على امتداد العالم العربي والإسلامي إمكانات هائلة للتصدي لحرق القرآن والمساجد ..
يجب ألا نعتمد على السلطة الفلسطينية المحدودة في رام الله المحتلة ، ولا الحكومات العربية ، لأنها مشغولة بأشياء أخرى ، من قبيل التوريث ، ومباريات كرة القدم وستار أكاديمي .. وأن يأخذ الناس المبادرة بأيديهم لوضع حد للإجرام النازي اليهودي في فلسطين وفي كل مكان .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

***

استعادة الأزهر !

في حديثه المطول على قناة دريم في شهر رمضان الماضي (أعيد عقب العيد) ، تطرق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى موضوعات كثيرة ، كان أهمها من وجهة نظري ما يتعلق بالمقارنة بين الأزهر وأحواله قديما وحديثا . والقدم أو الحداثة هنا يرتبط بالفترة التي تم فيها اختطاف الأزهر حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن . والاختطاف لا يعني نقله من مكانه إلى مكان آخر والاستيلاء عليه ، ولكنه يعني اختطاف روحه وعطائه ومنهجه ، مما كان له أثر بالغ فيما نشكو منه الآن من قصور في فهم الدين ، وتقصير في إبلاغ الرسالة ، وتقهقر ممتد على اتساع جبهات التعليم والإعلام والثقافة والأدب واللغة والشريعة ..

ومنذ القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م الذي قضى بتطوير الأزهر ، يمكن القول إن الاختطاف بدأ منذ هذه اللحظة ، مع أن الذين اجتهدوا ، ورتبوا للقانون وفي مقدمتهم فضيلة الدكتور محمد البهي – رحمه الله – كان هدفهم نبيلا ، وكانوا يسعون ليكون الأزهر مناظرا لبعض الجامعات في الخارج ؛ يجمع بين دراسة الشريعة واللغة وعلوم العصر ، وللأسف كانت النتيجة كما يعلم الناس غير حسنة ، بل كانت في بعض جوانبها شديدة الخسران ؛ فلم يعد الأزهر القديم قائما ، ولم يعد الأزهر المأمول موجودا ، وكانت نماذج الخريجين في الأغلب الأعم لا تسر أحدا .

كان فضيلة لإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب يتحدث عن نوعية الأساتذة الذين درسوا في الخارج قديما ، بعد أن استوعبوا دراسة الكتب الأزهرية القديمة وفقهوها ، وقد تعلم الرجل على أيديهم ، وكان يشير إلى نوع من الجدية في البحث والدرس نفتقده الآن ، وقد عرج على مسألة تحقيق التراث ، وتحدث بإسهاب عن قيام المستشرقين من أهل الغرب بتحقيق كتب قديمة صعبة ، وضرب أمثلة على ذلك من كتب ابن سينا وغيره ، كما أشار إلى غياب المحققين العظام الآن ، ونفور الدارسين والباحثين في الدراسات العليا من الدخول إلى هذا الميدان الصعب ، اللهم إلا قلة قليلة تكاد تعد على الأصابع ..

ولا ريب أن فضيلة الإمام الأكبر يدرك جيدا أسباب هذا التراجع الخطير في التعليم الأزهري ، فقد عاصر قانون التطوير ، وهو طالب في المرحلة الابتدائية كما

عاصرته ، ورأي الفرق بين المناهج القديمة والجديدة ، وأدرك ما آلت إليه الأمور منذ خمسين عاما حتى الآن ؛ حيث انتهت إلى أن يكون الطالب الأزهري غير حافظ للقرآن الكريم بالصورة التي كان عليها في الماضي ، فضلا عن كون العلوم الشرعية والعربية في الأزهر لا أثر لها لدى الطلاب غالبا ؛ لأنها أضحت تشبه كبسولات الفيتامينات لا تغني عن الطعام والشراب والرياضة ، وباتت بالنسبة للمواد العصرية هامشا يمكن الاستغناء عنه ، ويهيئ لضم طلاب الأزهر إلى طلاب التعليم العام ليكونوا في مرتبة متواضعة إزاء قرنائهم ، مع تواضع التعليم العام ذاته وانهياره لأسباب معروفة لدى المعنيين .

يعلم فضيلة الإمام الأكبر أن مستوى طالب الابتدائية الأزهرية القديمة في علوم الدين واللغة العربية كان أفضل كثيرا من مستوى خريجي كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية الآن ، بل إن مستوى الدراسات العليا في الأزهر لا يتناسب مع مكانة الأزهر وطبيعة طلابه التي كانت ، وهو مستوى لا يبعد كثيرا عن مستوى الدراسات العليا في الجامعات الأخرى ، لأن المحنة واحدة ، والانهيار مشترك ، وكل ما هنالك أن الطالب الذي وصل إلى الدراسات العليا حفظ مذكرات السادة المحاضرين هنا أو هناك ؛ فتحقق لديه شرط الحصول على تقدير عام جيد الذي يؤهله للالتحاق بالدراسات العليا ، ولكنه لا قرأ كتابا خارج المذكرات ولا وعي شيئا ذا بال عن طبيعة التخصص الذي يدرسه ، فإمكاناته لا تؤهله لذلك ، وهو ابن عصر السرعة الذي لا تعب فيه ولا جد ، ولا معاناة .. ولماذا يتعب نفسه والأمور كلها تحرضه أن يسرع ولا يتعب ؟

يأتيني كثير من الطلاب الذين يعدون رسائل ماجستير ودكتوراه ، فأتحاور معهم حول قراءاتهم ومعلوماتهم ، فلا أجد لديهم حصادا ذا قيمة . الشيء الوحيد الذي يريدونه هو تقديم الموضوع على طبق من ذهب بأسرع ما يمكن !

والأدهى من ذلك أن بعض أعضاء هيئة التدريس أنفسهم ، في الأزهر وخارجه انقطعت علائقهم بالقراءة والبحث والتثقف، وأذكر أن زميلا أزهريا تحول إلى ما يشبه الدرويش ، وهو يتطوح ويصرخ ويصخب لأننا كنا نناقش في إحدى الكليات بدولة عربية موضوعا حول الدراسة الأسلوبية ، وقال الزميل بانفعال : فلنصل أربع تكبيرات على البلاغة العربية ! وكان الموقف يومها محرجا ودقيقا ، وزاده حرجا ودقة أن الزميل اعترض على تسمية أحد الطلاب لعبد القاهر الجرجاني بالإمام عبد القاهر ، فراح ضمن صخبه يقول : لا إمام إلا محمد - صلى الله عليه وسلم ، وحين قيل له : إن القران الكريم وصف الكفار بأئمة الكفر ، وأنه جعل دعاء المؤمنين " واجعلنا للمتقين إماما " (الفرقان : ٧٤) ،مع استشهادات أخرى تكشف قصوره وتقصيره ، فإن الأمور كادت تحول المسألة إلى صراع بين أبناء مصر أمام الأشقاء ، هل يصمت الزملاء عن قصور الزميل أو يصوبونه ويحرجونه ويضعونه في موضع لا يحبه أمام الآخرين ؟

إن ضحالة المستوى العلمي لخريج الأزهر أو التعليم العام مؤشر خطير لتراجع الأمة ، ويفرض حالة استنفار أو يجب أن يفرضها على كل غيور من أجل الوطن والأمة ، فالأزهر عقل الإسلام ، وهو قوة مصر التي تتسلل إلى العقول والقلوب في كل أنحاء

العالم الإسلامي ، وقد زرت بعض الدول الإسلامية ، وعرفت هناك قيمة الأزهر ومعنى أن يكون الأزهر في مصر ، مهما حاول بعضهم اختطافه خارج مصر ، أو تقديم بديل عنه .

إن استعادة الأزهر تعني أن يقوم بدوره في خدمة العقيدة والشريعة واللغة والدعوة ، حتى لا نفاجأ بطبال إمبابة يعلن نفسه خليفة للمسلمين ، ولا اسكافي شبرا يزعم أنه أمير المؤمنين . أعلم أن الأمر يقتضي تعديلات قانونية ، وجهدا جبارا لتصويب أخطاء القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ، ولكنه يمكن بصورة عاجلة إعادة المناهج القديمة للأزهر ، مع تعديلات هامشية تتناسب مع العصر ، وهذه في يد شيخ الأزهر والقيادات الأزهرية المعاونة . مع ضرورة رفع مستوى الطلاب والمدرسين عن طريق الترغيب والتدريب (يستحسن إعادة البدل النقدي للجراية) ، وعدم التهاون أو التقصير في الدراسة والامتحانات ، وإعطاء أولوية مطلقة لحفظ القرآن والتشجيع عليه .

على كل حال فإن خطوة الإمام الأكبر بإعادة فقه المذاهب إلى مادة الفقه في مراحل التعليم الأزهرية تستحق التأييد والمؤازرة ، لأنها خطوة أولى في الطريق الصحيح ، نأمل أن تتبعها خطوات أخرى تعيد الأزهر إلى سابق مكانته وعهده . وبالله التوفيق .

***

الأخدود النيجيري .. وا إسلاماه ؟!

انشغل الناس قي مصر على مدى الأسابيع الماضية بالحادث الإجرامي المريب الذي أودى بجندى مسلم كان يحرس كنيسة نجع حمادي ، ومعه ستة من النصاري .. قامت الدنيا ولم تقعد ليس من أجل الجندي المسلم ، أو النصارى الستة ، ولكن من أجل إلغاء الإسلام في مصر من الدستور والتعليم والإعلام والصحف والثقافة والحياة العامة ، ومن اللوحات على الجدران ومن أماكن العمل والمكاتب وغيرها.. لأن الإسلام في عرف النخب المهيمنة على الوطن والصحافة والإعلام ودكاكين حقوق الإنسان ؛ هو سبب العنف والشر واضطهاد النصارى ، بل اضطهادهم وفقا لمفهوم هذه النخب !!

في الوقت ذاته كان المسيحيون في وسط نيجيريا يحرقون المسلمين أحياء ، ويلقون جثثهم أو ماتبقى منها في الآبار والمصارف ، وكانت وكالات الأنباء تسوغ الإحراق والقتل بتصوير مسلمي نيجيريا الضحايا بأنهم طالبان نيجيريا (!) ، وأنهم ضد الحداثة وضد التطور وضد المواطنة ، مما يترتب عليه ذهنيا أن يوافق الناس على إحراقهم أحياء وقتلهم بدم بارد !

وبالطبع فلم تتحرك لجان الكونجرس الأميركي ولا وزارة الخارجية الأميركية ، ولا وفد لجنة الحريات في مجلسي النواب الأميركي ولا الاتحاد الأوربي ولا وزارات الخارجية الأوربية من أجل الضحايا المسلمين واستنكار ما جرى لهم ، وإدانة العنف المسيحى ضدهم ، ومطالبة الحكومةالنيجيرية التي يحكمها نائب الرئيس وهو مسيحي في غيبة الرئيس المسلم الذي يعالج من مرض عضال في المملكة العربية السعودية ، باتخاذ إجراءات حاسمة ضد المسيحيين المعتدين وحماية المسلمين الضعفاء الذين يشكلون الأغلبية الساحقة في البلاد . منظمة هيومان رات ووتش خرجت وحدها تتكلم عن المحرقة ، وتطالب بالتحقيق في أسبابها ؟

لقد حصلت قناة الجزيرة على صور انتشال عشرات الجثث من الآبار بنيجيريا ، وقالت منظمة هيومن رايتس ووتش لحقوق الإنسان إن جثث ١٥٠ مسلما عثر عليها في تلك الآبار وقنوات الصرف الصحي خارج مدينة جوس وسط نيجيريا في خلال الاقتتال الطائفي بين المسيحيين والمسلمين. وقد فضل مئات من سكان جوس النزوح

بعيدا خوفا من تجدد الاقتتال ، مع أن الهدوء النسبي قد عاد إلى المدينة، كما أفادت تقارير بأن أعمال العنف امتدت أيضا إلى مناطق قروية.
وقالت المنظمة الحقوقية: إن رجالا مسلحين هاجموا قرية كورو كراما -التي يشكل المسلمون غالبية سكانها- في ١٩ يناير/كانون الثاني الجاري وأحرقوا البعض أحياء وقتلوا آخرين أثناء محاولتهم الفرار؛ ووصفت ما حدث بالمذبحة.
وطالبت المنظمة بإجراء تحقق في "تقارير موثوق فيها عن ذبح ١٥٠ مسلما على الأقل من سكان القرية".(موقع قناة الجزيرة الألكتروني ٢٠١٠/١/٢٤).
وقد قدم موقع الجزيرة بعض الشهادات التي تؤكد على وحشية المذابح التي أقامها المسيحيون المعتدون ، واضطر المسلمون بسببها إلى تنظيم عمليات دفن جماعي للشهداء بعد عمليات النزوح والهروب الجماعي ، فقد قال محمد تانكو شيتو - وهو إمام مسجد ينظم عمليات دفن جماعي- إنه تم العثوريوم ٢٠١٠/١/٢٤م ؛ في قرية كورو كراما على زهاء مائتي جثة. وأضاف أنه "ألقي بكثير من الجثث في الآبار، وكانت متناثرة حولها، وكانت السلطات المحلية تنتشل جثثا أخرى".
وأوضح إمام المسجد ومسؤولون في الصليب الأحمر أنه من الصعب تقدير عدد ضحايا أعمال موجة العنف الطائفي التي اجتاحت البلاد مؤخرا، حيث ما زالت عمليات حصر الجثث جارية.
وقال شاهد عيان إن مسلحين بسيوف قصيرة وأسلحة نارية وعصي هم من هاجموا القرية، نافيا أن يكونوا من مسيحيي القرية بل جاءوا من الخارج.
وأضاف الشاهد أن "الأطفال كانوا يجرون، والرجال كانوا يحاولون حماية النساء، والذين فروا إلى الأدغال قتلوا، والبعض أحرق في المساجد والبعض ذهبوا إلى البيوت وأحرقوا".
كما أكد أنه شاهد جثث ما بين ٢٠ و٣٠ طفلا بعضها كان محترقا والبعض كان مقطعا بالمناجل، وأن زوجته بالمستشفى مع رضيعته بعدما جرحت بفأس.
وأشار شهود عيان إلى أن المسلحين أحاطوا بالقرية وهاجموها، وأشعلوا النيران في كافة منازلها تقريبا بالإضافة إلى ثلاثة مساجد وتدميرها.
ويقدر الصليب الأحمر عدد الذين هربوا من منازلهم في مدينة جوس بنحو ١٧ ألفا اضطروا إلى الإقامة في المخيمات والمدارس والمستشفيات، وأكدت أن نحو سبعة آلاف ما زالوا يقيمون في المدارس ويتلقون المعونات الغذائية والدوائية من المنظمة.
ووفقا للتقديرات الرسمية حتى الجمعة ٢٠١٠/١/٢٢م ؛ فإن أربعة أيام من العنف الطائفي بالمدينة خلفت نحو ٤٦٠ قتيلا بينهم ٤٠٠ من المسلمين . كما أسفرت أربعة أيام من الاشتباكات بين مجموعات من المسلمين والمسيحيين عن إصابة نحو الف شخص . كما أُرغم الآلاف على الفرار من منازلهم بالمدينة البالغ عدد سكانها نصف مليون شخص، وتحدثت السلطات عن وقوع أضرار جسيمة.
وقد شهدت المدينة في سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ اضطرابات عنيفة بين الجانبين أسفرت عن مقتل أكثر من ألف شخص، وتجدد الصراع مرة أخرى بعد ثلاث سنوات في اشتباكات دامية خلفت ٧٠٠ قتيل، كما قتل نصف هذا العدد تقريبا في الصدامات التي وقعت عام ٢٠٠٨.

ويشيربعض المحللين إلى أن تلك الاشتباكات، التي تندلع من حين لآخر على شكل موجات من العنف، غالبا ما تتخذ طابعا دينيا في شمال نيجيريا ذي الأغلبية المسلمة حيث تنتشر حركات إسلامية تطالب بتطبيق الشريعة في عموم نيجيريا وإلغاء نظام التدريس الذي تصفه بالغربي.
ويشار إلى أن مدينة جوس - كبرى مدن ولاية الحوض الأوسط - تتمتع بتاريخ من العنف الديني بين المسلمين والمسحيين في هذه المنطقة التي تعد فاصلا جغرافيا بين الشمال ذي الأغلبية المسلمة والجنوب المسيحي.
وبسبب موقعها، تعيش العديد من الجماعات العرقية والدينية المختلفة في هذه المنطقة التي تعرف بخصوبة أراضيها وازدحامها بالسكان.
وواضح أن قوة المسيحيين في نيجيريا تدفعهم إلى الإغارة على المدينة لتحقيق ما يعرف بالتطهير الديني ، لإخلاء المدينة لعناصرها كي يعيشوا فيها ويستوطنوا ، ويدفعهم التعصب إلى ارتكاب جرائم الإحراق البشعة في المدينة وما حولها ، وحتى هذه اللحظة فإن بابا الفاتيكان لم يسمع له أحد صوتا ، وبالطبع فإنه لن يتهم المعتدين المسيحيين بالتعصب ، ولن يحذر من المسيحية الساسية كما حذر مما سماه الإسلام السياسي ، مما يعني موافقته الضمنية على ما يجرى خاصة وأن سلفه الذي هلك كان يحلم أن تتحول إفريقية عام ٢٠٠٠ م إلى دولة مسيحية وهو مالم يتحقق حتى الآن .
لقدقالت جماعة نصر الإسلام كبرى الهيئات المسلمة في **نيجيريا** إنها قلقة جدا من تكرار أعمال قتل الأبرياء وتدمير ممتلكاتهم بأيدي السفاحين. مما يعني أن مستقبل المسلمين في نيجيريا سيكون مجللا بالسواد مالم تكن هناك حماية للمسلمين في ظل حكومة متواطئة يهيمن عليها مسيحيون متعصبون ، وهوما يذكرنا بما جرى للمسلمين في البوسنة ، وفي أماكن أخرى من العالم . ولا نعلم مدى يتحرك المسلمون على مستوى الحكومات أو الشعوب أو منظمة المؤتمر الإسلامي أو حتى الصحف المحلية ،لنصرة إخوتهم المظلومين ، ويبدو أنه مكتوب على المسلم في زماننا أن يتولى أمر نفسه بنفسه في ظل غياب حس خلقي بضرورة أن تهب الشعوب الإسلامية لنصرة الأشقاء ، وتوفر سبل الحماية الجماعية في ظل وحشية صليبية تخلت عن سماحة المسيح والأخلاق والشرائع الإنسانية ، فضلا عن القوانين الدولية ، ولله الأمر من قبل ومن بعد !

***

الإسلام والدولة المدنية !

مأساة المسلمين المعاصرين ، في العالم وفي مصر خاصة ؛ أنهم ضعفاء ، وأن النخب المحسوبة عليهم ، لا تؤمن بالإسلام عقيدة ومنهجا ، فكرا وسلوكا ، دينا ودولة ، ولكنها مفتونة بالنموذج الاستعماري الصليبي في جانبه المعتم والهامشي ، فخسرت الدنيا والآخرة ، وعاشت فشلا ذريعا غير مسبوق ؛ حيث هزمت عسكريا واقتصاديا ، وحدّث ولا حرج عن الإخفاق الفاضح في بقية الميادين العلمية والتعليمية والثقافية والزراعية والتجارية والإدارية ، إن هذه النخب لم تلحق بعنب اليمن ، ولا بلح الشام ، وصارت معرّة الأمم والشعوب !

هذه النخب التي تقود مصر تكره الإسلام كراهية شديدة ، وتصاب بالارتكاريا كلما ذُكرت كلمة الإسلام أمامها ، وقد نجحت للأسف نجاحا باهرا في خدمة المؤسسة الاستعمارية الصليبية - بقصد أو دون قصد - في حربها على ما يسمى الإرهاب ، وهي في الحقيقة الحرب على الإسلام ، ويكفي أن تشاهد الأفلام والمسلسلات المصرية التي أنتجت في السنوات العشرين الماضية ، لترى صورة نمطية مكررة للمسلم الذي يرتدي غترة بيضاء ويرتدي جلبابا أبيض وله لحية كثة ، وجبهة متغضنة مظلمة ، وملامح خشنة قاسية ، ويتمتم ببعض الآيات والأدعية في الوقت الذي يمارس فيه أبشع جرائم القتل والسرقة والزنا والتناقض بين القول والسلوك .

يستحيل أن تجد شخصية إسلامية طيبة في مسلسل أو فيلم من المنتجات التي ظهرت في تلك الفترة حتى اليوم ، أو تسمع صوت مؤذن أو قارئ للقرآن الكريم اللهم في سرادقات العزاء الهزلية . إن المسلم الطيب في هذه المنتجات هو الذي يحمل اسما إسلاميا فقط ، ولكنه يمضي في تقليد سلوك عامة الاستعماريين الصليبيين تقليدا صوريا لا يصل إلى جوهر سلوكهم العملي في الإنتاج والابتكار والتنظيم والإدارة والنظافة والتفوق ، إنه لا يعرف الصدق ولا العمل ولا الجدية ولا الخلق الحسن .

المسلم الطيب في الأعمال الدرامية التي تنتجها النخب الحاكمة في مصر ؛ هو الذي يدير ظهره للدين والعقيدة والالتزام فيرتشي ويهمل ، ويشرب الخمر ويخصص جانبا من بيته ليكون " بارا " يخزن فيه أفخر أنواع الشراب الحرام ومكانا لتناوله ،

ثم إنه يتقلب بين أحضان النساء ويفاخر بذلك ، ولا مانع لديه من إجهاض الخائنة التي تمارس العهر معه . المسلم الطيب هو الذي يقترض بالربا من البنوك أو من الأفراد ، وهو الذي يبيع بلاده ويصادق الأعداء ويتقرب منهم ويفضلهم على إخوته ، ويرفض الجهاد لتحرير الوطن والمقدسات من الغزاة . المسلم الطيب هو الذي يقبل بالعيش بوصفه مواطنا درجة ثانية مع أنه يمثل الأغلبية الساحقة في ظل الأقلية المستقوية بالمؤسسة الاستعمارية الصليبية ويأتمر بأمرها ، ويرضخ لشروطها . المسلم الطيب هو الذي لا يتعاطى السياسة ولا يعنيه أمر الحكم بالشورى ، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر في مجالات الاستبداد وسرقة الشعوب وقهرها ، وتمكين الأعداء منها ومن ثقافتها واقتصادها وثرواتها .المسلم الطيب هو الذي لا علاقة له بالمسجد أو الحجاب أو النقاب أو تحية الإسلام : السلام عليكم . المسلم الطيب هو الذي يقبل ما يفتي به السادة الماركسيون السابقون والليبراليون ، والعلمانيون ، والماسونيون ، والطائفيون المتمردون في شأن الإسلام والمسلمين ، والمسلم الطيب هو الذي يفك ارتباطه بالأمة العربية والإسلامية وفلسطين والقدس ومكة المكرمة .. باختصار المسلم الطيب هو الذي يذهب إلى الكباريه ولا يذهب إلى المسجد ، ولا يرفع راية الإسلام في أي مجال !

القوم يرون أن الإسلام ضد الدولة المدنية . والدولة المدنية بمفهومهم هي الدولة التي لا يكون فيها حضور للضمير الإسلامي ، والخلق الإسلامي والسلوك الإسلامي ، لأنهم يدّعون أن السياسة مدنسة ، ويسوّغون الوسيلة أيا كانت للوصول إلى الغاية ، وفقا للمذهب الميكافيللى (الغاية تبرر الوسيلة) ، ويتساءلون وبراءة الأطفال في أعينهم كيف تضع المقدس في مواجهة المدنس ؟ ونسألهم : هل من اللازم أن تكون السياسة مدنسة وقائمة على الانتهازية ؟ ولماذا يكون الانتهازيون حكاما ، ولا يكون الشرفاء حكاما يشاركهم الشعب وفقا لمعايير الشورى والتداول ؟

القوم لا يقصدون أبدا أن تكون الدولة المدنية نقيض الدولة البوليسية أو الدولة العسكرية أو الدولة المستبدة الشمولية المخابراتية أو الدولة الكنسية التي يديرها البطريرك وتمنح صكوك الغفران ، وتحكم بالحرمان . إنهم يرون الدولة المدنية نقيض الإسلام وكفى ! ولو كانت تأكل لحوم بنيها وتضعهم في القيعان المظلمة إلى أجل غير مسمى، وتمنح اللصوص الكبار شرعية قانونية لنهبها وتدميرها ، وبيعها للغرباء ، كل ذلك لا يهم النخب التي تخدم الدولة الظالمة أيا كانت إلا أن تكون إسلامية الشكل والمضمون ، فهم في ظل الدولة المدنية المزعومة بمفهومهم لن يعانوا من البطالة والفراغ وضيق ذات اليد..!

القوم يعملون بدأب لاستئصال الإسلام في التعليم ، والإعلام ، والثقافة ، ويتخذون كل الوسائل الممكنة لحجب الصوت الإسلامي وإزاحته تماما ، ومنذ أعوام يجاهرون بالدعوة لإلغاء المادة الثانية من الدستور ، وهي مادة صورية لا ظل لها على أرض الواقع ، وإذا أثيرت قضية ما ؛ وعالجها بعض الناس من منظور إسلامي ، انهالت النخب عليه تقريعا وتسفيها وتحريضا بوصفه يدعو إلى التطرف والإرهاب مع الدعوة إلى محاكمته ومصادرة آرائه ، بل وتقديمه إلى المحاكمة .فضلا عن اتهامه بالظلامية والدعوة إلى حكومة دينية تحكم بأوامر مقدسة لا تقبل النقض !

ولكن هؤلاء القوم يبلعون ألسنتهم حين يقول بابا الأرثوذكس : إنه لن ينفذ أحكام القضاء المصري المدني ، ولا يلزمه إلا الإنجيل ، ويعلن أن القساوسة الذين ينفذون أحكام القضاء سيتم شلحهم ، وأنه سيتحول إلى رجل آخر من أجل الإنجيل .. !
تأمل ما جرى بعد صدور حكم المحكمة الإدارية العليا مؤخرا ، بإلزام بابا الأرثوذكس بتزويج المطلق الذي لجأ إلى المحكمة ليتساوى بطليقته التي زوجتها المحكمة والكنيسة ، وكونت أسرة واستقرت ، ومارست حياتها الطبيعية . إن البابا يرفض هذا الحكم ويعده مخالفا للإنجيل ، وأنه لن ينفذه ، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تجبره على تنفيذ هذا الحكم لأنه مخالف للإنجيل من وجهة نظره ، واقرأ بعض ما كتبته الصحف حول الموضوع .
قالت صحيفة المصري اليوم في ٢٠١٠/٦/١م :
" أكد البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية، بطريرك الكرازة المرقسية، تمسكه برفض قرار المحكمة الإدارية بإلزام الكنيسة بإصدار تصاريح الزواج الثاني للمطلقين، وقال خلال عظته النصف شهرية بالإسكندرية مساء أمس الأول: «نحن لا يلزمنا أحد إلا تعاليم الكتاب المقدس فقط».وهدد البابا بـ«شلح» أي كاهن يقوم بتزويج شخص مطلق لعلة غير الزنى، مشددًا على ضرورة أن يكون الكاهن أمينًا على تعاليم الكتاب المقدس، وقال: **«أنا طيب جدًا مع الناس الغلابة، ولكن إذا تعلق الموضوع بشيء يمس العقيدة، فسأتحول لشخص آخر».**
وأوضح البابا أن الفرق بين حكم المحكمة وأحكام الكنيسة في الزواج هو أن الأول حكم مدني، والأخير تحكمه شرائع دينية، وقال: «الزواج أمر ديني بحت تحكمه قواعد دينية، ومن يقوم بعقد زواج هو رجل دين، سواء في المسيحية أو الإسلام»، مستطردا: «إذا أرادت المحكمة أن تصالحنا، فعليها إصدار قانون الأحوال الشخصية الخاص بالمسيحيين، الذي وقعت عليه جميع الكنائس، وفيه ما ينص على أنه لا طلاق إلا لعلة الزنى».
وقالت جريدة الشروق (طبعة الإسكندرية ٢٠١٠/٦/٢م) :
أكد البابا شنودة في محاضرته الأسبوعية رفضه الشديد السماح بزواج المطلقين للمرة الثانية إلا في حالات الزنا وللطرف البريء فقط، مضيفا أن لائحة ٣٨ للأحوال الشخصية التي وضعها أعضاء المجلس الملي في ذلك الوقت باطلة، ورفضها المجمع المقدس وكل البطاركة في ذلك الوقت واللاحقين بعدهم.
وقد تبارت المواقع الطائفية بنشر بيانات لمن يسمون بمحامي الكنيسة ، ومستشاريها القانونيين من أبواق التمرد الطائفي ؛ مضمونها أنه لا توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع إرغام الكنيسة على تنفيذ حكم المحكمة الإدارية العليا !
زعيم الطائفة الأرثوذكسية يرى أن تفسيره هو التفسير الصحيح للإنجيل ، وأن أحدا لن يستطيع إجباره على تنفيذ حكم القضاء المصري المدني ، مع أن هناك طوائف مسيحية أخرى ، تمثل الأغلبية الساحقة من المسيحيين في العالم – يفسر زعماؤها الإنجيل تفسيرا مغايرا ، ويسمحون بالطلاق والزواج دون مشكلات ودون قهر للمواطنين المسيحيين ، أو حرمان لهم من تكوين أسرة طبيعية ، وفقا للفطرة الإنسانية .

الأنبا لا يدافع عن الإنجيل ، ولكنه يدافع عن تفسيره الخاص للإنجيل ، فقد سبقه باباوات صنعوا قانون ١٩٣٨م ، وتحاكم به النصارى عقودا طويلا ، وتفسيرهم يختلف عن تفسير شنودة ، لأنه لصالح الناس ، ويتفق مع تفسير أغلبية الكنائس في العالم بكل طوائفه ، ولكن شنودة يتعصب لتفسيره ، ثم يبتز به السلطة الرخوة التي تسلم له بكل ما يريد ، وها هو يضع مسمارا في نعشها ، ويعلن عن نفسه سيدا لا يخضع للدولة المدنية ! ثم يحول المسألة إلى صلب العقيدة ، لكي يجيش وراءه قطعان المتعصبين المتمردين ، ويكرس الجيتو النصراني الذي يفصل الكنيسة عن المجتمع !

إن مئات الألوف من النصارى يضطرون إلى تغيير مذهبهم (نشأت كنيسة المقطم - مكسيموس لهذا السبب !) ، أو يذهبون إلى كنائس أخري كاثوليكية أو بروتستانتية ، أو يعتنقون الإسلام ، ثم يصرخ المتمردون : أنقذونا من الأسلمة ، والاضطهاد الإسلامي ، ويعتكف الأنبا حتى يتم تسليمه من يعتنق الإسلام من النصارى ؟ !

يزعم الأنبا أن الذي يقوم بالزواج في المسيحية والإسلام رجل دين ، ونصف الكلام صحيح ، لأن الإسلام لا يعرف شيئا اسمه رجل دين . هناك عالم دين ، والذي يقوم بتوثيق الزواج الإسلامي اسمه مأذون ، أو موظف في المحكمة أو الشهر العقاري .

ثم إن الزواج الإسلامي يتعرض لإدخاله تحت مظلة النظام الكاثوليكي على يد معالي وزيرة الختان وتحديد النسل ، وذلك برفع سن زواج الفتيات(بحجة أنهن قاصرات ، وترتب على ذلك محاكمة العديد من المأذونين الشرعيين !) في مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية ، ولا يستطيع مسلم أن يحتج او يتكلم على تشريعات الوزيرة ومن يساندونها .

قارن ذلك بما يقوله الأنبا من أنه سيتحول إلى شخص آخر إذا تعلق الأمر بالعقيدة ..

هل يستطيع عالم دين إسلامي أن يقول مثل قول الأنبا؟

الإجابة معروفة ، واسألوا مشايخ السلطة !

الذي يعنينا في الموضوع أن النخب التي تقود الشعب المصري المسلم البائس لم تفتح فمها بكلمة عن الدولة المدنية ، بل ابتلعت لسانها الطويل ضد الإسلام دائما ، ولم تنبس ببنت شفة ، ولم تتكلم عما فعله زعيم الأرثوذكس المتمرد الذي يتحرك بصفته رئيس دولة سوبر داخل دولة مصر العربية المسلمة المستسلمة (!) ، ولم تقل له إنك تخالف الدولة المدنية .

لقد صمت المستنيرون ، وسكتوا ، وكاتب السلطة الوحيد الذي تكلم كان صوته خافتا ، وتحدث عن روح الإنجيل ، التي تشبه روح القانون !

بالتأكيد فالقوم حين يتكلمون عن الدولة المدنية يكذبون ، لأنهم يعلمون أن الإسلام أول من أقام الدولة المدنية على ظهر الأرض التي لا تستخدم العصا الغليظة ولا تؤله الحاكم ، ولا تمنح شخصا قداسة فوق قداسة البشر ، ولا تحكم بالحرمان ولا تمنح الغفران .

إنهم كذابون وأفاقون ومنافقون ، والويل لهم من الله !

هامش :

عقب كتابة المقال أصدرت المحكمة حكما ببطلان إجراءات تنصيب البابا عام ١٩٨٥ ، وأعلنت سيدة نصرانية إسلامها ونطقت بالشهادتين ، أمام المحكمة ذاتها وفي الجلسة نفسها ، بعد أن حكمت لها بالخلع من زوجها . ولعل لنا عودة إن شاء الله إلى الموضوع .

***

السلطان أردوغان .. والخيّاب الفاشلون !

يحار المرء في تفسير السياسة المصرية الفاشلة التي لا تجد أمامها غير اللجوء إلى وسيلة سهلة ومكرورة ، وهي الاستعانة بالرداحات الفاشلات الجاهلات الأميّات ، ومعذرة للجمع على صيغة المؤنث تشبيها وتطبيقا ، فقد وجدت السلطة أن مواجهة شعبية رئيس وزراء تركيا رجب الطيب أردوغان ، يمكن أن تنتهي في الشارع العربي والإسلامي ببعض المقالات في الصحف الحكومية ، وبعض المتحدثين على الشاشات الفضائية ، تسب الرجل ، وتتهم تركيا باتهامات متخبطة ، وتعلق في رقبتها أخطاء العرب والمسلمين جميعا ، وتزعم أن أردوغان يريد أن يخطف ما صنعته مصر وتقديمها لمائة ألف شهيد من أجل فلسطين ، بتسعة شهداء أتراك قدمتهم تركيا في أسطول الحرية الذي هاجمته قوات الغزو النازي اليهودي في عرض البحر، فجر الثلاثاء أول يونية ٢٠١٠م ، وهو في طريقه للتضامن مع شعبنا الفلسطيني في غزة ! مواجهة أردوغان هي المعركة الغلط ، والمكان الخطأ ، فالعدو الحقيقي هو الغزو النازي اليهودي ، والغزاة النازيون اليهود هم الذين يكرهون العرب والمسلمين وحكامهم ومسئوليهم ، حتى الذين يهادنونهم ، أو يتقربون منهم يعدون في قائمة المكروهين المحتقرين لديهم ؛ فهم لا يهتمون بهم ، ولا يلقون إليهم بالا ، لأنهم لا يشكلون خطرا عليهم ، بل يمثلون طابورا خامسا مواليا لهم تنتهي مهمته بانتهاء خدماته !

كان الأولى بالخيّاب والفاشلين العرب ، وخاصة في مصر أن يسعدوا بمواقف أردوغان التي جعلت للشعب الفلسطيني ، حضورا على مستوى العالم ، وكشفت نازية القتلة اليهود الغزاة ، وأحرجت المؤسسة الاستعمارية الصليبية ، وبثت الأمل في قلوب الشعب العربي والشعوب الإسلامية ، وقبل ذلك وبعده أعادت الشعب التركي المسلم إلى أحضان أشقائه المسلمين ..

ثم إن أردوغان نموذج للنجاح على المستويات كافة ، داخليا وخارجيا ، وحقق ما لم يستطع الخيّاب الفاشلون في مصر تحقيقه ، بل إنهم عجزوا عن حل مشكلة واحدة بسيطة لا تحتاج إلى ميزانيات ولا عبقريات ، ولا خبرة نادرة ، مثل مشكلة المرور

في القاهرة ، مع أن رئيس الدولة تدخل بنفسه ، وعقد اجتماعا من أجلها . وما زال المرور في القاهرة يمثل نكبة إستراتيجية – إذا صح التعبير – ولكن المرور في استانبول ، وهي في حجم القاهرة ،من حيث عدد السكان ، كما أنها تشبهها في الزحام ، لا يمثل معضلة ، ولا يرتفع صوت زمارة أو سارينة أو صوت شكمان خربان ، بل ينساب المرور بهدوء ،مع أن استانبول تنهض فوق سبعة تلال ، ودون أن تقع عينك على عشرات الرتب وأمناء الشرطة ، وصف الضباط يملأون الشوارع والنواصي والميادين .

أردوغان نقل بلاده من حال إلى حال ، ويكفي أنها صارت ضمن الدول العشرين المنتجة في العالم ، أما مصر فهي في المؤخرة على المستويات كافة .. كانت استانبول عام ١٩٩٤م ، حين زرتها لأول مرة تعاني من الفوضى ، وعصابات المافيا والدعارة والانحراف تحكم الشوارع والميادين ، وكانت جبال الزبالة تنهض قائمة في كل مكان ، وعندما زرتها عام ٢٠٠٨م ، رأيت شوارعها تمتلئ بأجمل الزهور من شتى أرجاء العالم ، لا ترى فيها أثرا للتراب أو الفضلات ، بل تشعر أنها تشبه غرف البيت النظيفة (هل يمكن رفع الزبالة من شوارع القاهرة – مجرد رفع ؟) ، فضلا عن اختفاء العصابات ، وانتهاء عصر البلطجة !

أردوغان حارب الفساد والمفسدين ، وقدم الحيتان إلى المحكمة ، من بينهم رئيسا وزارة سابقين ؛ واستعاد منهم ممتلكات الدولة ، وصادر قصورهم ويخوتهم لتسديد مستحقات الخزانة العامة ، وفطم اقتصاد بلاده عن الاقتراض ، وحقق القطيعة مع صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، وسدد القروض الضخمة التي كانت تستنفد ٨٠% من الإنتاج القومي ، فهبطت إلى ما يقرب من درجة الصفر – قارنوا ذلك يا حضرات الرداحات بما هو قائم في بلدكم العريق ذو الآلاف السبعة من السنين ؟

لقد جمع أردوغان عشرات الشخصيات العربية المهمة في ملتقى رجال الاقتصاد والأعمال (١٠/٦/٢٠١٠م) ، وسرد أمامهم إنجازات بلاده ، وهي إنجازات حقيقية ، وليست تلفزيونية كما يحدث على أرض الخيّاب والفاشلين .

من المفارقات ؛ أعلن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (المصري اليوم ١١/٦/٢٠١٠م) ، عن ارتفاع معدل التضخم في بلادنا خلال مايو الماضي بنحو ٠.٥٪ ليصل المعدل السنوي إلى ١٠.٥٪ مع ارتفاع أسعار السلع الغذائية بنسبة ١٦.٥٪، فيما توقع الخبراء استمرار الارتفاع خلال الفترة المقبلة ليصل إلى ذروته خلال يوليو وأغسطس المقبلين. وهذه فقط عينة بسيطة جدا لأحوالنا الاقتصادية ، ولكن أردوجان كان يتحدث في الملتقى عن حجم التجارة بين الدول العربية وتركيا في عهد حكومة العدالة والتنمية التي يرأسها ووصلت إلى ٣٧ مليار دولار عام ٢٠٠٨، بعد أن كانت ٨ ملايين دولار قبل عهده .

حكومة أردوغان قامت بإنشاء وبناء أكثر من خمسين ومائتي مصنع في مصر وحدها – فكم مصنعا بنتها مصر الخيّاب والفاشلين في تركيا أو غير تركيا ؟

حملة السفهاء الذين ينطقون باسم الخيّاب الفاشلين لا تنال من أردوغان الذي دعا إلى مزيد من التعاون الاقتصادي بين العرب وبلاده دون حساسيات ، ثم قال: «تركيا كدولة شقيقة وصديقة لكم تتوقع أن توجهوا استثماراتكم إليها وسنوفر لكم كل

التسهيلات»، داعياً إلى أن يكون المنتدى العربي - التركي وسيلة لتدعيم هذا التعاون، وقال بلغة عربية «اختار الجار قبل الدار».
يعيبون على أردوغان العمل من أجل مصلحة تركيا ، وهل هناك عاقل يتصور أن يعمل حاكم لغير بلاده ، ويهمل وطنه ؟ لقد رفع العرب شعار ، مصر أولا ، والأردن أولا ، ولبنان أولا ، وسورية أولا ، وتونس أولا ، وليبيا أولا ، واليمن أولا ، والعراق الذي كان ، والذي هو كائن أولا .. وللأسف فلم يعملوا لبلادهم أولا ولا آخرا ، وبالطبع لم يعملوا لغيرهم ، ولكن أردوغان عمل لبلاده فأنقذها من الفقر والتدهور ، وهو الآن يهدم بذكاء ديكتاتورية العلمانية عدو الإسلام والمسلمين ، سواء كان يمثلها الجيش التركي أو القضاء أو التعليم العالي أو النخب الموالية للغرب في الصحافة والثقافة والتعليم ، وها هو يستثمر نجاحاته الداخلية ليشد أزر الفلسطينيين الضعفاء المقهورين المحاصرين ، ويفرض على العالم أن يتحرك من أجل كسر الحصار على غزة ، ومناقشة قضية الاحتلال ، فهل استطاع الخيّاب أن يحركوا ساكنا من أجل فلسطين ؟
ينسى أهل الردح والشتم والسب والمعايرة أن أردوغان ، جاءت به صناديق الانتخابات الزجاجية غير المزورة . جاء به رجل الشارع الحي ، الذي ذهب فعلا إلى لجنة التصويت ، وأدلى بصوته الحر ، دون أن يمنعه أحد ، أو يصوت أحد بالنيابة عنه ، أو يبعث الموتى للتصويت لحزب السلطة ، ولذا وقف في وجه الولايات المتحدة عندما قررت غزو العراق في حملتها الصليبية عام ٢٠٠٣م.
أردوغان يقدم مشروعات قوانين ، إلى مجلس النواب التركي ، ويسحبها حين يجد أنها لن تمر ، ويعرض الاستجوابات ، دون أن ينتقل إلى جدول الأعمال . رجب الطيب أردوغان يحكم بقوة شعبه ، وليس بالعصا الغليظة أو الذراع الفولاذية ، هذا الشعب هو الذي عبر عن نفسه في ميدان تقسيم وشارع الاستقلال في استانبول ، بأكبر المظاهرات التي تؤيد فلسطين ، وتتضامن مع شعبها دون أن ترهبهم الخوذات العسكرية والرشاشات المشرعة والضابطات المحجبات (؟) .
إن أردوغان عمل على ترقية بلاده في صمت ، ودون ضجيج ، ولم يسع إلى نجاحات مظهرية ، فلم يحصل على صفر في المونديال ، ولم يتلق صفعة في اليونسكو ، ولم يعرض بلاده لإهانة الصغار كما جرى مع دول حوض النيل ، ولم يرض أن ينحاز إلى عدو بلاده التاريخي والأبدي ، ولكنه انحاز إلى بلاده ، وإلى إرادة شعبه .
رجب الطيب تحدث عنه الكاتب الإنجليزي " باتريك كوكبرن " في الإندبندنت ٢٠١٠/٦/١٠م ، فقال :
«منذ أن اقتحمت قوات الكوماندوز الصهيوني سفينة المساعدات إلى غزة وقتلت ٩ ناشطين برز وجه أردوغان.. الرجل الذي قاد إدانات الغارة في عناوين الصحف وعلى شاشات التلفاز في أنحاء الشرق الأوسط».
وأوضح كوكبرن أن الإخفاق الدموي الصهيوني قاد إلى تغيير حاسم في ميزان القوة في المنطقة مشيراً إلى أن دور أردوغان الشخصي ستكون له أهمية دائمة في أنحاء

المنطقة «وبقيادته ستصير تركيا مرة أخرى لاعبا قويا في الشرق الأوسط لدرجة لم تحدث منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى».

وأبدى الكاتب البريطاني دهشته من أن تركيا- بسكانها البالغ عددهم ٧٢ مليون نسمة وثاني أكبر قوات مسلحة في حلف شمال الأطلسي (ناتو) بعد الولايات المتحدة- لم يكن لها دور رئيسي في الشرق الأوسط قبل الآن.

وقال: «لو أن تهديدات أردوغان للكيان جاءت من زعماء آخرين في الشرق الأوسط لكان من الممكن تجاهلها لأن أنظمة هؤلاء الزعماء ضعيفة ولا هم لهم إلا التمسك بالسلطة (؟).. ولكن تركيا مختلفة لأنها تنمو بسرعة في قوتها السياسية والدبلوماسية والعسكرية».

وتعمق كوكبرن في سيرة أردوغان عبر قراءة جيدة لأسلوبه وفهم دقيق لسياسته حيث رأى أن سجل رئيس الوزراء التركي المسلم يشهد بأنه سريع في استغلال أخطاء الآخرين إلا أنه يحب أن يختار الوقت الذي يناسبه وهو حريص على ألا يبالغ في قوته.

هل يمكن أن أضيف جديدا على ما قاله باتريك كوكبرن الإنجليزي غير العربي ؟

كلا ! لأنه رجل منصف قال الحقيقة بأوضح أسلوب .. ولم تستطع الرداحات الفاشلات الجاهلات الأميات مواجهة الحقيقة المرة على أرض الواقع ، لأنهم عنوان على الخيبة والفشل ، لمن يستأجرونهم !

ويأيها الخياب الفاشلون ابحثوا عمن يحسّن صورتكم ، وليس من يلطّخها بالسواد والهباب ، حتى يقضي الله أمرا مع شعوبكم البائسة !!

***

العداوة ..لمن ؟

هل تكره حكومة مصر العربية الإسلامية الشعب الفلسطيني في غزة أم تكره الإسلام ؟

في أواخر عام ٢٠٠٨، وقبل سنة من الآن قامت قوات الكيان النازي الصهيوني بالهجوم الدموي البشع على قطاع غزة ، بعد أن فشل حصارها المضروب عليه طوال ثلاث سنوات تقريبا ، في وقف المقاومة ، أوتغيير سياسة المنظمات التي تطالب بالحرية والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الأسير ، واستمر الهجوم أكثر من عشرين يوما ، قتل فيها أكثر من ألف وأربعمائة فلسطيني معظمهم من النساء والأطفال ، وجرح أكثر من ثلاثة آلاف فلسطيني ، فضلا عن تدمير مئات البيوت والمدارس والمساجد والمستشفيات ،واستخدم الغزاة القتلة الأسلحة المحرمة والفسفور الأبيض وقاذافات القنابل ضد الشعب الأعزل الذي لا يملك من أمره شيئا ..
في أثناء المذبحة كان معظم الأنظمة العربية وفي مقدمتها النظام المصري والسلطة الفلسطينية التي يقودها آية الله أبومازن في رام الله ، لا تقول للعدو توقف ، بل كانت تلقي باللوم على منظمة حماس ، وتحملها مسئولية الموت والدمار الذي أصاب الفلسطينيين ، مع أن المنظمة كانت تدافع عن القطاع ، ويسقط أفرادها مع غيرهم شهداء ينطقون الشهادتين ، ويستقبلون الجنة بنفس راضية مرضية بإذن ربهم .
كان واضحا فيما جرى أن بعض الأنظمة ومعها رئيس السلطة وتلميذه دحلان ينتظرون سقوط حماس ، والانتهاء من صداعها ، لتتم الصفقة مع شيلوك النازي اليهودي ويتم تصفية القضية الفلسطينية تماما نظير دويلة لاتختلف كثيرا عن الحكم الذاتي المحدود ، بدون القدس ، واللاجئين والمياه وقوات الدفاع والقابلية للحياة المستقلة .. ولكن الحرب انتهت ، ولم تسقط حماس ، بل ازداد تمسك الشعب بها ، وانعقدت مؤتمرات لحفظ ماء الوجه العربي والإسلامي والإقليمي ، وبقى أهل غزة صامدين ، يعيشون في ظلال الجوع والحصار والقهر النازي اليهودي ، ومعه القهر العربي الشقيق ..!

ويبدو أن نتائج الحرب المجرمة على غزة لم تكن مرضية لبعض العرب ، فوضعوا قرارات إعمار غزة في الثلاجات ، وأرادوا فرض مصالحة تلغي المقاومة الفلسطينية وتؤمن العدو النازي اليهودي ، وتتيح له فرصة الاحتلال الآمن ، والتغول المطمئن .. وأعلن فخامة الرئيس محمود عباس أنه لن يسمح أبدا بالمقاومة ، ولن تقوم في عهده أية انتفاضة فلسطينية أخرى ضد الغزاة اليهود القتلة ، بل إنه يقنع الصهاينة بعدم إتمام صفقة تبادل الأسرى الفلسطينين مقابل الجندى الصهيوني القاتل " جلعاد شاليط " ، ويطلب منهم عدم الإفراج عن مروان البرغوثي ، وأحمد سعدات ، حتى لايكون الأول بديلا له يجمع الفلسطينيين حوله ،أو بمعنى آخر يحقق المصالحة الفلسطينية ، وحتى لا يثير الآخر المشكلات ضد السلطة الفلسطينية المنبطحة أمام العدو .

وللأسف الشديد تبدو السياسة المصرية في موقف لا تحسد عليه نتيجة مواقفها غير المفهومة تجاه قطاع غزة ، فهي تتحكم في القطاع ، ومعابره ، وخاصة معبر رفح ، وتصر على عودة السلطة الفلسطينية الموالية للعدو لتشارك في حركة المعبر ، بحجة أن إخلاء مسئولية الغزاة القتلة عن احتلال القطاع سيجعل مصر تتحمل مسئولية القطاع وحماية الغزاةالقتلة منه ؟

صار العبور من القطاع وإليه يخضع لنوبات كرم من السلطة المصرية ، فتفتح المعبر في رفح بين حين وآخر ، لحالات إنسانية ، وهو ما دفع الفلسطينيين إلى استخدام الأنفاق على صعوبتها ومخاطرها ، ولكنها تهون جميعا أمام الجوع الذي يترصد الناس في القطاع ، فيتحملون المتاعب ، وارتفاع الاسعار ليتوفر لهم ما يقيمون به الحياة ، ويجعلهم يواصلون الأمل في يوم يعيشون فيه مثل بقية البشر . .

ولكن السلطة المصرية وبعد مطاردات عنيفة للأنفاق ، أرادت أن تضع حدا لتهريب الأطعمة ومستلزمات الحياة الأساسية بإقامة السد الواطئ ، تحت الأرض ، بحيث يكون فولاذى الجدار ، وقد اسهبت الصحف على تفاوت في وصفه ، بحيث يؤدي في النهايةإلى إحكام الحصار ، وخنق الشعب في غزة ، ليموت جوعا وفي صمت ..

كان الرد المصري بعد طول صمت ومراوغة إن مصر تحمي حدودها ، وأنها تقوم بعمل من أعمال السيادة لحماية حدودها ، وهذا كلام جيد بلا شك أن تحمي حدودك ، وتمنع الغزاة من الاقتراب منها ، ولكنه مع أهل غزة ، يطرح صورة أخرى ، بوصف غزة كانت محمية مصرية حتى عدولن ١٩٦٧م ، وكانت مصر طوال سنوات ٤٨-١٩٦٧م ، تعين حاكما مصريا للقطاع برتية لواء ، وكانت في القاهرة حكومة فلسطين المؤقتة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي ؛ التي تعين عمدة لغزة وللمدن الأخرى في القطاع .

مسئولية مصر واضحة ، وهي من خلال مفهوم بسيط للغاية يختلف عن مفهوم كتاب السلطة وأبواقها ومشايخها ووعاظها ، وهي أن غزة جزء من أمن مصر القومي ، وتأمين غزة تأمين لمصر العربية المسلمة من العدو النازي اليهودي وغدره الذي يميزه منذ جاءت العصابات الصهيونية إلى أرض الوطن السليب ، وحماية غزة حماية لمصر في كل الأحوال ، وليس أهل غزة هم الخطر الذي يهددنا بالاجتياح أو احتلال سيناء ، والواجب الذي يحلم المصريون أن تقوم به السلطة المصرية أن

تتحول غزة إلى درع يحمي مصر وشعبها من الصهاينة القتلة .. ثم كيف تكون حماية أمن مصر على حدود رفح مرادفا للذعر والهلع؟ في مارس الماضي زرت رفح وذهبت لأرى بوابة صلاح الدين التاريخية ، وللأسف وجدتها قد أزيلت بجدار من الصخور المبنية بالأسمنت المسلح ، وفوقها يربض جندى مصري بائس ، عندما رآني حذرني من الاقتراب مشهرا سلاحه : ممنوع يا أفندي ! كانت الغصة تملأ قلبي حين رأيت الحارات الموازية لرفح تبدأ مداخلها بنقاط حراسة مشددة ، والبؤس يخيم على المدينة الحزينة .. تذكرت السنوات البعيدة بعد هزيمة ٦٧ وكنت مجندا ونحن نستعد لحرب رمضان ، التي حققت هيبة غير مسبوقة لبلدنا ، وتساءلت في نفسي : كيف ضاعت هذه الهيبة؟ وهل بالجدران والذعر تتحقق هيبة الأمم ؟

إن وقوف مصر في صف واحد مع العدو لخنق أهل غزة ، لا يسوغه ما تنطق به الأبواق المأجورة عن الأمن القومي ؟ لأن الأمن القومي له مفاهيم أكبر وأعمق تحققه هيبة الدولة ، وتجعل الآخرين يفرون مذعورين بمجرد أن تبدى رغبة ما ، بل تدفعهم دفعا إلى تفادي إثارتها أو استفزازها أو إغضابها ! اما الهلع والذعر والاستعانة بالإعلام الفاشل ، فلا أظنها تسهم في تحقيق الأمن القومي .

تأمل صورة مصر العربية المسلمة أمام العالم ، وخاصة العالم الإسلامي ، وهي تمنع قوافل الإغاثة المحلية والدولية من الوصول إلى غزة ، وتخرج بعض أبواق الإعلام الأمنى تهاجم " جورج جالاوي " أوغيره من النشطاء الدوليين ، وتتهمهم بتهم مضحكة ، من قبيل أنه من بريطانيا التي صنعت مأساة فلسطين ؟ هل يقبل عاقل مثل هذا السبب لرفض قافلة جورج جالاوي؟ وهل نرفض نخوة أصحاب الضمير في أي مكان كانوا ومن أي جنسية كانت ؛ بعد أن ذهبت نخوة الأقارب والأشقاء ؟ ثم إننا نسأل المعنيين في السلطة : ما رأيكم في تظاهرات الأجانب في شوارع القاهرة ليدخلوا رفح وهم يفترشون الطرقات أمام سفارات بلادهم لتبحث لهم عن حل مع الحكومة المصرية كي يؤدوا مهمتهم الإنسانية ويدخلوا غزة؟ ما رأي الخارجية المصرية ووزيرها الهمام الذي يجلس في برامج التلفزيون الحكومي واضعا ساقا على ساق ، ومضطجعا على الآخر ، ويتفوه بكلام سقيم لامعني له حول القضية الفلسطينية وحماس والمصالحة ؟ تمنيت ان يذهب الوزير المبجل إلى تركيا ويجلس إلى وزير خارجيتها الشاب أحمد داود أوغلو ويتعلم منه كيف يقول لا للعدو النازي اليهودي ؟ وتمنيت أن يتدرب على يديه أيضا في كيفية الإضافة إلى رصيد مصر المعنوي على الساحة الإقليمية والدولية كما يضيف أوغلو لبلاده دون أن يشن حربا ، أو يحرك قواته المسلحة ؟

عموما الناس في مصر يقولون إن خنق غزة بسبب إسلام أهلها أومنظمات المقاومة ، ولقد عبر عباس رام الله من قبل عن كراهية الإسلام حين وصف غزة بالإمارة الظلامية ، أي الإسلامية .. أي إن القضية هي الإسلام ، فالإمارة البهائية في رام الله هي المطلوب إعلانه حتى يرضى الصهاينة النازيون القتلة .. !!

والله غالب على أمره

***

القتل بدم بارد !

كانت صور القتلى المسلمين النيجيريين على شاشة قناة الجزيرة تتوالى أمامي ، وأنا أفكر فيما جرى من اغتيال القائد الفلسطيني محمود المبحوح على يد الغزاة اليهود النازيين القتلة داخل فندق في دبي . القتل في نيجيريا تم في وضح النهار ، وصورته الكاميرات ، والقتل في دبي تم في الخفاء ، مع هروب الجناة ، وصحافة العدو تبدي بهجتها وسرورها لقتل الشهيد المبحوح ، وتتغنى بعبقرية الأشرار اليهود في القتل والملاحقة !
وفي صور الجزيرة التي أذاعتها على الناس يبدو القائد العسكري النيجيري بلا قلب ولا يعرف الرحمة ، وهو يصدر أوامره الدموية للجنود بقتل المسلمين البائسين ، وعدد منهم من كان يتوكأ على عكاز ، فيتم إلقاء العكاز بعيدا وتربط اليدان من الخلف ويلقى المسلم المدني على بطنه ، ثم يتنافس الجنود النيجيريون على إطلاق الرصاص على الضحايا المنبطحين على الأرض كأنهم مخلوقات أقل مستوى من الحيوانات .. تذكرت الحملات التي كانت تقوم بها الممثلة الشهيرة السابقة بريجيت باردو في باريس ضد المسلمين الذين يذبحون أضاحي العيد ، وترى في ذلك وحشية وخروجا على الإنسانية ، وتناشد الدولة الفرنسية والأمم المتحدة وهيئات حقوق الإنسان لوقف ما يفعله المسلمون الهمج ضد الخراف المسكينة !
الجيش النيجيري وبوليس نيجيريا ، لم يعترفا بقيمة المسلمين النيجيريين الإنسانية من جماعة بوكو حرام ، مع أن بعضهم مريض ، وبعضهم الآخر من ذوي العاهات ، وتم جمعهم في الساحات ، وتنفيذ قتلهم في الشوارع علنا وأمام الناس دون محاكمات أو مراعاة لأبسط مبادئ حقوق الإنسان ، وكان الإعلام الغربي الذي ينتفض من أجل شخص غير مسلم احتجز في مطار ، أو حقق معه في أحد أقسام الشرطة في بلد غير أوربي ، يشاهد ما يجري وكأنه بلا عينين ولا أذنين، وكأن الضحايا مجرد صراصير في دورة مياه !

الإعلام الغربي المتعصب ضد الإسلام والمسلمين بدا منذ زمان وكأنه يهيئ لمذابح المسلمين النيجيريين ، منذ بدأت حرب بيافرا والمعارك الطائفية التي جرت بعدها ، بسب كون نيجيريا تشكل البلد الكبير سكانيا في إفريقية وبه أكبر عدد من المسلمين (أكثر من ٧٠% ، والباقي في الجنوب من الوثنيين والنصارى ، ويشكل الوثنيون الأغلبية في الجنوب - و تشبه السودان نيجيريا في هذا الأمر !) ، واستمرت التهيئة حتى الآن بهدف تصفية الإسلام في نيجيريا وتحويلها إلى بلد نصراني ، وقد تركز تهييج الإعلام الغربي على جماعة إسلامية محدودة أطلق عليها بوكو حرام ، أي التربية الغربية حرام ، وهدف هذه الجماعة تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الولايات الإسلامية النيجيرية ، وقد وصفها الإعلام الغربي بأنها طالبان نيجيريا ، وكأن طالبان تمثل الكلمة السحرية التي تعطي الضوء الأخضر لإزهاق الأرواح ، ومن ثم فقد اصطدمت السلطة النيجيرية التي يهيمن عليها غير المسلمين مع هذه الجماعة ، وقامت بتصفية معظم كوادرها دمويا ، وقتلت رئيسها ، وادعت أنه قتل بغير معرفتها !

المسلمون في نيجيريا عموما يعيشون حالة بؤس فريدة في نوعها ، مع أنها تعد من أغنى دول إفريقية في الثروة البترولية وغيرها ، وبالطبع فإن غير المسلمين يعيشون حالة رخاء وثراء جيدة ، وهم يمثلون طبقة عليا في المجتمع النيجيري ، وساعدهم الغرب على تملك مقدرات البلد والسيطرة على ثرواتها ،من خلال تبنيه للنصارى وأبنائهم ومنحهم فرصا أفضل في التعليم والعمل والبعوث الأجنبية والتدريب ودخول الكليات العسكرية والشرطية .. مما يمنحهم فرصة أفضل من المسلمين الذين يتمركزون في الشمال والوسط ، ويعيشون ظروفا اقتصادية بائسة ، وفقرا مدقعا مما يترتب عليه أحيانا قيام بعض الجماعات بتدمير أنابيب النفط كما يحدث في دلتا نهر النيجر . وفي كل الأحوال يبقى المسلمون هدفا للمذابح الدموية الطائفية ، وفي الوقت نفسه يمثلون صيدا ثمينا للمنصرين الذين يفدون من دول الغرب وأميركا .

وقد خاض النيجيريون حروبا طائفية طاحنة منذ عام ١٩٦٧م ، كانت للغرب يد طولى في إشعالها بين المسلمين الضعفاء وبين النصارى الأقوياء المدعومين برعاية استعمارية صليبية ، عسكريا وماديا وإعلاميا ، وقد عانى المسلمون من جراء ذلك كثيرا على المستويات كافة ، وقد تم التوصل إلى توافق بأن يكون الرئيس النيجيري بالتناوب بين المسلمين والنصارى .. وفي ظل الوضع العام لميزان القوى في نيجيريا ، فقد عم الفساد في البلاد وطم ، وانتشرت المظالم ، وكان الطرف المسلم هو الضحية الرئيسية الذي يعاني بقسوة نتيجة للفساد والظلم الاجتماعي !

وقد جاءت صيغة القتل بدم بارد ، لبقايا جماعة بوكو حرام نموذجا من نماذج الفساد المستشري في نيجيريا ، وهو فساد مدعوم بالتعصب الذي يغذيه الولاء للغرب الاستعماري الصليبي .

لقد قال المدعي العام في نيجيريا إن أكثر من مائة شخص يواجهون الحكم بالإعدام لعلاقتهم بقضية القتل العلني التي جرت لجماعة "بوكو حرام"، حيث حصلت قناة

الجزيرة على صور خاصة بتنفيذ الجيش لإعدامات أفراد الجماعة، وهذه محاولة لحفظ ماء الوجه السياسي لحكومة نيجيريا الفاسدة المتعصبة ضد المسلمين الذين يمثلون الأغلبية في البلاد .

كان نحو ألف شخص قد قتلوا الصيف الماضي في مواجهات وقعت بين الشرطة والقوات النيجيرية وجماعة "بوكو حرام" في الولايات الشمالية من البلاد ، ولم تقم الحكومة النيجيرية وزنا للضحايا ، ولم تشر بطرف عين للمجرمين القتلة ، بل شوهت الضحايا ، وصنعت لهم صورة كريهة تناقلها الإعلام الغربي المغرض .

ذكرت جماعات مدافعة عن حقوق الإنسان إن أغلبية القتلى في الصور التي نقلتها الجزيرة كانوا مدنيين، كما قالت إن القوات الحكومية تتحمل مسؤولية كبيرة عما حدث. لكن السلطات النيجيرية نفت هذه الاتهامات! وإن كان كلام المدعي العام في نيجيريا يحاول أن يقنع العالم أنه بسبيل محاكمة أكثر من مائة شخص ذرا لرماد في العيون .

لقد تمت الجريمة في ظل غياب الرئيس النيجيري عمر يارادو في السعودية للعلاج ، وتولية نائبه المسيحي جود لاك جوناثان للقيام بأعمال رئيس الجمهورية ، وقد كان هناك رفض من المحكمة الدستورية النيجيرية لتولية جوناثان لأعمال الرئاسة ، وتدخلت وزيرة الخارجية الأميركية ودول الغرب لإقناع الساسة النيجيريين بتولية نائب الرئيس ، وقد تم الأمر بالفعل ، وواضح أن مراكز الفساد التي يمثل بعضها فريق من الوزراء يقفون وراء الفوضى السياسية والأمنية التي تعيشها البلاد من أجل مصالحهم ، وينجم عنها إتاحة الفرصة للإجرام الطائفي أن يعبر عن نفسه من خلال عناصر الجيش والشرطة !

إن دماء الضحايا المسلمين لن تتوقف طالما يسكت المسلمون خارج نيجيريا عن مساندة أشقائهم النيجيريين ، وطالما كان هناك صمت في أجهزة الإعلام العربية والإسلامية..إن مقتل بعض الطائفيين في مصر على يد مسجل خطر ، أثار الدنيا ولم يقعدها حتى اليوم ، وقام الفاتيكان ودول الغرب الصليبي بإصدار البيانات العنيفة ضد الحكومة المصرية ، وجاءت الوفود واللجان من بلاد الغرب للتحقيق مع المسئولين المصريين ومساءلتهم واستجواب شيخ الأزهر ووزير الأوقاف وغيرهما ، وتنافست الصحف المصرية والإعلام المصري والهيئات المصرية المختلفة في التعبير عن الولاء والبراء والتضامن والتعاطف وحسن النوايا ،، ولكن أهل نيجيريا المسلمين يقتلون في وضح النهار بدون محاكمات وهم مكتوفو الأيدي منبطحون على الأرض ، دون أن يتحرك أحد أو يغضب أحد ، أو يصدر أحد في بلاد المسلمين بيانا يستنكر ما جرى .. مع أن الضحايا مدنيون أبرياء ! ولله الأمر من قبل ومن بعد !

***

فضيلة الجنرال .. والمسجد الجريح ؟!

لا أقصد بالمسجد الجريح المسجد الأقصى المبارك الذي أسرى الحق سبحانه وتعالى برسوله – صلى الله عليه وسلم – إليه ، وتحتله القوات النازية اليهودية الغازية بدعم من المؤسسة الاستعمارية الصليبية الغربية بقيادة الولايات الأميركية المتحدة .. فهذا المسجد له رب يحميه ، ويرد عنه كيد الغزاة المجرمين ، بعد أن تقاعس عن نصرته من ينتمون إلى الإسلام ، وقعدوا عن الجهاد ، وقالوا لا طاقة لنا اليوم بالعدو وجنوده ..

كلامي عن المسجد في مصر على إطلاق _ مطلق المسجد الذي أممه فضيلة الجنرال وزير الأوقاف ، وعزله عن أداء مهمته الدعوية ، ومنعه أن يكون مثابة للناس وأمنا ، وعلما ومعتكفا ، وفرض عليه الإغلاق ، عقب الصلوات مباشرة ، مع فتحه قبلها بوقت قليل ، وحارب مكبرات الصوت التي تنقل الأذان ، وأهمل بناءها وصيانتها ، وصار معظمها لا يليق بأمة الإسلام في أرض النيل!

فضيلة الجنرال آثر أن يكون رجل أمن للسلطة ، مع أنه ليس وزيرا للداخلية ، وفضل إرضاء السلطان على الولاء للقرآن ، وراح يحارب في جبهات ليست من اختصاصه ، وبدلا من أن يقوم بواجبه الدعوي الذي يعرف الأمة بصحيح الدين في المجالات المختلفة ، آثر أن يهجو الجماعات الإسلامية على اختلاف ألوانها وتعدد اتجاهاتها ، ولم يبق منها نصيرا له ، حتى جماعات الدراويش ، وأرباب الموالد دخل معهم في صراع غير مفهوم ليس على فهم الدين ، ولكن على فتح المساجد لهم أو إغلاقها دونهم !

ومع أن الرجل يبلغ الآن السابعة والسبعين (مواليد ١٩٣٣م ، أطال الله عمره) وعمر في الوزارة قرابة عقدين من الزمان ، ونال من مناصب الدولة وخيرات النظام وجوائزه ما تقرّ به عينه .. فما زال فيما يبدو يطمع في الكثير ، مع أن المفترض أن يكون مستعدا للقاء الله بعمل يبيض وجهه ، ويمحو ما مضى من سيئات سياسية وحكومية وغيرها .

علـى كل حـال ، كنـت أتمنـى أن يتمثـل فضـيلة الجنـرال بـبعض فلاسـفة الألمـان الـذين يحبهم ، وتعلم فلسفتهم ، وعاش في ديـارهم أجمـل فتـرات عمـره ، لدرجـة أنـه صـاهر قـومهم ، وكانـت ألمانيـا وجهتـه دائمـا لقضـاء العطـلات وحضـور المـؤتمرات ، بـل إن اهتماماته كانت نابعة من اهتماماتهم ، فمعظم المؤتمرات التـي حضـرها فـي ديـارهم ؛ كانت حول العلاقة بين الغرب والإسلام أو ما يسمى حوار الأديان أو صـورة الإسـلام في الفكر الغربي ..

تمنيت أن يكون مثلا صـاحب موقـف مثـل مـاكس فيبـر الفيلسـوف الألمـاني ((١٨٦٤ ـ ١٩٢٠) ، أحد أهم روّاد علـم الاجتمـاع ومؤسسيه ، وكـان موقفـه مـن الانحيـاز إلـى الـدين ودوره فـي تفسـير السـلوك البشـري ، وأحداثـه قويـا وواضـحا ، ففـي حـين ركّـز مـواطنه كـارل مـاركس علـى العوامـل الاقتصـادية فـي ظهـور الرأسـمالية، أعطـى فيبـر أهمية كبيرة للمعتقدات الدينية والقيم في نشوء وظهور هذا النظام الاقتصادي.

وإذا كـان فيبـر ؛ رائـد علـم الاجتمـاع قـد ألّـف أعمـالا كثيـرة، فـإن أبـرز هـذه الأعمـال وأكثرهـا تـأثيرا فـي الفكـر الاجتمـاعي الألمـاني ؛ كـان كتـاب "الأخـلاق البروتسـتانتية وروح الرأسـمالية" ويعـدّه المؤرخـون، أهـم قـراءة لـدور القـيم الدينيـة فـي ظهـور قـيم العمـل وأخلاقـه فـي المجتمعـات الصـناعية الجديـدة التـي كانـت أسـاس ظهـور النظـام الرأسمالي. . ومن أهم المصطلحات التـي أثـرى بهـا علـم الاجتمـاع وتعـدّ جـزءا مهمـا منـه ، ومرجعـا كبيـرا للمهتمـين بهـذا العلـم الإنسـاني هـي : "العقلانيـة" و"الكاريزمـا" و"الفهم" و"أخلاق العمل".

ويحسب لماكس فيبـر موقفـه الـوطني العظـيم فـي مـؤتمر فرسـاي ، ففـي عـام ١٩١٩ رافق فيبر الوفد الألماني إلى باريس لحضور مؤتمر فرساي الذي وضـع حـدا للحـرب العالمية الأولى. وبعد أن تبين لمستشار الوفد الألماني أن الحلفـاء ـ حسـب المـؤرخين ـ لا يرمـون مـن خـلال المـؤتمر إلـى إحـلال السـلام ، بـل إلـى اسـتغلال ألمانيـا وإذلالهـا، غادر المؤتمر احتجاجا على ذلك. حيث توفي في عام ١٩٢٠ .

لم يرض الفيلسوف باستغلال بـلاده وإذلالهـا ، فلمـاذا يرضـى فضـيلة الجنـرال الـوزير بقبول الاستغلال والـذل مـن جانـب المؤسسـة الاسـتعمارية الصـليبية التـي تريـد تجريـد شـعبنا المسـلم مـن إسـلامه ، وتحويلـه إلـى مجـرد كائنـات حيـة تبحـث عمـا يشـبعها بيولوجيا ؟ لماذا تريد يا فضيلة الجنـرال أن تفـرغ المسـاجد مـن مهمتهـا التـي يفتـرض أنها تصنع السلوك الإنساني ، وتبلـور أفكـاره تجـاه الحيـاة ، ونشـاطاتها المختلفـة – بعـد أن نجح الأشرار في تفريغ التعليم والثقافة من الإسلام ؟

إن الفيلسـوف الألمـاني كـان وفيـا للمبـادئ البروتسـتانتية مـن اجـل بـلاده ، فلمـاذا تريـد تغيير الخطاب الديني الإسلامي من اجل المؤسسة الاستعمارية الصليبية وإرضائها ؟

هل المؤسسة الاستعمارية الصليبية أكثر إنسانية من عقيدتنا وشريعتنا ؟ بالتأكيد : لا .

سوف تسألني : عن كيفية تجريد المساجد من الإسلام ؟ أخبرك بما يلي :

في مصـر قرابـة مـائتي ألـف مسـجد . قمـت بتـأميم أكثـر مـن مائـة ألـف مسـجد (أربعـة آلاف ومائـة ألـف مسـجد) والبـاقي يتبـع الجمعيـات والمؤسسـات غيـر الحكوميـة . فمـن يخطب في هذه المساجد ويؤم المصلين فيها ؟

هناك حسب كلامك وتصريحاتك في أكثر من مكان ٤٨ ألف إمام وخطيب يتبعون الوزارة ، ومعنى ذلك أن ستة آلاف وخمسين ألف مسجد بدون خطيب وإمام . كيف ؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن تجيب عليه .

لقد كنت مدفوعا بدوافع غير دعوية ، وفي حمى شديدة ومرتفعة لتأميم المساجد الأهلية والزوايا الصغيرة ، وضمها على غير استعداد إلى ملكية الوزارة حتى لا يصعد إلى منابرها خطيب يقول كلمة الحق ، ويصدع بكلمة الله . فأكثرت من الضم والتأميم حتى لم تجد من يخطب أو يؤم ، اللهم إلا من المصلين الذين قد لا يحسنون قراءة آية ، او يفقهون معنى جملة قرآنية . وحصاد ذلك كما تعلم يا فضيلة الجنرال زيادة في جهل الجاهل ، وتغييب حكمة الدين ، وإبعاد معنى الشريعة وغايتها .

ثم إن المساجد التي تحظي بثمانية آلاف وأربعين ألفا من الخطباء والأئمة تعاني من هؤلاء الأمرّين ، فمعظمهم أو كثير منهم لا يحفظ القرآن ، بل لا يحسن تلاوته ، ومعلوماته ضحلة ، وقدراته اللغوية محدودة ، وثقافته العامة في الحضيض .وهؤلاء بالطبع يريحونك ، ويريحون أجهزة الأمن ، فلا خوف منهم أو عليهم ، وليقولوا ما يشاءون ، ولو كان عكس مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه ، ولا باس أن تجد منهم نماذج عجيبة وغريبة ، تمارس أعمالا لا تليق بمن يفترض أنه إمام أو خطيب ، و، وبعضهم قد لا يحضر إلى المسجد إلا لماما ، لأنه مشغول بقيادة التوك توك الذي يملكه ويدر عليه دخلا إضافيا فوق مرتبه الشهري ، أو يمارس مهنا أخرى مثل السباكة ، والجزارة ، والتجارة ، والسمسرة ،غير ذلك .

وسبق أن عرفنا أن كثيرا من هؤلاء قد وصل إلى وظيفته بطرق غير مشروعة ، لا داعي للحديث عنها مرة أخرى ، فضلا عن أن المسابقات التي تجريها الوزارة للمتسابقين لا تفرز إلا نحو عشرة في المائة ينجحون بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، بشرط الرضا السامي الأمني . فالمتسابق المتفوق ؛ الذي يشتبه أنه سيصدع بالحق يلفظه الأمن وتلفظه الوزارة ، ويخسر الناس إماما جيدا ، وخطيبا صالحا .. ولكن فضيلة الجنرال ، ومعه الأمن بالضرورة ، لا يعنيهما أن يخسر الناس أو يكسبوا . فالمسألة مسالة إخضاع وإذلال ، وسيطرة شاملة ، ولا مجال هنا للدعوة أو القيم الدينية المؤثرة التي تحدث عنها ماكس فيبر الألماني الوطني الذي يحرص على استقلال بلاده المهزومة وكرامتها المهدرة أمام جبروت القوى الاستعمارية الكبرى !

ثم إن المساجد التابعة لجمعيات ومؤسسات غير حكومية ؛ يشترط فضيلة الجنرال أن يحصل خطباؤها على تصريح من الأمن ، وإلا صارت مهددة بالإغلاق ، ومعاقبة من يخطب دون تصريح ، مثلما يعاقب من يخطب دون تصريح في المساجد المؤممة ومن يساعده على ذلك !

لا مجال هنا للمقارنة مع الكنيسة التي تشرف على تعليم الرهبان والكهنة ، وتختارهم بنفسها ، دون أن يستطيع الأمن أو السلطة بأكملها ، فتح الفم أو العين ، ولا تقدر أية جهة في الدولة أن تغلق كنيسة ولو لدقائق ، حيث تستمر الكنائس في أرجاء المحروسة مفتوحة على مدار اليوم والليلة ، بل إن الكنيسة تظل مفتوحة لتظاهرات الطائفة ، في أي وقت ، ولا يستطيع أحد – أيا كان هذا الأحد – أن يطبق على

المتظاهرين الطائفيين ؛ قانون منع التظاهر الذي صاغه وقدمه فضيلة الجنرال إلى المجلس التشريعي ، ووافقت عليه الأغلبية ، وأقرته السلطة ويطبق في المساجد دون الكنائس مع أنه من المفترض أن يطبق ا لقانون على الجميع ! ..

وبالمناسبة فإن التمرد الطائفي حين يعلن عن شراهته لزرع مصر المسلمة بالكنائس التي تشبه القلاع ، ولا يرتادها أحد ؛ فإن فضيلة الجنرال وضع قانونا به عشرة شروط يستحيل تنفيذها لبناء مسجد يتطوع أحد الأشخاص ببنائه ، بل إنه تطرف ذات يوم ، ووضع قانونا يجيز للسلطة الاستيلاء على العمارات والبيوت التي يبنى أسفلها مساجد ؟! أرأيتم إلى جبروت فضيلة الجنرال تجاه الإسلام والمسلمين ؟

إن نشر الدعوة الإسلامية هو الطريق إلى استقلال مصر ، وتقدمها ، وانتصارها وإنسانيتها ، وتحقيق الأمن في أرجائها . وما يقوله الخطباء والأئمة الذين يصدعون بالحق وكلمة الله لن يكون أشد أو أقسى مما يقوله الكتاب والمفكرون والأدباء في الصحف والدوريات والكتب ، وبعضهم يهاجم السلطة كبيرا وصغيرا ، دون أن يسقط نظام الحكم ، أو يتغير الحكام ، فلماذا هذا الذعر والتوتر والقسوة في تأميم المساجد وحرمانها من الخطباء الصالحين والأئمة الطيبين ؟لصالح من ؟ هل سترضى المؤسسة الاستعمارية الصليبية التي تريد تغيير الخطاب الديني الإسلامي ؟ وتكف عن رغبتها العدوانية في قهر المسلمين وإذلالهم وسلب ثرواتهم وسرقة تراثهم ؟

أظن : لا !!

***

مونديال آخر : طالبان ضد الغزاة !

لا أهتم بكرة القدم المحلية ولا العالمية ؛ وأراها في بلادنا نوعا من السبوبة التي تعود بالملايين على بعض الناس مقابل جهد ضئيل ومواهب خاصة في التسويق والسمسرة والفهلوة ، وفي الوقت ذاته تخدم الفساد والاستبداد ، وتطيل أمد التخلف الذي تعيشه البلاد ، ويعود بها قرونا إلى الوراء ، لأنها ليست في حالتها الطبيعية التي هي عليها في بلاد العالم الأخرى ، وللأسف فإن المجال لا يحتمل تفسير ذلك .

ومع ذلك فقد سعدت بفوز غانا على الولايات المتحدة في مونديال ٢٠١٠م بجنوب إفريقية وإخراجها من الأدوار النهائية ، ولا أخفي أنني أتمنى هزيمة الولايات المتحدة في أي مجال، فقد قهرتنا هذه الدولة الظالمة القاتلة ، ويكفي أنها قتلت مليونا ونصف مليون عربي ومسلم في أفغانستان والعراق والصومال ، ورمّلت مثل هذا العدد من النساء ، ويتّمت ضعفه من الأطفال ، فضلا عن نهب الثروات ، وسرقة التراث ، وتخريب البنية التعليمية والثقافية في كل بلد عربي وإسلامي هيمنت عليه عسكريا ، أو سيطرت عليه سياسيا ..

ولكني سعيد من ناحية أخرى ، حيث تخوض الولايات المتحدة ، ومعها العالم الصليبي تحت اسم النيتو ، مباراة مونديال من نوع آخر ، مع فريق مسلم مجاهد اسمه طالبان ، وأنتظر بإذنه تعالى هزيمتها على أحر من الجمر . والمباراة هنا بدت لصالح الفريق الاستعماري الصليبي في شوطها الأول ، حيث أطاحت بحكومة طالبان ، ونصبت عملاءها ، وخدعت بعض الفرقاء الأفغان بالكلام عن الديمقراطية ومحاربة الإرهاب ، وبناء البلاد اقتصاديا وسياسيا ، وظنت الولايات المتحدة وأتباعها أنهم في طريقهم إلى كسب المباراة بالصواعق القاصمة في وقت قصير ، وزمن غير بعيد ، ولكن المباراة امتدت لأشواط إضافية ، وركلات جزاء لما تنته بعد ، لأن فريق طالبان لم يكن بالسهولة التي تصورها الصليبيون الاستعماريون . صحيح أنه فريق فقير ، لا يملك إلا أسلحة بدائية متواضعة ، ولكنه يدافع عن مرماه باقتدار عجيب ، معتمدا على سياسة الكر والفر ، وإرهاق الفريق الخصم بأساليب

متنوعة برع فيها الأفغان مذ قهروا الغزاة الإنجليز في القرن الماضي ، وقهروا بعدهم الغزاة الروس الشيوعيين ، وهم لا يملكون إلا إيمانهم وصبرهم على المواجهة والمقاومة .والآن فإن الفائز يعرف نفسه جيد ا .
لقد جاءت الولايات المتحدة وأتباعها من المستعمرين الصليبيين الغزاة ، وفيهم للأسف بعض المسلمين السذج ، لتخوض حربا ضروسا ضد شعبنا المسلم في أفغانستان بحجة مكافحة الإرهاب . والإرهاب عنوان خسيس أطلقته الولايات المتحدة وأتباعها للحرب على الإسلام والمسلمين ، والسيطرة على ثرواتهم ومقدراتهم دون حق ، ويسبق جنودها القتلة ، جنود آخرون يرتدون ثياب الكهنوت ، أو يحملون فكر الكهنوت ، لإخراج المسلمين من ملتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .. وقد حققوا بعض النجاحات بلا ريب ، بمساعدة من بعض الخونة الذين ينتمون إلى جلدتنا العربية أو الإسلامية .
لقد زعم الغزاة الصليبيون أن الحرب على أفغانستان تأتي تأديبا لمن يسمون بالإرهابيين والمتطرفين الذين فجروا برجي التجارة العالميين في نيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، فذهبوا بطائراتهم وصواريخهم ليدمروا وطنا بأكمله ، ولم يصلوا بعد تسع سنوات إلى من اتهموهم بالتفجيرات ، ولكنهم وصلوا إلى كل سنتيمتر في أعماق أفغانستان ، بالتدمير والدم والسيطرة والهيمنة ، وحتى الآن لا يعرف العالم الفاعل الحقيقي الذي ارتكب الجريمة ، ولم يجر تحقيق دولي محايد حول الجريمة ومرتكبيها ، وإن كانت تكهنات كثيرة في الغرب الصليبي الاستعماري نفسه أشارت إلى أن العمل من تدبير جهات استخبارية في واشنطن وتل أبيب لتبرير هذا القتل الوحشي للشعب الأفغاني المسلم ، وتحقيق مآرب أخرى !
بيد أن المقاومة الأفغانية بقيادة طالبان فاجأت المنتخب الاستعماري الصليبي بقيادة الولايات المتحدة ، بأنها أكثر خبرة في الكر والفر ، والقدرة على المناورة ، وإنزال المزيد من الخسائر بأفراده ، بل توظيف ذكائها في تحقيق تمويل مقاتليها بأموال الأميركان أنفسهم ، وقالت التقارير الصحفية إن تحقيقا استمر ستة أشهر؛ توصل إلى أن الشركات التي تنقل الذخيرة والغذاء والوقود والماء للقواعد الأمريكية في أنحاء مختلفة من أفغانستان تدفع ملايين الدولارات أسبوعيا لشركات أمن محلية كي تؤمن لها المرور الآمن عبر المناطق الخطرة.
وبحسب التحقيق ، فإن هذه الأموال تصل بعد ذلك إلى زعماء محليين ، وبعض هذه الأموال يجد طريقه إلى حركة طالبان ؛ وهو ما يعني أن أموال دافعي الضرائب الأمريكيين تستخدم في تمويل طالبان بشكل غير مباشر!
بعد الصمود الأسطوري للمجاهدين الأفغان وزيادة الخسائر البشرية والمادية في الجانب الاستعماري الصليبي ، جاءت مؤخرا إقالة الجنرال ماكريستال أسطورة العسكرية الأميركية وصاحب خطة زيادة القوات الأميركية للقضاء على المجاهدين ؛ لتشكل ضربة مؤلمة للولايات المتحدة ، وتقدم دليلا على ضعف المعنويات والانهيارات النفسية في الجيش الاستعماري المقاتل في بلاد الأفغان ، فضلا عن هروب ذكي للجنرال نفسه دون أن يتحمل مسئولية الهزيمة !

لقد كانت الحقائق على الأرض تشير إلى عكس ما توقعه الأمريكيون ، وتصاعدت حدة الاتهامات المتبادلة بين أركان إدارة أوباما ، وخرج ماكريستال على الملأ ليفضح المستور في محاولة لتبرئة نفسه من مسئولية فشل إستراتيجية أوباما الجديدة في أفغانستان .
ولم يكن سلوك ما كريستال هو الأبرز في هذا الارتباك الأميركي ، ولم يكن هو "الجنرال التائه " ، كما سمّته مجلة «رولنج ستونز» ، في نظر أركان المؤسسة العسكرية والقوات الأميركية على الأرض ، فقد تحدى ماكريستال مقولة جو بايدن بأن في الإمكان تخفيض عدد القوات في أفغانستان والمضي بحرب محدودة ضد «طالبان» واصفاً ذلك بأنه عبارة عن تحويل أفغانستان إلى «كايوستان«، (chaostan)، أي بلاد الفوضى العارمة .
لقد تولى الجنرال منصب قائد القوات الخاصة في الجيش الأمريكي للفترة من عام ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٨ ، وفي خلال تلك الفترة ، قام بتصفية عدد من "الأهداف البشرية المهمة" بالنسبة للأمريكيين في العراق وأفغانستان مثل أبي مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم القاعدة في العراق الذي اغتيل في عام ٢٠٠٦ بضربة جوية أميركية .
ومع ذلك ، وبعد أن تحققت مطالبه في زيادة القوات الأميركية في أفغانستان ، فوجئ الأميركيون بتصاعد هجمات طالبان أضعاف ما كانت عليه العام الماضي ٢٠٠٩م ، بل إن شهر يونيو الحالي كان الأكثر دموية في عام٢٠١٠ حيث لقي ٧٥ جنديا من الناتو والقوات الأمريكية مصرعهم حتى ٢٣ من هذا الشهر، وهو اليوم الذي قرر فيه الرئيس الأميركي باراك أوباما إقالة ماكريستال من منصبه وتعيين قائد القيادة المركزية الأمريكية ديفيد بترايوس بدلا منه .
لقد أشار تقرير للجيش الأمريكي إلى أن تزايد العمليات العسكرية في أفغانستان مؤخرا؛ تسبَّب في تدني معنويات قواته، وتزايد معدلات الانتحار، وجاءت النتائج خلاصة استطلاعين منفصلين نفِّذا في مطلع هذا العام، في حين أظهرت إحصائية جديدة تزايدًا في معدلات الانتحار بين صفوف الجيش الأمريكي.وقال كبير أطباء الجيش الأمريكي، الجنرال أريك شوميكر: "تتواصل معاناة الجنود في أفغانستان مع الإرهاق والإجهاد من جرَّاء تكرار النشر في ساحات القتال"، وأظهر التقرير الذي نشرته وكالة (CNN) الإخبارية أن الجنود الذين تكرر نشرهم ٣ أو ٤ مرات لأداء الخدمة في أيٍّ من العراق أو أفغانستان، تدنَّت معنوياتهم بشكل ملحوظ، كما ارتفعت نسبة معاناتهم من الأمراض النفسية عن سواهم ممن تمَّ نشرهم هناك مرة واحدة أو اثنين. ، كما تدنَّت الروح المعنوية بين وحدات الجيش الأمريكي في أفغانستان لقرابة النصف عن معدلات عامي ٢٠٠٧م و ٢٠٠٥م من نحو ١٠% حينئذ إلى ٥.٧% هذا العام.
ويمتدُّ تأثير ذلك عند عودة الجنود إلى الوطن وصعوبة التأقلم في الحياة العائلية؛ وهو ما رفع حالات الطلاق بين الجنود المتزوجين إلى معدلات غير مسبوقة.
على جانب الشريك البريطاني الذي يمثل أهم الشركاء مع الولايات المتحدة في الحرب الاستعمارية الصليبية ضد الأفغان ، فقد كشفت صحيفة "صنداي تايمز"

البريطانية في ٢٠١٠/٦/١٣م ؛ أن حكومة ديفيد كاميرون قررت عزل رئيس أركان الجيش البريطاني المارشال جوك ستيراب في إطار سعيها لمعالجة الإخفاقات في مهمة قواتها بأفغانستان ، وفي ٢٢ يونيو ، كشفت صحيفة "الجارديان" البريطانية أيضا أن المبعوث البريطاني الخاص لكل من باكستان وأفغانستان سير شيرارد كاوبر ؛ الذي دعا للحوار مع طالبان ، قرر تمديد إجازته في بريطانيا وعدم العودة للمنطقة مما يعني تركه المنصب .
وأضافت "الجارديان" أن الأخبار حول رحيله المفاجئ تزامن مع إعلان وزارة الدفاع البريطانية أن عدد الجنود البريطانيين القتلى في الحرب وصل إلى ٣٠٠ ، فيما أعلن أن كلفة الحرب في أفغانستان والعراق بلغت عشرين مليار جنيه إسترليني ..
ومهما يكن من أمر الصراع بين الأفغان والغزاة ، فقد أعلن الأميركان عن اكتشاف موارد طبيعية معدنية ضخمة في أفغانستان بقيمة تريليون دولار وأكثر ، وهو خبر مهم جداً يكشف أطماع الأميركان الحقيقية في أرض الأفغان ، ويفسر إصرارهم على تحدي العالم لإيذاء الشعب الأفغاني المسلم دون ذنب جناه ، كما يكشف عن مستقبل العلاقات الأميركية – الروسية – الصينية التي تتصارع على النفط والمعادن القيّمة حول بحر قزوين ، مما يشير إلى أن الصراع سيأخذ أبعادا أخرى قد تعزز من مكانة المقاومة الأفغانية ، وقد تتلقى مساعدات عسكرية أفضل من الصين أو الروس ، لإحراج منافستهما الكبرى : الولايات المتحدة .
ولكن يبقى إيمان الأفغان بربهم ودينهم ، وإصرارهم على الجهاد والصبر في مجالدة الأعداء مدخلا أساسيا ، إلى تحقيق النصر على الولايات المتحدة في مونديال آخر ، أكثر شراسة ووحشية بما يملكه الغزاة المستعمرون الصليبيون من إمكانات فائقة وتقنيات عالية ، ولكن النصر لمن يصبرون ويصمدون ، والله ناصر جنده في كل الأحوال.

***

أيها الخُيَّاب الفاشلون ..تعلموا من طالبان !

بينما ينشغل الخياب الفاشلون بمعاركهم الهامشية والسطحية للانتصار على شعوبهم المسلمة في تحريم النقاب ، والتشهير بالحجاب ، وتقييد تعدد الزوجات ، ومنع الختان ، والتنديد بزيادة النسل ومحاربته ، والدفاع عن التعذيب الممنهج في أقسام الشرطة والمعتقلات والسجون ، وإلهاء الناس عن مشكلات التضخم والفساد والانهيار الاقتصادي والاجتماعي باختلاق مشكلات هامشية وصراعات حول كرة القدم والمتكسبين بها ، وصدام بعض فئات المهنيين والنقابيين ، ثم الترويج للتحالف مع الأعداء والخصوم ، وتبني أفكارهم وتصوراتهم دون قوتهم وتخطيطهم ، والانبطاح أمام إرادة الغزاة ، ومشاركتهم في حصار شعوبهم وقهرها وإذلالها .. بينما يحدث هذا وغيره ، يأتينا درس جديد آخر من شرق العالم الإسلامي غير الدرس التركي الذي جاء من الغرب الإسلامي .. إنه درس طالبان ! نعم طالبان التي تقاتل لتحرير بلاد الأفغان من الغزاة القتلة الصليبيين !

في الأيام القليلة الماضية أعترف وزير الدفاع الاستعماري الصليبي في الولايات المتحدة " روبرت جيتس بصعوبة هجوم القوات الدولية (الاستعمارية) في أفغانستان علي حركة طالبان، إلا أنه شدد علي إحراز تقدم برغم الخسائر الكبيرة في الأرواح الأهرام ٢٠١٠/٦/٢٢م . ونقل راديو سوا الأمريكي ٢٠١٠/٦/٢١م ، عن جيتس قوله أعتقد أن هناك تسرعا في إصدار الأحكام حول الوضع (يشير إلى ما قيل عن هزائم القوات الاستعمارية !) ، والمهم أننا نحرز تقدما، ولكن بوتيرة أبطأ من المتوقع .

وحول تصريحات الجنرال الأمريكي ستانلي ماكريستال القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلنطي(الناتو) في أفغانستان بخصوص بطء تقدم العمليات بسبب الصعوبات علي الأرض،أكد جيتس أن ماكريستال عبر في رسالته إلي وزراء الناتو عن ثقته في قدرته علي إثبات أنه لا يطبق فقط الإستراتيجية المناسبة بل أيضا يحرز تقدما ملموسا بحلول ديسمبر المقبل!!

من ناحية أخرى ذكرت وكالات الأنباء أن القوة الدولية للمساعدة على إحلال الأمن في أفغانستان (إيساف) أعلنت عن مقتل أحد جنودها في أفغانستان، مما يرفع عدد القتلى في صفوفها إلى عشرة جنود خلال ٢٤ ساعة. وقالت القوة التي يقودها حلف شمال الأطلسي (ناتو) إن الجندي قتل في جنوب أفغانستان دون أن تعطي إيضاحات إضافية. وكانت إيساف قد أعلنت قبل يوم واحد عن مقتل تسعة من جنودها أغلبهم من الأميركيين في حوادث متفرقة بأفغانستان. وذكر الحلف أن أربعة من جنوده هم ثلاثة أستراليين وأميركي قتلوا وأصيب سبعة آخرون في سقوط طائرة مروحية عسكرية في ولاية قندهار.

كما قتل جنديان من الحلف الأطلسي -أحدهما أميركي والآخر كندي- في انفجارين منفصلين بالجنوب الذي يعد معقلا لحركة طالبان

طالبان كما يعلم الناس في العالم الإسلامي قوم بسطاء ، يعيشون عيشة الكفاف ، ويستخدمون أسلحة بدائية في مقاومة القوات الاستعمارية الصليبية التي دمرت أفغانستان ، وأسقطت حكمهم ، وطاردتهم إلى الجبال ، بعد أن قتلت نصف مليون أفغاني بريء لا يعرف أين تقع أميركا ، وطالبان يملكون شيئا لا تملكه القوات الاستعمارية الصليبية ، وهو الإيمان القوي بدينهم ، وهذا الإيمان يصنع إرادتهم القوية في الجهاد ضد القتلة الاستعماريين وعملائهم ، وهو ما حطم خطط الغزاة ، وجعلهم يتخبطون ، ويرتبكون لدرجة أن يسقط قائد القوات الأميركية في الشرق الأوسط ديفيد بترايوس مغمى عليه وهو يدلي بشهادته أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، وقد أشارت مجلة تايم إلى أن قائد قوات حلف شمال الأطلسي (ناتو) في أفغانستان الجنرال الأميركي ستانلي مكريستال ما فتئ يستعطف الأفغان ويستدر عاطفتهم، مما يدلل على انخفاض في المعنويات الأميركية حول سير العمليات العسكرية في لأفغانستان .

وفي حين أكد بترايوس على تأييده خطة أوباما في بدء الانسحاب من أفغانستان وفق الجدول الزمني في العام القادم (٢٠١١م) ، ذكرت تايم أن مكريستال قال لجموع من الأفغان في أكثر من مناسبة إن لدى والده ولدا وأكثر من قريب يدافعون عن حرية أفغانستان، متسائلا عما إذا كان لديهم أبناء للدفاع عن حرية بلادهم أم لا؟

وأوضحت المجلة أن مكريستال كرر هذا الأسلوب العاطفي في الحديث مع الأفغان في الأسابيع الأخيرة، مما يدلل على مدى حالة الإحباط والإرهاق واليأس التي تعانيها الرتب العليا في القوات الأميركية.

فقد أشار الكاتب الأميركي جورج ويل إلى ما وصفها بقدرة فرد عسكري أميركي على إدراك أن إستراتيجية أوباما في الحرب على أفغانستان هي إستراتيجية خرقاء ومعوجة ويشوبها الخلل. وأوضح ويل في مقال نشرته له صحيفة واشنطن بوست الأميركية أن سيلا جارفا من الرسائل الإلكترونية يصل لأعضاء الكونغرس بشكل يومي ويكاد يغرقهم، وأنه قلما تصل رسالة ملفتة للانتباه مثل تلك التي وصلت من ضابط صف صغير في القوات الأميركية المتمركزة في أفغانستان.

وفي حين شرح العسكري الأميركي في رسالته المصاعب التي تواجهها وحدته العسكرية في الحرب على أفغانستان، أوضح أن قواعد المواجهة والاقتتال الميداني

التي تتبعها القوات الأميركية في الحرب على أفغانستان "لا تمكّن قوات التحالف من تحقيق أي فوز تكتيكي مستمر".
إن طالبان وهو تواجه أقوى جيوش العالم بلحمها العاري ، ولا تتأثر بحملات الدعاية الخسيسة التي يشنها الإعلام الصليبي ، وأتباعه في العالم الإسلامي ، فإنها تقدم درسا للخياب الفاشلين الذين يملكون كل عناصر القوة والعمل والنصر ، ومع ذلك يهدرونها ويفيئون إلى ظل الكسل والنوم العميق ، وينتظرون الأمم المتحدة واللجنة الرباعية والمجرم الكذاب توني بلير ، والوسيط غير النزيه جورج ميتشل ، ويقدمون التنازلات تلو التنازلات ، وآخرها ما قدمه فخامة رئيس دولة رام الله المحتلة محمود عباس ، من اعتراف غير مفهوم بحق اليهود النازيين الغزاة في أرض فلسطين الإسلامية المقدسة !
ففي لقائه مع 30 من قادة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة والباحثين وأعضاء في الإدارة الأمريكية السابقة، مؤخرا في "مركز دانيال أبرامز للسلام في الشرق الأوسط"، قال رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس إنه "لن ينفي أبدا حق الشعب اليهودي على أرض إسرائيل ."واستغرق اللقاء مدة ساعتين بطريقة الأسئلة والأجوبة، حضره من جملة الحضور ممثلون من كبار المسئولين في "إيباك" وما يسمى بـ"العصبة ضد التشهي . وجاء أن الأسئلة تركزت حول المفاوضات التقريبية و"التحريض الفلسطيني". ونقل عن رئيس السلطة الفلسطينية قوله في هذا السياق إنه على استعداد لتشكيل لجنة متابعة ثلاثية لمتابعة التحريض، إلا أن القيادة الصهيونية لم توافق .كما نقل عنه اقتراحه أن يقوم رئيس الحكومة الصهيونية بنيامين نتانياهو بإجراء مقابلة مع التلفزيون الفلسطيني، أسوة بما فعله هو مع القناة الإسرائيلية العاشرة (أمجاد العرب ١٠-٦-٢٠١٠م) .
لن يكون الإعلان عن حق اليهود الغزاة القتلة في فلسطين هو التنازل الأخير ، فقد سبقته تنازلات تصل إلى حد الخيانة العظمى ، تتعلق بالتآمر على أشقاء الدم والوطن ، ولم يكن التصريح الذي أعلنه وزير الخارجية الصهيوني أفيغدور ليبرمان يوم الخميس ١٣ أيار (مايو) ٢٠١٠ لصحيفة هآرتس الإسرائيلية،التصريح الوحيد، حيث أعلن أن السيد محمود عباس، الرئيس الفلسطيني المنتهية ولايته، كان قد أجرى مكالمة هاتفية مع المسئولين الصهاينة إبان الحرب على غزة العام الماضي ٢٠٠٩م ، وطالب فيها الغزاة اليهود القتلة بـ "القضاء على حماس"!
اتهامات ليبرمان تعيد إلى الأذهان ما صرح به مسئولون فلسطينيون، مقربون من الرئيس المنتهية ولايته، تزامنت في توقيتها مع التصريحات المنسوبة إليه. فمنذ الساعات الأولى للعدوان الصهيوني على غزة، سارع مسئولون فلسطينيون بالإدلاء بتصريحات لا تليق بمستوى مسئول يحمل أدنى درجات الانتماء الوطني، ولو كانت مثل هذه التصريحات صدرت من مسئول غربي تتعرض بلاده لهجوم لعوقب وأقيل من ساعته ودمغه الشعب بالخيانة !
في اليوم الأول للهجوم على غزة، حمّل أحد مستشاري السيد عباس، حكومة غزة مسئولية القصف النازي اليهودي بأسلوب تهكّمي لم يخل من تَشَفٍّ واضح، إذ طالب قيادات حماس بإحراق الأخضر واليابس في الكيان الصهيوني! وفي الوقت ذاته، دعا

الأمين العام للرئاسة الفلسطينية، سكان غزة إلى الصبر، مشيراً إلى «قرب سقوط اللاشرعية في غزة»أي سقوط حماس او طالبان فلسطين كما يسميها بعض الخونة، ومبشراً بعودة «الشرعية الفلسطينية إلى غزة» أي حكومة عباس ودحلان !

وقد أدلى أحد أعوان الرئيس المنتهية ولايته، بعد نهاية الحرب على غزة مباشرة، من أن "القيادة الصهيونية أخطأت حين أوقفت الحرب على غزة"!

وفي حي الدقي بالقاهرة كان المدعو دحلان يجيش أصدقاءه الإعلاميين والصحفيين ضد حماس والمقاومة ، ويستعد للزحف من العريش نحو القطاع بعد تحريره بوساطة الصهاينة ، ويستعيد فيه تجليات الأمن الوقائي الدموية بالذبح والقتل وتقديم الخدمات المجانية وغير المجانية للعدو النازي اليهودي !! ولكن الله أحبط تخطيطه ومن معه.

على جبهة طالبان ، فإن القوم مهما اشتد الحصار والمطاردة ، فهم يعلمون شيئا واحدا هو الصبر والشهادة حتى يأذن الله بالنصر الكامل ، وهم في كل الأحوال لا يقدمون أية تنازلات للعدو الاستعماري الصليبي !

طالبان الآن تحصد بشائر النصر على أعتى قوى الشر الاستعمارية الصليبية ، وتنتظر بإذن الله فجر النصر الكامل . فهل تتعلمون من طالبان أيها الخياب الفاشلون ؟

***

مدينة داود .. وفضيلة الجنرال !!

في الأحوال البائسة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، يفترض أن يكون علماء الدين ، هم عين الأمة التي ترى بصفاء ووضوح ، وترشد الناس إلى الطريق الصواب ،مهما كان الطريق صعبا وشاقا ومضنيا ، فالحفاظ على الدين ، ووطن الإسلام ، وكرامة الإسلام ، مسألة لا تفاوض حولها ، ولا يجوز التفريط فيها بحال .
فضيلة الجنرال الوزير لم تشغله قضية مهمة في الوطن أو العالم الإسلامي ، فرأى أن زيارة القدس بتأشيرات نازية يهودية من جانب ملايين المسلمين هو دعم للشعب الفلسطيني ، وتأكيد على هوية القدس العربية الإسلامية ! واستشهد فضيلة الجنرال بصلح الحديبية ورغبة النبي – صلى الله عليه وسلم – في أداء العمرة ، وقريش تسيطر على الكعبة ، والأصنام تحيطها من كل جانب ..
الاستشهاد الذي اعتمد عليه فضيلة الجنرال باطل ، والقياس عليه قياس فاسد ، فقريش لم تكن قوة احتلال ، والكعبة لم تكن قد تطهرت من الأصنام ، فقد كان وضعها التاريخي ناشئا قبل الإسلام ، وزيارة المسلمين للعمرة ، جاءت من أجل التعبير عن الدين الجديد .
وينسى فضيلة الجنرال أن بلاد المسلمين حين تقع في قبضة العدو ، فالجهاد ، الذي يعده بعض العلماء الركن السادس ، يصبح فرض عين على جميع المسلمين ، لتخليصها من الأسر ، وردع العدوان ، ولكن حين يعلن قادة الإسلام أن السلام خيار استراتيجي ، وأن ثقافة السلام يجب تدريسها للأطفال والشباب دون أن يذكروا أن فلسطين محتلة ، وأن القدس تئن في الأسر ، فهذا أمر يوجب على علماء الإسلام المفترضين أن يصححوه ، وأن يقولوا للقادة ، إن السلام يتحقق بعودة الأراضي والمدن المغتصبة ، وأن مواجهة العدو مهما كان متوحشا ، ويملك من أدوات القهر والسحق ما لا طاقة للمسلمين به واجب شرعي ، ولا تعني قوته ووحشيته الاستسلام له ، والرضا بالأمر الواقع ، لأن المسلم أمامه نصران : الأول هزيمة العدو في الميدان ، الآخر الشهادة والفوز برضا الله .. والدروس العملية الواقعية تؤكد صحة المنهج الإسلامي في الجهاد دفاعا عن الدين وحوزة الإسلام .

إن دعوة وزير الأوقاف الفلسطيني السيد الهباش إلى زيارة القدس لدعم القضية الفلسطينية ، ليست أمرا مقدسا ، لأنها في حقيقة الأمر دعوة لتأييد سلطة رام المحدودة التي تنفذ أوامر الغاصب المحتل ، لذا كانت صحف الغزاة من أسعد الناس بتكرار الدعوة على لسان فضيلة الجنرال من القاهرة ، وعدت ما قاله فضيلته كسرا للحصار المضروب على كيان الغزو النازي اليهودي من قبل الأمة الإسلامية !

الأمة الحقيقة تسلك الطريق السليم لتحقيق أهدافها ، والعدو المجرم الآثم أعلن قبل ثمانين عاما أن منهجه هو الدم والدموع ، واستطاع بفضله أن يهجّر أبناء الشعب الفلسطيني ، وان ينشئ كيانه العدواني النازي .. ولا أريد هنا أن أتطرق إلى ما كانت تفعله المقاومة به ، وما تنزله من خسائر تضعضع بنيانه وأركانه ، وقد استطاع بالخداع وضعف القيادات أن يحيّد المقاومة ، بل يجعلها أمرا مرفوضا لدى السلطة الفلسطينية المحدودة التي تأتمر بأمره في رام الله .

في الوقت نفسه ؛ كان الشعب الأفغاني البائس الفقير يقدم للدنيا مثالا رائعا في معنى المقاومة والجهاد ودحر العدوان ، وكان قد تغلب على إمبراطوريتين من أقوى إمبراطوريات العالم في القرن العشرين ، هما الإمبراطورية البريطانية ، والإمبراطورية الروسية ، وهو بسبيله الآن إلى النصر على الإمبراطورية الأميركية بإذن الله . مع أن الفارق بين الأفغان وأعدائهم كبير للغاية ، ومستوى التسليح لدى الطرفين معروف للناس كافة !

لقد تمنيت من فضيلة الجنرال الوزير أن يأخذ موقفا إسلاميا من إعلان الغزاة القتلة عن نيتهم وعزمهم وتخطيطهم وبداية تنفيذهم لمدينة داود في القدس الشرقية ليتم ضم القدس الشرقية إلى القدس الغربية بطريقة عملية وتلقائية على مرأى ومسمع من العالم الذي لا يتحرك ومن ضمنه – للأسف – العالم الإسلامي والعربي !

نشرت صحيفة ها آرتس العبرية خطة بناء مدينة الملك داود في قلب القدس الشرقية كما يلي : تنوى اللجنة اللوائية للتخطيط والبناء في القدس طرح أوسع خارطة هيكلية جديدة لمدينة القدس لأول مرة منذ ٥٠ عاما منذ احتلال الجزء الشرقي من المدينة عام ١٩٦٧، وذلك بهدف المصادقة عليها في الوقت الذي يغادر فيه رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتانياهو إلى واشنطن للقاء الرئيس الأمريكية باراك أوباما في شهر يوليو.

وقالت هاآرتس : إن الخارطة تشمل بالإضافة إلى تسوية مبادئ التنظيم والبناء في القدس ، توسيع أحياء استيطانية في القدس الشرقية، في حين أن مساحات واسعة معدة للبناء تقع تحت ملكية السكان الفلسطينيين بشكل خاص.

وأضافت الصحيفة أن طرح هذه الخارطة يعدّ المرحلة الأخيرة للمصادقة عليها، علما أن عشرات المهندسين المعماريين كانوا قد عكفوا على إعداد المخطط الهيكلي في خلال السنوات الماضية، حيث تشتمل الخارطة الهيكلية الجديدة على ما سمى بمدينة "داوود" في حي السلوان، التي تعدّها الخارطة "حديقة وطنية"، كما تسمح بالبناء السكنى في المنطقة نفسها، وذلك في أعقاب قيام "جمعية إلعاد" الاستيطانية بشراء بيوت في القرية القريبة من أسوار البلدة العتيقة.

وأشارت الصحيفة إلى أن الغريب في هذا المخطط أنه لم يحدث أي نوع من الاحتجاج لدى المجتمع الدولي أو حتى المنظمات اليسارية (؟؟) ، إلا إنه من الممكن أن يثير جدلا سياسيا ولاسيما مع الولايات المتحدة مثلما حدث في قضية البناء في منطقة "رمات شلومو" عندما طلبت واشنطن من نتانياهو عدم إحداث أي تغيير على واقع المدينة حتى نهاية المفاوضات للوضع النهائي.

وقالت هاآرتس إن بلدية القدس المحتلة أكدت موضوع الخارطة وإنها ستطرح على اللجنة اللوائية، وإن هناك مباحثات مهنية تجرى في وزارة الداخلية الصهيونية من أجل المصادقة عليها !!

هكذا تعبر الصحيفة الصهيونية عن الخطة الإجرامية اليهودية لتهويد القدس العتيقة ، وفضيلة الجنرال الوزير يطلب من ملايين المسلمين أن يعترفوا بالكيان الصهيوني ، ويقبلوا بتأشيرة الغزو ، للذهاب إلى القدس ، وإنعاش الاقتصاد اليهودي الغازي ، بالشراء والإقامة ، وثمن التأشيرات ، والقبول بالغزاة واقعا لا مفر منه !

والعجيب أن فضيلة الجنرال الوزير الذي لم يخدم الإسلام إلا بمحاربة النقاب والختان وتغيير الخطاب الديني ، وفرض الأذان الموحد ، وسحب مكبرات الصوت من المساجد الصغيرة ؛ يصر على الدخول في تحدٍ مع من يعارض دعوته للقبول بزيارة القدس المحتلة من جانب ملايين المسلمين ؟

مولانا فضيلة الجنرال يتناسى الواجب الإسلامي الذي يفرض على الأمة أن تجاهد ، ولا تتوقف عن المقاومة بكل الوسائل الممكنة ، وأن تعدّ ما تستطيع من قوة لإرهاب العدو ومن يقفون خلفه ، ولكن فضيلته فيما يبدو يوافق على الإذلال الذي يمارسه العدو ، ويقبل بخطة الحكومات العربية للاستسلام التام ، وهو يعلم أن الأمم المتحدة والولايات المتحدة والمجتمع الدولي (الصليبي) يؤيد الغزاة القتلة اليهود ، ويتبني وجهات نظرهم (وآخرها موافقة واشنطن على المفاوضات المباشرة بين السلطة والعدو دون وقف للاستيطان ، ودون وضع حد زمني للمفاوضات ، فضلا عن عدم وجود أسس دولية أو حتى شيطانية للمفاوضات !) .

لا يوجد في العالم تفاوض بين قوة تحرير وقوة احتلال في وضع غريب وشاذ مثل التفاوض بين الفسطينيين والعرب من ناحية ، وقوة الغزو النازي اليهودي من ناحية أخرى ، الأولى تتخلى عن سلاحها ، وتركع على قدميها عند أقدام العدو ، والأخرى تتسلح حتى أسنانها بأقوى ما في الترسانة الاستعمارية الصليبية من سلاح وتمارس الغطرسة في أبشع صورها ! هل يمكن أن ينتج هذا الوضع نتائج تعيد الحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني ؟

فضيلة الجنرال الوزير ، لا تشغله قضايا أخرى تهم الإسلام والمسلمين ، اللهم إلا القبول بالتأشيرة النازية اليهودية . لم نسمع له صوتا في الهجمة الوحشية التترية الجديدة على العراق بقيادة الولايات المتحدة والدول الاستعمارية الصليبية .

لم نسمع لفضيلة الجنرال الوزير رأيا في الحصار النازي اليهودي على الشعب الفلسطيني في غزة ، ولا في العدوان الدموي الوحشي المستمر على المدنيين العزل !

لم نسمع من فضيلة الجنرال الوزير رأيا في إهلاك الحرث والنسل في بلاد الأفغان على يد المستعمرين الصليبيين المتوحشين ، ولم نسمع رأيه في المقاومة الجهادية الباسلة للشعب الأفغاني المسلم !

هل سمع سيادة الجنرال الوزير عن الحرب الضروس التي يشعلها المستعمرون الصليبيون مباشرة أو بالواسطة في الصومال العربي المسلم لدرجة أن الأخ يقتل أخاه ؟

ليت فضيلة الجنرال يتحلى بفضيلة الصمت ، ويتفرغ لمهامه المقدسة جدا (؟) لتصفية المساجد من الأئمة والخطباء الذين لا يروقون الجهات الأمنية – وبلاش مكافحة الفساد الذي يعشش في أركان وزارته لدرجة أن فراشا بمكتب وكيل وزارته في كفر الشيخ دفع شيخا فاضلا على المعاش فسقط على الأرض فاقدا للحياة !

مدينة داود وما سبقها وما سيتلوها كتاب إدانة حي لعلماء السلطة الذين اشتروا الدنيا بالآخرة ، والله غالب على أمره !

***

درس من الإخوان

انتهت الأحداث الخاصة بالتغيير القيادي في جماعة الإخوان المسلمين ، على عكس ما كان يتوقع النظام وخصوم الفكرة الإسلامية ، لم تنشق الجماعة ولم تتمزق ، ولم تؤثر الحملات الهوجاء التي شنها النظام وأبواقه والمستفيدون منه في إخفاق تجربة الشورى الرائدة التي شهدت عليها الدنيا في ظل أوضاع حكومية قمعية تسلطية ، تؤصل للاستبداد ، وتعمق الجمود ، وتعوق التطور والحركة إلى الأمام .

راهن البعض أن المرشد السابع سيخضع للرجاءات أن يعدل عن قراره بالانصراف ، وترك المجال لغيره كي يؤدى دورا يجدد الخلايا ، ويمثل قاطرة أكثر شبابا وحيوية ، وفقا لمنهج السنن التي فطر الله الناس عليها ، أن يخلف جيل جيلا آخر .. ولكن الرجل أصر على تنفيذ قراره ورغبته وتقديم درس للقيادات السياسية والحزبية والفكرية والإدارية ، ليس في مصر وحدها ولكن في العالم العربي جميعا ، مضمونه موجز وعميق ، وهو أن التغيير ضرورة إنسانية وخلقية لابد منها حتى يستمر النظام العام في السير قدما نحو تحقيق الأهداف والغايات .

لم يكن هناك مجال للأمان أو الاطمئنان لإجراء انتخابات المستويات القيادية المختلفة ، فالحصار الأمني أو القبضة البوليسية بالمرصاد لأفراد الجماعة ، والاعتقالات لا تتوقف ، والتحقيقات مستمرة ، ومع أن الناس يتوقون أن تكون هذه الملاحقات الأمنية للفاسدين المفسدين ، إلا إن هؤلاء محصنون ، ويمتلئون سمنة وتضخما مع مطلع كل صباح .

بيد أن التجربة الإخوانية مع ما رافقها من اجتهادات وآراء وصل بعضها إلى حد الاحتجاج أو المغاضبة ، لم تؤثر في بنيان الجماعة ، وتذكر جميع من يعنيهم الأمر أن الإخوان ليسوا حكومة ، ولا مؤسسة حكومية ، يتصارع الناس على مكاسبها

ومغانمها بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ، بل تذكروا وعرفوا من قبل أن المناصب القيادية في الاخوان غرم لا غنم ، وأصحابها مستهدفون من النظام وقبضته الفولاذية وأبواقه التي لا تقول الصدق أبدا ، ولا تكف عن التشهير بالباطل ، واستطاع المرشد السابع في كل الأحوال أن يقدم درسه للأمة بترك منصبه اختيارا وهو يقدم المرشد الثامن في هدوء ، وثقة ، ووعي بأن القضية الأساسية هي الإسلام وخدمته والتضحية في سبيله أمام حروب الاستئصال ، والتغريب ، وسلب الأمة حريتها وكرامتها وحلمها ببناء مستقبل أفضل .

تجاهل الإعلام الرسمي مواقف عديد من قيادات الإخوان ورفضهم لتحمل مسئولية القيادة وأعبائها الجسيمة ، واعتذارهم عن عدم القبول بالمناصب ، وهي أمور لا تحدث في واقع الحياة العامة ، حتى صارت صورة (عبده مشتاق) نموذجا حاكما في مواقع القيادة والإدارة على كافة المستويات ، ولا أظن أن الجماعة تعرف هذا النمط من الباحثين عن لقب إداري يضاف إلى ألقابهم العلمية أو المهنية أو العملية .. فمن تربي على التضحية والإيثار تطبيقا لمنهج " إن أجري إلا على الله " ، لا يمكن أن يقاتل من أجل منصب في مجلس الشورى أو مكتب الإرشاد أو منصب المرشد ذاته .. ولكن القوم في النظام والسلطة عالجوا المسألة من منظورهم ، واهتموا بما يقال عن خلافات واحتجاجات ، وظنوا أن الخلاف في الرأي على بعض الوسائل أو الأساليب أو تفسير اللائحة ، يمكن أن يحقق لهم حلمهم بتمزيق الجماعة ، والاستراحة من ملاحقتها ، ورضا المؤسسة الاستعمارية الصليبية وتابعتها الصهيونية .

ومن المفارقات أن القوم كانوا دائما يتهمون الإسلاميين بالجهل والتخلف وعدم الوعي بالواقع وما يدور في العالم ، فضلا عن اتهامهم بالتسلط ومنهج الطاعة العمياء ، فإذا بالتجربة التي خاضها الإخوان تقدم نماذج مبهرة ، لأهل العلم والرأي ، الذين يعملون في أدق التخصصات ، فالمرشد الثامن من أفضل مائة عالم في مجال الطب البيطري ، وأولاده الثلاثة يعملون في تخصصات علمية دقيقة ، والرجل في الدائرة الاجتماعية صاحب دور بارز في مجال العمل الأهلي من خلال النقابة والجمعيات التي تخدم جمهورا خاصا أو عاما ، ثم إنه يدفع ضريبة الاستبداد السياسي الذي يمارسه النظام اعتقالا وحرمانا ، ولكنه لا يأبه لذلك ويواصل التضحية والإيثار ابتغاء مرضاة الله.

إن الإخوان مجموعة من البشر قد يصيبون وقد يخطئون ، وهي جماعة تقبل المراجعة والتصحيح ، وقد كنت في السبعينيات أناقش الأستاذ عمر التلمساني – رحمه الله – في بعض القضايا ، وكان ياسر عرفات - رحمه الله - يشكوني إليه بسبب ما أكتبه عنسياسة منظمة التحرير في مجلة الدعوة ، ولكنه كان يرد عليه بقوله : إن ما ينشر في الدعوة هو رأي الكتاب ، وليس رأي الإخوان ، وكان - رحمه الله - يستمع إلى الآراء برحابة صدر ، ويبدى وجهة نظره بهدوء شديد ودون عصبية أو انفعال نراه لدى أصحاب المناصب الحكومية أو الإدارية ، وكان في الأسبوع الأول من كل شهر يعقد جلسة يحضرها محررو الدعوة وكتابها لمناقشة مستوى العدد الجديد الذي يطالعه الجمهور ، ويستمع إلى الآراء الناقدة للسلبيات في

العدد بدءا من شكل الغلاف ومحتوياته حتى الصفحة الأخيرمرورا بمضمون المقالات وأسلوب العناوين والخطوط المستخدمة في الطبع ....إلخ . وكان يقر مايراه الحاضرون صوابا في أبوة حانية ، مبتعدا عن فرض الرأي ، أو الغضب مما يقال .
ويقيني أن التجربة التي خاضها الإخوان مؤخرا ستمنحهم مزيدا من الخبرة التطبيقية في ممارسة الشورى ، بالإضافة إلى ثراء الرؤى والأفكار التي تقربهم إلى جمهور الأمة ، والتفاعل مع القوى الاجتماعية والفكرية بما يضيف إلى تراث الجماعة ويغذيه بالحيوية والرسوخ .
وأظن أن المهمة الرئيسة أمام الجماعة في المرحلة القادمة هي الإسهام الفعال في بناء الإنسان المصري روحيا وفكريا ، بعد أن جردته السلطة من الانتماء الروحي والوطني والقومي ، وحولته إلى مجرد هيكل جسدي فارغ من القيم والأهداف اللهم إلا الإشباع المادي والشهواني ..
لقد انتهى التعليم الإسلامي من الأزهر والتربية والتعليم . الأزهر لا يحفظ طلابه القرآن ، وتحولت مواده الشرعية إلى هوامش مسطحة لا يتم تدريسها بجدية ، ووزارة التعليم ألغت حصة التربية الإسلامية عمليا لحساب المواد الأخرى أو الدروس الخصوصية ، ونشأت أجيال على مدى نصف قرن من الزمان لاتملك معرفة شرعية أو إسلامية تؤهلها للوعي بالحلال والحرام ، فانتشرت المفاسد والانهيارات الخلقية والفكرية على النحو الذي ألحّ عليه الكتاب طويلا ..
إنني أطرح في هذا السياق التجربة الإسلامية التركية من خلال جماعة سعيد النورسي ورسائل النور ، حيث استطاعت أن تبني جيلا تركيا مسلما ، يطبق الإسلام أكثر مما يتكلم عنه ، ويشتبك مع الواقع الاجتماعي في التعليم والتربية والنظافة والعمل الإنتاجي والبناء الاقتصادي والفكري والثقافة الإسلامية .. في إطار شامل ، يركز على الشباب من الجنسين ، ويتجاوز الصدام مع الواقع المعاكس ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، متحليا بالصبر والنفس الطويل ، وهو ما قدم للأمة الإسلامية في تركيا جيلا جديدا يملك مفاتيح الإيمان والمعرفة والقوة الاجتماعية التي صارت النموذج الذي يشد إليه المدرسة العلمانية بجبروتها وإمكاناتها الغلابة ، ويخضعها لمنهجه طوعيا وتلقائيا ..
إن بناء الجيل الجديد فريضة واجبة تسبق كل الأولويات ، وهذا البناء لن يختلف عليه أحد ، وسوف يجذب مفردات المجتمع بطريقة وأخرى ، وهو ما يعني اقتراب الأمل بوجود مجتمع يصنع المستقبل ، ويحقق الحرية والكرامة لأبنائه جميعا .
إنني أحيي المرشد السابع على الدرس العظيم الذي تلقته الأمة كلها ، فقد ألقى الكرة في ملعب السلطة وخصوم الفكرة الإسلامية .. وأتمنى له عمرا مديدا يستمتع فيه بخدمة الإسلام بعيدا عن المنصب الرسمي .
كما أحيي المرشد الثامن ، وأدعو له بالتوفيق في حمل الأمانة ورعايتها ، وقيادة سفينة الدعوة إلى بر الأمان ، وجمع شمل الإسلاميين وليس الإخوان وحدهم على منهج الوحدة والتكامل .. والله من وراء القصد .

***

زفة الانفصال !

عجائب لا تنقضي أمام الزفة العربية الدولية لانفصال جنوب السودان عن الدولة الأم ، في بداية التفكيك العام لهذه الدولة ، وتحويلها إلى كانتونات قبلية وحزبية وعرقية وطائفية ، وذلك في مقابل السعي الحثيث لدول أوربا الشرقية والغربية لتكوين دولة خلافة أوربية موحدة تتحرك بخطوات سريعة لبناء كيان اقتصادي عملاق يوحد العملة والسياسة ، ويفتح الحدود ، ويتكامل في شتى المجالات ، ويتماسك أمام التحديات السياسية والصعوبات الاقتصادية .

من يعاني اضطهادا أو ظلما في بلادنا العربية لا يتجه نحو التخلص من الاضطهاد أو الظلم ، ولكنه يتجه نحو الانفصال عن الدولة الأم بوصفه حلا سهلا ، ويجد في انتظاره السيد الاستعماري الصليبي يقدم له العون المادي واللوجستي والإعلامي ، هذا إن لم يكن هذا السيد هو الذي يحركه ويدفعه إلى الأمام ، ويشجعه على خوض المغامرة الآثمة !

في انفصال جنوب السودان تُطرَح مغالطاتٌ كثيرة ؛ أشهرها أن ما يسمى تطبيق الشريعة في السودان على غير المسلمين كان السبب وراء الانفصال ، أو قل وراء الحروب المدمرة التي أزهقت آلاف الأرواح إن لم تكن الملايين .

والحقيقة أن الشريعة لم تكن أبدا هي السبب الحقيقي ، فالشريعة لم تطبق بالمعني الإسلامي أو بالصورة التي ينبغي أن تطبق بها ، لأنها اقتصرت على الشكل دون الجوهر الذي يعني العدل والحرية والشورى والكرامة الإنسانية والعمل الجاد والنشاط المستمر لخدمة الوطن والأمة والإسلام في المجالات كافة..

السبب الحقيقي واضح ويعرفه كل الناس من أصحاب الضمير ، ويرجع إلى الرغبة الشريرة للجهات التنصيرية الاستعمارية في تقسيم السودان ، ومثله البلاد العربية ؛ لتحقيق مآرب اقتصادية وثقافية .

فمنذ جاء الغزاة الاستعماريون الصليبيون الإنجليز إلى مصر وهم يسعون إلى تقسيم السودان وتفتيته وخلق عازل حضاري بين مصر وعمق إفريقية ، وقد زرعوا الفتنة بين أهل السودان وبين مصر التي كانت تحكم السودان حيث كان ملك مصر هو ملك مصر والسودان ؛ وكانت مصر منذ عهد محمد على باشا وابنه إبراهيم تضم إليها السودان وإريتريا وأعالي النيل ، في ظل حكومات محلية تسير الأمور الداخلية والشئون المحلية ، وقد خطط الانجليز لفصل السودان عن مصر أولا ، واستطاعوا أن يشحنوا السودانيين ضد الحكومات المتعاقبة في مصر التي انشغلت في الصراع الحزبي ، وألهتها حرب فلسطين التي انتهت بالنكبة عما يجري في الجنوب ، وما إن قامت حكومة الانقلاب في عام ١٩٥٢م حتى تهيأت الأمور بفضل رعونة بعض أعضاء مجلس الانقلاب للانفصال ، وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا العظمي عن طريق الجمعيات التنصيرية التي تقدم الطعام والكساء والعلاج في جنوب السودان تهيئ أهله للانفصال عن الشمال ، وفضلا عن تكوين النخب الموالية لبريطانيا ، فقد أسست بريطانيا الميليشيات العسكرية المسلحة التي تدربها هي أو تقوم العصابات اليهودية في فلسطين المحتلة بدلا منها بالتدريب والتسليح ، وقد نشأت عصابة " أنانيا " الجنوبية في الخمسينيات عقب انفصال السودان عن مصر مباشرة عام ١٩٥٦م ، وبدأت القتال ضد الجيش السوداني ، واستقطاب النخب الموالية للاستعمار والثقافة الغربية من خلال طرح عنصري يتهم الشمال بالانحياز للعرب ضد الزنوج .. الأمر إذا لم يكن مطروحا بسبب تطبيق الشريعة الإسلامية ؛ لأن أحدا يومئذ لم يتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية .

وقد جرت في عهد النميري محاولة للصلح برعاية إثيوبيا الممول الرئيس آنئذ للحركة ، وعلى ترانيم القساوسة وأجراس الكنائس تم توقيع اتفاق بين الخرطوم وزعماء أنانيا في أديس أبابا ؛ يمنحهم كثيرا من صلاحيات الحكم الذاتي ، وبعد سقوط نميري وقيام حكومة لإنقاذ برئاسة البشير عاود الانفصاليون الحرب ضد الخرطوم ، واستطاعوا أن يضموا إليهم الشيوعيين السودانيين الذين وقفوا موقفا خيانيا خسيسا بحكم كراهيتهم وعداوتهم للإسلام ، وقاد شخص يدعي منصور خالد – وزير خارجية سابق في السودان – ومعه شخص آخر يدعي ياسر عرمان قيادة الإعلام في حركة الانفصال التي اتخذت لنفسها اسما مخادعا هو : الجيش الشعبي لتحرير السودان . ومع تنازع الساسة السودانيين في الشمال ، وطموحاتهم الشخصية الرخيصة ، كان الجيش الشعبي الانفصالي في الجنوب ؛ الذي تدعمه الولايات المتحدة والكيان النازي اليهودي في فلسطين وعملاء أميركا في أوغندة وكينيا وإثيوبيا وإريتريا ، يحقق انتصارات كبيرة ، ويخلخل بناء الدولة المركزية اقتصاديا واجتماعيا ، ولم يكن أمام النظام في الخرطوم الذي فشل في المواجهة العسكرية إلا أن ينحني لما يريده الانفصاليون الأشرار بل الاستعماريون الكبار ، ويوقع اتفاق نيفاشا الذي قرر لأول مرة حق الانفصاليين في تقرير المصير – أي الانفصال ،

ووضع الجنوب تحت الحكم الذاتي مدة ست سنوات لإقناعهم بخيار الوحدة ، ولكنهم عملوا في ظل الحكومة المركزية لانفصال لا رجعة فيه !
ومع أن زعيم الانفصال شغل منصب نائب الرئيس في السودان كله إلا إنه جاهر علنا بدعوة الجنوبيين للانفصال ، بل كان يدعو إلى مطالب ابتزازية ، وضم مناطق مليئة بالبترول والثروات المعدنية ، بوصفها من الجنوب ، على عكس ما قررته دولة الاحتلال بريطانيا العظمى ! ثم إن الانفصاليين لم يجدوا – في وقاحة ملحوظة – ضيرا من المطالبة بقيام حزب للحركة الشعبية لتحرير السودان في الشمال بعد الانفصال !
وكان من المفارقات أن يعرض الرئيس البشير على الانفصاليين التنازل عن بترول أبيي ، حتى لا يصوتوا للانفصال ، ولكن الخونة الانفصاليين ؛ ردوا في وقاحة ليست غريبة عليهم : إن هذا العرض جاء متأخرا !
في الوقت ذاته فإن القادة التقليديين في الشمال ، يكتفون بلوم الحكومة ، وطرح مطالبهم السياسية الشخصية عليها لتلبيتها والاستجابة إليها ، وإلا فإنهم سيقفون في الجانب الآخر .. وبعضهم يقف ليصيح : إن دارفور هي الأخرى ستنفصل !
وذهب الأمر ببعضهم إلى المطالبة بتغيير اسم السودان لأنه لا يعجبه ، وكأن القضية تتلخص في الاسم .
أما ما يثير الغيظ حقا فهو دعوة بعض الشماليين إلى الانفصال ، لأن التخلص من الجنوب سيحقق نهضة الشمال ، ويخفف عنه أثقال التنمية والتزاماتها في الجنوب .
وقريب من هذا ما يقوله بعض الناس في القاهرة : إن مصر يجب أن تحافظ على علاقة جيدة بين الشمال والجنوب ، حتى لا تتأثر مصالح مصر . وهل ذلك سيحقق فعلا مصالح مصر .؟ أم إن دولة الجنوب المنتظرة ستتحكم في مياه النيل وفي مصر تحكما لا يمكن التخلص منه إلا بالحرب ، لأن العدو النازي اليهودي الذي درّب وسلّح وأيّد جالس هناك منذ زمان بعيد ؟
لقد ذهب مؤخرا عدد من الرؤساء العرب في الدول المجاورة إلى السودان ليجلسوا مع البشير وزعيم الانفصال الخائن ، ليس من أجل الحرص على وحدة السودان ، ولكن من أجل منع الحرب بعد الانفصال ، وواضح من سير الأحداث أن الانفصاليين تلقوا في السنوات الست الماضية التي تعد مرحلة انتقالية حتى تاريخ الاستفتاء ؛ أسلحة ثقيلة وعتادا حربيا كثيفا عن طريق كينيا وأوغندا ، ويقال إن طائرات عديدة وصلت إلى المتمردين ، وهو ما يعني أن الحرب عقب الانفصال ستكون لصالح الانفصاليين ، وربما يتمكنون من التهام مناطق إضافية في الشمال .
بالطبع فالانفصال قادم لا محالة ، وسيتبعه انفصالات أخرى في السودان ودول عربية أخرى ، وذلك لأن أهل الحكم والسياسة آثروا أنفسهم على أوطانهم ، فتركوا الملعب خاليا لدول الشر الاستعماري الصليبي ، ومعها دولة العدو النازي اليهودي لتعلب فيه ، وتتحرك باطمئنان وثقة لتحقيق هدفها الأكبر ، وهو شغل العرب بأنفسهم ، ونسيان الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين ويشرد شعبها ، ويدمر مقدساتها وفي مقدمة هذه المقدسات المسجد الأقصى ، ولو أن هذه الحكومات عالجت الأمور في البداية بحسم وحزم ، ورفعت المظالم الحقيقية عن المظلومين ، ولم تحارب الإسلام

أو تتخذ منه عدوا لوفرت على نفسها وشعوبها كثيرا من المتاعب والآلام ، بدلا من المشاركة المخزية باسم الجامعة العربية في زفة الانفصال الآثم تحت مظلة مراقبة الاستفتاء .
وليت العرب جميعا يعلمون أن أميركا والصهاينة لا يحبونهم ، ولن يتخلوا عن عداوتهم الوحشية مهما قدموا من تنازلات وانبطاح .. والأولى أن يفكروا ويخططوا ويضحوا في مجال الشرف والكرامة بدلا من الذل والصغار !

***

صواريخ سكود .. وطائرات بلا طيار!

فجأة ، بدأت واشنطن وتل أبيب وقوى أخرى تعزف نغمة واحدة تقول إن حزب الله قد تلقى من إيران بوساطة سورية صواريخ سكود طويلة المدى ، وقد اتهم وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس كما نقلت البي بي سي يوم الأربعاء ٢٠١٠/٤/٢٨م كلا من سورية وإيران بتسليم حزب الله اللبناني قذائف وصواريخ من أكثر الصواريخ تطورا في العالم.

وقال جيتس في مؤتمر صحفي مشترك بواشنطن مع نظيره الصهيوني " أيهود باراك " : لقد وصلنا إلى حد أن حزب الله يملك من القذائف والصورايخ أكثر من غالبية حكومات العالم، وهذا بالتأكيد أمر يزعزع استقرار المنطقة".وأضاف الوزير الأمريكي إن بلاده تراقب الوضع بعناية فائقة معربا عن رضائه التام عن عملية التخطيط في البنتاجون والبيت الأبيض بشأن الملف الإيراني قائلا" نقضي وقتا طويلا في بحث مسألة إيران وسنواصل القيام بذلك". لكن جيتس لم ينف أو يؤكد تسليم دمشق صواريخ سكود لحزب الله، الأمر الذي أعلنته إسرائيل ونفته سورية من قبل .وقال باراك في المؤتمر: إن السوريين يزودون حزب الله بأنظمة تسلح "من شأنها زعزعة التوازن الهش في لبنان".

وكان باراك قد شكر خلال محادثاته مع وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون إدارة الرئيس باراك أوباما على "رؤيتها الواضحة لما ينبغي القيام به في الشرق

الأوسط " لدفعنا معا نحو السلام". وأبدت كلينتون ارتياحها عقب ما وصفته بمحادثات "بناءة جدا" مع وزير الدفاع الصهيوني، في الوقت الذي تأمل فيه واشنطن في إطلاق مفاوضات غير مباشرة بين الصهاينة والفلسطينيين .وكان الرئيس الصهيوني شيمون بيريز قد اتهم سورية مؤخرا بتزويد حزب الله بصواريخ سكود يمكن أن تصل إلى كل الأراضي المحتلة. ويبلغ مدى صواريخ سكود أكثر من ٧٠٠ كيلو متر وهي قادرة على حمل رؤوس حربية تقليدية تصل زنتها إلى نحو ١٠٠٠ كجم، لكن دقتها تختلف من نموذج إلى آخر، مما يعني أن جميع المدن المحتلة بما في ذلك مفاعل ديمونة يمكن أن تصبح في مرمى هذه الصواريخ. وإذا كان النازيون اليهود الغزاة يلعبون على وتر إثارة الذعر لدى الجانب العربي وتخويفه بهجوم وشيك على لبنان أو سورية أو إيران ، وإقناع العالم بأن حزب الله يسعى إلى تدمير كيانهم الغاصب ، فإن المفارقة تبدو غريبة وعجيبة ، وهم يعلنون أنهم بصدد اتفاق مع الروس لتزويدهم بطيارات بلا طيار ..وقد كشفت صحيفة معاريف الصهيونية أن دولة الغزو النازي اليهودي ؛ تجرى اتصالات مع روسيا حول إنشاء خط إنتاج طائرات بدون طيار للصناعات الجوية الصهيونية في موسكو بقيمة ٢٠٠ مليون دولار، وأوضحت الصحيفة أن إلدولة اليهودية الغازية تنتظر موافقة الولايات المتحدة على هذه الصفقة مع توقع أن يتم ذلك خلال زيارة وزير الدفاع إيهود باراك الحالية لواشنطن. وقالت الصحيفة إنه من المتوقع أن يتم صنع طائرات بدون طيار من طراز (سيرتشر ١) في خط الإنتاج المذكور، علما بأن روسيا بحاجة إلى نحو ١٠٠ طائرة من هذا النوع. وفى الوقت نفسه تجرى روسيا اتصالات في مرحلة متقدمة مع الصهاينة حول شراء عدة بطاريات للطائرات الصهيونية بدون طيار من طراز هيرون التي تشتمل على عشرات الطائرات.

وفي الوقت نفسه يستمر اليهود النازيون الغزاة في بناء المساكن على الأرض المغتصبة ، وفي القدس العتيقة ، بينما يتم تسريب أخبار للخداع والتمويه ، من قبيل تساؤل مجلة التايم الأمريكية عما إذا كانت دولة الاحتلال مستمرة في بناء المنازل الاستيطانية في القدس الشرقية، لافتة إلى أن هناك مجموعة من المؤشرات على أنها ربما تكون قامت بالفعل بتجميد الاستيطان ؟!

وأوضحت المجلة أن دولة الاحتلال مع أنها تصر على أنها لا تنوى تلبية مطلب الإدارة الأمريكية بوقف الاستيطان في القدس الشرقية، وتأكيد عمدة القدس نير بركات على ذلك بقوله، إن القدس ستنمو سواء بمساعدة الإدارة الأمريكية أو بدونها، إلا أن هناك مؤشرات توحي بعكس ذلك.

فعلى سبيل المثال، الخطة رقم ١٢٧٠٥ الخاصة بحي شيمون هاتسديق الجديد في منطقة الشيخ جراح في القدس الشرقية ، التي تقوم على أساس هدم ٤٠ من منازل الفلسطينيين لبناء منازل حديثة من أجل اليهود الغزاة .

والسؤال الآن ماذا يفعل العرب والمسلمون مقابل الحركة الصهيونية الأميركية الدائبة لتهييج العالم ضد حزب الله ، وبناء المغتصبات لتهويد حي الشيخ جراح ،

وإمداد القوة الثانية في العالم (روسيا) بنوع متقدم من الطائرات ، وهو طائرة بدون طيار ؟
لا شيء غير تصريح وزير الخارجية المصري في بيروت بأنه لا يحمل رسالة من عدو إلى شقيق عربي . وقد احتفى العرب بالتصريح الكلامي ، الذي توهم بعضهم أنه انقلاب في الموقف المصري من الغزاة اليهود القتلة ، الذين سيحل ضيفا عليهم بعد أيام رئيس وزرائهم ، ليبحث فيما يسمى السلام ؟!! ..
وللحقيقة ، فقد جاء تصريح آخر للعقيد القذافي في استقباله لوفد من عرب فلسطين ١٩٤٨م ، ليضيف إلى تصريح وزير الخارجية المصري وهما جديدا من أوهام السياسة العربية الراهنة ، حيث رأى أن "من مصلحة الاستعمار الإسرائيلي، أن لا يسمع صوت عرب ١٩٤٨ ومن مصلحة الاستعمار الصهيوني أن لا يكون هناك أي لقاء أو اتصال أو تواصل بين عرب ١٩٤٨ والعرب خارج فلسطين".
وأضاف أن هذه "المبادرة كسرت هذا الصمت وهذا الحاجز، وكانت مبادرة شجاعة من الطرفين، لنبين للعالم ما يعانيه الفلسطينيون تحت الاحتلال الصهيوني، الذي يدعى أنه مع حقوق الإنسان، وأنه دولة ديمقراطية ودولة قانونية، وهى في الواقع دولة همجية، عسكرية، قائمة على الإبادة الجماعية".
والسؤال هو : ماذا بعد الكلام ؟ وماذا بعد أن يكتشف العالم أن الصهاينة يسكنون دولة همجية ؟ هل يتأثرون بهذا الكلام أو بتصريح أبي الغيط أعني وزير الخارجية المصري ؟أين القوة التي تجعلهم يغيرون خططهم ومواقفهم وسلوكهم الهمجي الإرهابي ؟
ترى هل ينوي العرب وأهل فلسطين التحرك في الاتجاه الصحيح الذي لا يكتفي الكلام ، ويسعي إلى العمل وبذل الجهد من أجل الوحدة والمقاومة ؟
الله أعلم !

***

قرصنة اليهود .. وضجيج الموتى !

قامت الكتيبة ١٣ من القوات الخاصة في الجيش النازي اليهودي ؛ في المياه الدولية أمام غزة ، بمهاجمة الحملة الأوربية التي تهدف إلى كسر الحصار على الشعب الفلسطيني في القطاع . صعد القتلة النازيون اليهود إلى سطح السفن المدنية مدججين بالسلاح والقنابل ، وقتلوا نحو عشرين شخصا من المتضامنين مع الشعب الفلسطيني ، وأصابوا أضعافهم من بينهم الشيخ رائد صلاح قائد الحركة الإسلامية في الأرض المحتلة قبل عام ١٩٤٨، وتضاربت الأنباء حول استشهاده ، وحتى كتابة هذه السطور لم يعرف مصيره بالتحديد ، ولكن الأنباء تؤكد أن القتلة النازيين ا ليهود كانوا يستهدفون أشخاصا بأعينهم ضمن الحملة لتصفيتهم ومن ضمنهم رائد صلاح . ثم قام القراصنة اليهود بسحب سفن حملة الإغاثة الدولية إلى ميناء أشدود ، واعتقال المتضامنين ، واتهامهم بأنهم إرهابيون !!
القراصنة النازيون اليهود يعلمون جيدا أن أسطول الحرية يحمل ألف مدني عربي وأوربي ، ليس من بينهم مسلح ، وأنهم يحملون عشرات الأطنان من الغذاء والأدوية وسيارات للمعاقين وبعض المساكن الجاهزة للمحاصرين في غزة ، ولكن الإرادة النازية اليهودية ، تصر على خنق الشعب الفلسطيني وموته ، لتقيم ما تسميه الدولة اليهودية النقية ، التي تكون الحدود المتوقعة حولها صامتة مثل صمت القبور، كما توقع الإرهابي الهالك مناحم بيجن !
لقد تمت العملية في فجر الاثنين ٢٠١٠/٥/٣١م ، تحت سمع العالم وبصره ، وشاهدته الدنيا بالصورة والصوت ، وحتى ظهيرة اليوم نفسه كان العرب ما زالوا

صامتين لم ينطقوا بكلمة ، كانوا موتى على المستوى الرسمي وعلى الصعيد الشعبي ، الذي تحرك وأثبت أنه حيّ لما يزل ، الشعب التركي الشقيق ، انعقد مجلس الوزراء التركي ، واستدعى سفير العدو ، وهدد باتخاذ إجراءات معينة ردا على الجريمة النازية اليهودية ، في الوقت نفسه كان الشعب التركي يخرج إلى الشوارع ، ويجهز لمسيرة ضخمة تبدأ من ميدان تقسيم في استانبول ، وقد لحقت اليونان والسويد واسبانيا بالحكومة التركية ، وقامت هذه الدول باستدعاء سفراء القتلة النازيين اليهود لديها ؛ للاحتجاج واستنكار ورفض الجريمة التي تعبر عن استهانة العدو اليهودي بالقانون الدولي والأعراف الدولية والقيم الإنسانية .
وإذا كان من الطبيعي أن تصمت الدول الاستعمارية الصليبية ، والمدعي العام لمحكمة جرائم الحرب الدولية ، وأمين الأمم المتحدة ، فإن من غير الطبيعي أن تظل الحكومات العربية والإسلامية صامتة ، وكأن لم يحدث شيء ، ولم تنهك حرمتهم وكرامتهم ، ولم يقتل عربي أو يجرح فوق سفن الحملة الإنسانية التي تستهدف إنقاذ الأشقاء الفلسطينيين . هل أخذت حكومة العدو ضوءا آخر من الحكومات العربية والإسلامية لتمارس جرائمها النازية ضد المدنيين العزل في أسطول الحرية ؟
لقد كانت قنوات قليلة في مقدمتها الجزيرة ، تتابع الموقف أولا بأول على جبهات الموضوع المختلفة ، وللأسف فإنها جميعا لم تكن على مستوى الحدث ، فقد كان بعضها وهو ناطق بالعربية يكاد يكون صوت الدولة العبرية ، وإلا ما معنى أن تلح الدمية الشامية في إحداها وهي تسأل مراسلها عن طبيعة المتضامنين ، وهل كانوا يحملون سلاحا ؟ وكيف جرح بعض القراصنة القتلة ؟ وتكرر السؤال مرات وكأنها تريد تبرئة القتلة النازيين اليهود ، بينما المراسل يقول لها لقد كان المتضامنون يدافعون عن أنفسهم بأيديهم وبالأدوات التي أمامهم من عصي ونحوها ؛ في مواجهة الرشاشات والبنادق والقنابل !
من الطبيعي أن تنشغل قناة الحرة الأميركية بطالبان ، وبالحراك الجنوبي اليمني ، ومحاولة اغتيال العولقي ، ومن الطبيعي أن تنشغل بقية القنوات العربية بموضوعات الكرة وتسلق الجبال ، والغوص في البحار ، وإجراء المقابلات مع بعض الدمى من العوالم والغوازي للحديث عن زياراتهن لفرنسا وباريس ، وإثبات أن هناك فقراء مثل فقرائنا ، ومشكلات لا حصر لها هناك ، فضلا عن الحديث عن بطولاتهن وانتصاراتهن في ميادين الفن والتمثيل ..
المثير للغرابة هو موقف السلطة الفلسطينية في رام الله وضواحيها ، وهو صمتها التام الذي لم ينكسر إلا مع الظهيرة ، حيث ظهر الدكتور صائب على قناة الجزيرة ، ليستنكر الجريمة ، ويشير إلى أن فخامة الرئيس محمود عباس أجرى اتصالات مع المسئولين في الجامعة العربية لاتخاذ اللازم !
كان إسماعيل هنية يصرخ منذ بداية الجريمة النازية اليهودية ، ويطالب الجامعة والأمم المتحدة والعالم كي يأخذ موقفا حازما من المجرمين ، ويحث السلطة المحدودة في رام الله وضواحيها ، على قطع المفاوضات مع العدو ، ووقف التعاون معه ،. وللأسف فإنه يعلم أن فخامة الرئيس عباس مصر على التفاوض حتى النهاية ، لأنه لا يوجد من وجهة نظره غير التفاوض ، والتفاوض ، والتفاوض ! إن فخامة الرئيس

عباس لا يؤمن بخيار المقاومة ، سلمية أو عسكرية ، ويفضل أن يكون الاحتلال النازي اليهودي لفلسطين آمنا مطمئنا مستقرا ، لا يهز أمنه احد ، ولو بقذف طوبة أو حصاة !

الرئيس عباس منذ أيام ، قضي ليلة في مستشفى أردني يجري فحوصا طبية ، فسهر مع الأطباء ، وظل يلح في مسامرته على تفضيله للمفاوضات ، ورفضه للمقاومة ، ثم راح يشهر بحماس وإصرارها على المقاومة ، ولذا يجد أن لا مفر من التفاوض ولو لم ينجح .

العدو النازي اليهودي يتحدى العالم ، وتدعمه المؤسسة الصليبية الدولية بقيادة الولايات الأميركية المتحدة ، وتغطي على جرائمه ، وتمنحه المدد والعون ، لدرجة تغيير القوانين التي تحاكم مجرمي الحرب ، مثلا فإن وزير خارجية بريطانيا الجديد ، يرى أن من حق المجرمة النازية اليهودية " تسيبي ليفني " أن تدخل بريطانيا ، ولا تمنع من الدخول بسبب طلبها للمحاكمة ، ومع ذلك فإن فخامة الرئيس عباس يرى أن التفاوض هو الحل ، ولو لم يحدث حل !

تنقل قناة الجزيرة ظهر يوم الجريمة النازية اليهودية ، ثلاثة أخبار ، الأول عن السيد عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية ، يتحدث فيه عن الجريمة ، ويشير إلى أن الدولة العبرية فوق القانون ، وأن أحدا لا يحاسبها ، وأنه لا بد من موقف ! ترى من الذي سيتخذ هذا ا الموقف ؟ ويقنعنا السيد عمرو موسى أن العرب ذهبوا للمفاوضات مع أنهم يعلمون أن العدو لا يلتزم بشيء . وهو كلام غير مفهوم ، ويحتاج إلى تفسير .إذا كان الذي أمامك لا يلتزم بشيء ، فكيف تكافئه بالتفاوض غير المجدي ؟

الخبر الثاني عن خطاب ألقاه مع الظهر أيضا أمير دولة قطر ، استنكر فيه الجريمة ، وتحسر على ما يحدث، ودعا (؟) إلى اتخاذ موقف يوقف هذه الجرائم النازية اليهودية ويرفع الحصار عن غزة ! ولكن من الذي يوقف ، ويرفع يا سمو الأمير ؟

الخبر الثالث كان اتصالا فجائيا من وزير خارجية الأردن ، يقول فيه إنه تم استدعاء القائم بالأعمال النازي اليهودي في عمّان ، وإبلاغه احتجاج الأردن على الجريمة ، وتحميله مسئولية سلامة الأردنيين الذين كانوا على ظهر أسطول الحرية لكسر الحصار ، كما أعلن معا ليه أن السفير الأردني في تل أبيب سيقدم احتجاجا مماثلا إلى حكومة العدو .

شكر الله للأمين والأمير والوزير، ولكن متى يصحو الموتي في الحكومات العربية الذين يستأسدون على شعوبهم ، ويضربونها بلا رحمة ، إذا تظاهرت ضد العدو ، ثم يطالب بعض نواب الحكومات الذين جاءوا بالتزوير حكومات العجز والموت والفشل بضرب المواطنين بالرصاص ؟ ، متى يكف الذين يتكلمون وهم موتى أيضا عن ضجيج الاستنكار والشجب الباهت والكلام الذي لا جدوى له ؟

متى يستخدم الموتي ما لديهم من أوراق – لا نريد منهم قتالا الآن فهم لا يريدونه ولا يقدرون عليه في ظل الفساد والانهيار والهزائم الداخلية ؟

هل يمكن أن يقطعوا العلاقات ، ويوقفوا التطبيع ، ويفرضوا حصارا دبلوماسيا واقتصاديا وثقافيا على الكيان النازي اليهودي ؟

هل يمكن أن يطلبوا من فخامة الرئيس عباس أن يحل السلطة الإدارية المحدودة في رام الله وضواحيها، ويترك الأمور للشعب الفلسطيني ، ليقرر ما يريد ، ويتعامل بالطريقة التي يريد مع العدو الغاصب المتوحش ؟
إن اليهود القتلة لا يعنيهم السلام ولا المفاوضات ولا العالم ، يستوي في ذلك اليمين واليسار ، ومن ينتظر أن تأتي حكومة نازية يهودية تقبل السلام ؛ فهو واهم ، ويحرث في البحر ، والأولى أن يصمت صمت القبور !
كان مراسل قناة الجزيرة ، يتحدث عن تفاصيل العدوان على أسطول الحرية ، وكانت تقف وراءه مجموعة من قطعان النازيين اليهود يصيحون ويصرخون ، ويقولون إن هذه الأرض – يقصدون فلسطين المحتلة - هي أرضهم ، ويجب أن يخرج منها غير اليهود ، يقصدون العرب الفلسطينيين ، ودلالة ذلك لا تخفى على من له ادني وعي بطبيعة العدو النازي اليهودي !
ومع ذلك فإن ضجيج الموتى لن يستمر إلى الأبد ، لأن ضجيجا آخر سيأتي حسب الموعدة الإلهية : "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم "( ).

***

ليلة من ألف ليلة

قالت الفتاة شهر زاد ، وهي تسامر الملك شهر يار :
بلغني أيها الملك السعيد ، ذو الرأي الرشيد ، أن شواهي ذات الدواهي ، حين عادت إلى بلاد الروم ، متلألئة مثل النجوم ، وقد حققت انتصاراتها ، في بلاد المسلمين ، وجمعت في يديها ثروات العرب الغافلين ، وألقت في مياههم بفيروسات الفتن ، واستقتطبت منهم رءوس النخب وصناع المحن ، وضمنت أنهم لن يقوموا بشيء يعكر السلام ، أو يثير بغيض الكلام ، وأنهم في صمتهم باقون ، وفي أحزانهم سادرون ؛ خطفت رجلها إلى الجزر الغربية ، حيث الأمة الإنجليزية ، تجري انتخابات شفافة ، بعيدا عن التزوير والهيافة ، و نجح المعارضون من حزب المحافظين ، وانهار الحكام من حزب العاملين ، ولم يكن في ذلك ما يدعو إلى العجب ، ولا يدعو إلى عدم الصيام في رجب ، فالأمر في بلاد الأمم الباردة ، يعني المواطن قبل النخب الشاردة ، حيث يكون للمواطن أيا كان فكره ودينه ، رأيه الذي يجب احترامه وتقنينه ، ولا يعني أن يرسب الحاكم وينجح المعارض ، أن تقوم الدنيا وتشتعل الصحف وتقام المعارض ، وتنتشر الفوضى ولا تهدأ القوارض ، فالأمر في بلد احترام المواطن الإنجليزي الإنسان ، فوق كل شرطي وعسكري وقانون جبان .
وتعلم أيها الملك السعيد ، ذو الرأي الرشيد ، أن القوم في بلاد الاستعمار العتيد ، يحرصون أن يتفقوا على الهدف القريب والبعيد ، ويختلفوا على الأسلوب الذي يحقق الجديد ويحفظ التليد . ولذا سادوا وقادوا ، واستطاعوا أن يتفوقوا على أمة التوحيد .

مولاي .. إن القوم في بلاد الإنجليز والاستعمار ، اختاروا لقيادتهم شبابا يحكم البلاد والديار ، يجددون دماء حكامهم ، ويدفعون قوة جديدة في شرايينهم وأبدانهم ، إنهم يعملون ليل نهار ، لا يكفون عن بذل الجهد الجبار ، وهم يا مولاي لا ينامون عن تحقيق أهدافهم ، ولا يغفلون عن السعي من أجل مطالبهم ، ولذا كانت شواهي ذات الدواهي سعيدة باتفاق الأحزاب الثلاثة ، على تسليم وتسلم الحكم والرياسة ، وقبِل الحزب العتيد ، بالجلوس في مقاعد المعارضة ، وشكّل الحزب الكبير مع الحزب الصغير حكومة المفاوضة .. بينما يا مولاي تعيش بلاد الرافدين ، في كوميديا من فصلين ، أولهما أن رئيس الوزراء الحاكم ، يشتكي من تزوير الانتخابات في عصره القائم ، وبعد إعادة فرز ، وتقليب وعد وصبر طويل مثل جبال الأرز ، قال القضاة وأهل الحكمة ، إن الانتخابات سليمة النتائج وحق النعمة .ولكن الرئيس الحالي ، لا يحب أن يترك المكان الخالي ، ويريد أن يبقى على كرسي القيادة ، ولو ذهب على يديه الاستقلال والسيادة ، فالأمر ليس حرية وديمقراطية، ولكنه كرسي ومهلبية ، وليمت أهل السنة والشيعة ، فالموت صار سنة وشريعة ، ولا بأس عليه أن يحكم طالما كان في جسده نفس ، من صباح الدهر حتى الغلس .

والفصل الآخر يا مولاي يخص الديمقراطية والمهلبية ، فلا ديمقراطية في بلاد البؤس حقيقية ، إنها مجرد ديكور وجلابية ، مصر يا مه يا بهية ، أحوالك كلها فقر وظلم ومظهرية .

والمهم كما قالت شواهي ، أن تستمر في بلاد البؤس الدواهي ، فقد اطمأنت العجوز الحيزبون ، أن أنصارها في داخل بلاد العرب المغبون ، ينفذون سياستها ، و يتقنون مهمتها ، ويضحكون على شعوبهم التعيسة ، بكلام عن الحرية والهريسة ، ويصنعون انتخابات على امتداد البلاد ، ويحشدون لها ملايين العباد ، ولكنهم لا يسمحون لهم بالتصويت ، بل لا يمكنونهم من الترشيح ولو كان المرشح من العفاريت ، وفي كل الأحوال تزوّر النتائج ، وينجح الراسب الجاحد ، ولو لم يحصل على صوت واحد، فالمسألة من قبل ومن بعد ، تمثيلية تجلب للحكومة النظيفة السعد ، وبعدها تلطم المعارضة الخدود ، وتبكي على الحرية الضائعة بلا حدود ، والشعب مشغول بأمر الرغيف المسموم ، والمرتب الذي لا يبقى أياما أو يدوم ، وسبحان من له الحول والطول .. ربنا الحي القيوم .

وقد روت شواهي لأصحابها الإنجليز أصحاب الدواهي ، عن المناظر المألوفة الطريفة ، التي رأتها على أسوار مجالس النواب والوزراء الظريفة ، ورأت الاعتصامات العارية ، وأصوات المحتجين العالية ، وعرفت موقف المسئولين الخالدين ، من هؤلاء الغلابة المساكين ، وقولهم في الأروقة والميادين ، فليخبط المعتصمون رءوسهم في الطين !

مولاي .. استطال الليل ، وامتد الويل ، والشعب التعيس ، يصرخ في عذاب بئيس ، متى يا رب تنجينا ، من هذا القهر وتحيينا ، فقد فقدنا الزيتون والتينا ، وها هو النيل يفارقنا مغاضبا حزينا ، لأن أهل المصب والمنبع ، استأسدوا على الشعب المسكين المروع ، فقد وجدوه بلا حكومة تعمل أو تزرع ، ولكنها مشغولة بأقدام اللاعبين والكرة ، والستات العوالم والغوازي في أرجاء المحروسة القاهرة ، وتجار الخردة

والحديد ، يحكمونها بالضرائب والقهر الشديد ، ومن يرفع رأسه يا أخي فإن العصا الغليظة ، تنزل على رأسه الضعيفة ، وتبدد أحلامه وآماله الشفيفة ، وإذا كان من الذين يقولون "الإسلام هو الحل ' فإنهم يجعلون أيامه سوداء وسنواته مثل الزفت والخل ، وقد وظفوا جماعة من مثقفي الحظيرة ، يرتزقون من هجاء الإسلام والقيم الكبيرة ، فيشغلون الناس بهوامش الأمور ، ويكفون على القضايا الكبيرة ألف ماجور ، فمن حملتهم على الحجاب والنقاب ، إلى هجومهم على التربية الدينية الإسلامية و إسلام الشباب ، إلى إشغال الناس بما يسمونه حرية التعبير ، والإصرار على نشر الإلحاد والإباحية والتزوير ، فإنهم راحوا في كل يوم جديد ، يختلقون حكاية تثير البلبلة ويعيدونها من جديد ، وآخر ما جرى يا مولاي شهريار ، أنهم نشروا قصتي في ليالينا المليئة بالعجائب والآثار ، وأضافوا إليها ألفاظا بذيئة ، ومواقف مخجلة رديئة ، وادعوا أنها ذاكرة الأمة ، وكتابها من أفضل الأئمة ، وفي الوقت نفسه يروجون لإلغاء القرآن ، لأنه في زعمهم الكاذب بهتان ، يثير فتنة بين عنصري الأمة ، ويشيع التمييز والغمة ، مع أنه كلام رب العالمين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بوصفه الحق المبين ، ولكن ماذا نقول يا مولاي في زمن المرتزقة المتوقحين ؟

قبل أيام يا مولاي قام متمردون طائفيون متعصبون ، بتقديم بلاغ مليء بالكذب والطعون ، يتهم كاتبا يفترض انه قريب إليهم ، له أفضال وآلاء عليهم ، بازدراء السيد المسيح ، ويردد آيات القرآن بلسان فصيح ولكن أبناء الحظيرة الثقافية ، غضوا الطرف وسكتوا عن جريمة التمرد الحقيقية ، وتركوا صاحبهم يلقى مصيره المجهول ، في تحقيقات قد تقصر وتطول ، ونسوا حرية التعبير ، والكلام عن رفض المحاذير ، وكشفوا أنفسهم جهارا نهارا ، ولم يخافوا عارا ولا شنارا ، وأثبتوا أن الحظيرة لا تهتم إلا بالعلف ، ولا يهمهم تعبير ولا فكر ولا خلف!

وصاح ديك الفجر في بغداد .. وقالت شهر زاد : مولاي .. وسكتت عن الكلام المباح وغير المباح !

***

معزة النيجر .. ومفاوضات السلام ؟!

لا بأس أحيانا أن نضحك وسط معمعات الحزن والأسى والخيبات الثقيلة التي تحط على رأس الأمة بسبب قصورها وتقصيرها ، في حق ربها ، وحق نفسها !
ذهب المنتخب القومي لكرة القدم ، إلى نيامي عاصمة النيجر ليلعب مع فريقها القومي في بطولة أفريقية . منتخبنا القومي مشهور باكتساح البطولة الإفريقية على مدى سنوات طويلة ، وفريق النيجر متواضع المستوى بالنسبة له ، ولكن نتيجة المباراة كانت خسارة فريق مصر القومي أمام فريق النيجر ، وعاد اللاعبون المصريون من نيامي بخفي حنين !
إلى هنا والأمور عادية ، وليس فيها ما يثير ، فمن الطبيعي جدا أن ينهزم فريق أمام فريق ، وأن يتمكن فريق كفر البلاص الذي يلعب الكرة الشراب من هزيمة الأهلي أو الزمالك على أرضه وبين جمهوره إذا أخذ المسألة مأخذ الجد وبذل جهدا مناسبا في المباراة ، والكرة أجوال على رأي المعلق الظريف محمد لطيف – رحمه الله - على عهد جيلنا الذي بلغ أرذل العمر !
لكن الغريب والعجيب والمثير أن السادة الأشاوس والنشامي من معلقي الكرة في بعض القنوات الفضائية المصرية ، جلسوا أكثر من ساعتين يتحدثون عن سبب هزيمة فريقنا القومي . وهذا السبب يكمن في معزة . أي والله معزة كما قال الأشاوس والنشامي من ذوي الحناجر البشعة والأصوات المنكرة والتعبيرات الهابطة والفكر السطحي التجاري ..

وإليكم تفاصيل خبر المعزة الذي تحدث عنه المعلقون : أهل النيجر أرادوا هزيمة فريقنا القومي ، فاتوا بساحر إفريقي ، صنع لهم سحرا من خلال معزة ! وقبل المباراة دخل الساحر بمعزته إلى الملعب والمعزة أمامه ، ودار بها على ساحة الملعب ، وسمح لها أن تقضي حاجتها فوق النجيل الأخضر ، ثم صعد بها إلى مقاعد المتفرجين ، وجلس ليشاهد المباراة مع المعزة المسحورة أو الساحرة ..

انطلقت صفارة البداية ، وبدأ الفريقان اللعب ، الفريق النيجري راح يجري يمينا وشمالا ، وخلفا وقداما ، ويسدد قذائفه نحو المرمى المصري ، أما الفريق القومي المصري بطل الأبطال ، فقد كان لا عبوه يتحركون بصعوبة وبطء شديدين ، الوحيد الذي كان ينطلق مثل الصاروخ كان اللاعب الأشهر محمد أبوتريكة ، ولكنه وحده لا يستطيع أن ينتصر في مباراة يواجهه فيها أحد عشر لاعبا ، وانتهت المباراة بهزيمة مصر هزيمة منكرة !

كانت التفسيرات الأولية تتكلم عن ارتفاع درجة الحرارة إلى ما فوق الأربعين ووصولها إلى الخمسين أحيانا في نيامي عاصمة النيجر ، ثم كانت هناك تفسيرات تعزو الهزيمة إلى وجود نسبة رطوبة عالية تسببت في تفكيك أعصاب اللاعبين المصريين الذين الذي لم يتعودوا على هذا الجو وتحمل أجسامهم نسبة كبيرة من الماء ، أما النياجرة ، فأجسامهم جافة أو ناشفة ، ولذا لا يتأثرون بالرطوبة أيا كانت نسبتها . ثم كان هناك تفسير ثالث يقول إن سبب الهزيمة هو إرهاق اللاعبين في السفر من مطار القاهرة إلى مطار نيامي ، فقد سافروا على طائرات عادية ليست خاصة بهم عبر مرحلتين ، قضوا فيهما خمسة عشرة ساعة بين السماء والأرض ، فكانوا منهكين لدرجة أنهم لم يستطيعوا مجاراة لاعبي النيجر !

التفسير الذي حظي بالاهتمام الأعظم والوقت الأكبر كان تفسير المعزة الساحرة أو المسحورة ، فقد أيقن جميع الأشاوس والنشامى أن الهزيمة بسبب السحر .. وتساءل بعضهم : أليس السحر مذكورا في القران الكريم ؟ وقد قيل لماذا كان أبو تريكة يجري وينطلق بلا قيود ولم يتأثر بالسحر . فقيل لمَ لمْ يتأثر بالسحر ؟ قيل : لأنه كان يصلي وكان يقرأ القرآن باستمرار! والسؤال هو : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يصل الفريق ومدربه ؟ ولماذا لم يقرءوا القرآن مثلما فعل أبوتريكه ؟

كل هذه التفسيرات بائسة ، وغير مقبولة ، والسبب الأساسي هو القصور والتقصير . ويجب الاعتذار لمعزة النيجر وصاحبها ، فلو أن أهل نيامي ملأوا الملعب بالمعيز فإنهم لا يستطيعون هزيمة فريق مجتهد ، ويبذل أفراده جهدا متناغما ، وفقا خطة جيدة وإصرار على الفوز !

الابن محمد البنهاوي – زميل نجلي محمد – غطى في جريدة الشروق تفاصيل المباراة مذ تحرك اللاعبون المصريون ، بل قبل أن يتحركوا حتى عودتهم إلي القاهرة ، وكشف لنا عن الاهتمام الكير الذي حظي به اللاعبون والمدربون والإداريون في القاهرة وطرابلس ونيامي نفسها ؛ حيث استقبلهم الشعب هناك استقبالا حافلا حبا في مصر وأهلها ، وخرج السفير المصري إلى مطار نيامي مع طاقم السفارة لاستقبال الفريق ، وتوفير كل الإمكانات التي تريحه وتساعده على النصر ، ولكن النتيجة كانت خيبة ثقيلة !

بعض الناس - وخاصة في السلطة – يظنون أن التفوق والتحضر ، هو في الحصول على الدوري وكأس إفريقية ، ولكن الأصح هو التفوق في الرياضة التي تؤسس للعقول العلمية التي تبحث وتكد وتبدع وتخترع . القوم في بلادنا يتصورون أن الإنفاق الذي يصل إلى حد السفاهة على مباريات الدوري والكأس هو الرياضة ، وهو العلم ، وهو التفوق !

أليس من المفارقات أن يكون أستاذ الجامعة – باستثناء المقربين من السلطة وأصحاب المكاتب والعيادات والصيدليات – مستحقا للزكاة ، وأن مرتب أستاذ الجامعة يقل أحيانا عن مرتب فراش في بعض البنوك الاستثمارية ؟

إن محنة الكرة في مصر أو البلاد العربية تنبع من الرؤية المعكوسة لطبيعة الرياضة والترفيه الرياضي . الرياضة وسيلة للنمو العقلي والبدني ، والترفيه الرياضي تجديد للعقل والبدن ، من أجل العمل والإنتاج والبحث ، ولكن بعض القوى المتسلطة على مقادير الغرب والمسلمين ، تجد في الهوس الرياضي – وليس الرياضة – وسيلة لإلهاء الشعوب عن الخيبات الثقيلة التي يعيشونها ، وعن التخلف المريع الذي يتراكم يوميا ، وينفقون الأموال الكثيرة لشراء لاعب بعشرات الملايين ، أو يمنحونها لمدرب أجنبي من أجل كسب مباراة لاتسمن ولا تغني من جوع !

كيان العدو النازي اليهودي في فلسطين المحتلة يحقق انتصارات موجعة لكل العرب والمسلمين ، ويفرض عليهم الذل والهوان ، دون أن ينساق للبحث عن كأس إفريقي أو آسيوي أو عالمي !

وهاهو اليوم يفرض شروطه المذلة والمهينة على العرب والمسلمين فيما يسمى مفاوضات السلام الذي لا وجود له أبدا على أرض الواقع .

يوم كان العرب والمسلمون يرفضون الاعتراف بالعدو ، ولا يتفاوضون معه ، ولا يفتحون له بلادهم ومدنهم وقراهم ، وكان لديهم استعداد للمقاومة والتضحيات ؛ كان العدو يتمنى لو يكلمه مواطن عربي أو مسلم .. أما اليوم بعد أن قوي ، وتقدم وتفوق ، فهو يرفض الالتزام بأية قيمة إنسانية أو قانونية ، أو دينية ، وبعد أن تطوع العرب واعترفوا وتفاوضوا معه وقبلوا بشروطه ، وتخلوا عن الجهاد والمقاومة والتضحية ؛ فإنه يتفنن يوميا في إذلالهم ، ويرفض التفاوض معهم بالمعني الحقيقي ، ولا يقبل بأية مرجعية دولية أو إقليمية ، ولا يتنازل أبدا عن مطلب من مطالبه الشريرة ، ولو كان العالم كله لا يقره عليها . ومازلنا مشغولين بالمباريات الرياضية في كرة القدم ومعزة النيجر التي سحرت لاعبينا ، وحرمتهم الفوز .. وفي الوقت نفسه نخترع كثيرا من المعيز الساحرة والمسحورة في مواجهة العدو النازي اليهودي ، دون أن نواجه الأمور مواجهة الرجال ، ونعمل ما يوجبه الحق والضمير تجاه بلادنا وأمتنا ..

هل توجد أمة تفاوض عدوها المجرم الشرس دون أن يكون في يدها ورقة قوة أو ضغط واحدة ؟

بالأمس أعلن السفاح النازي اليهودي أنه على استعداد لوقف الاستيطان لمدة شهر واحد في أثناء مفاوضات الذل والاستسلام مع العرب ؛ إذا اعترفوا بيهودية كيانه الغازي الغاصب ؟ أرأيتم إلى أي مدى انحدرنا ذلا وهوانا ؟

لقد نقلت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية علي موقعها الالكتروني عن نيتانياهو قوله في افتتاح الدورة الثامنة عشرة للكنيست الصهيوني: " إنه إذا قامت القيادة الفلسطينية بالاعتراف صراحة وعلي نحو لا لبس فيه أمام الشعب الفلسطيني بالكيان الغاصب وطنا قوميا لليهود ، فإنه علي استعداد للاجتماع بحكومته وطلب تجميد البناء في المستوطنات ؟

الرجل يريد اعترافا صريحا لا لبس فيه من أصحاب الوطن السليب بعنصرية الكيان الغاصب في مخالفة صريحة للقوانين الدولية والإنسانية ، وإلا فإنه سيواصل مسيرته الإجرامية بالمزيد من اغتصاب الأرض ، واستعمارها على حساب أهلها الأصليين .

ولم يكتف السفاح بذلك بل إنه يذكر العرب بأنه منحهم عشرة شهور تجميدا للاستيطان ولكنهم لم يستمعوا إليه .إنه هو الذي يعطي ويمنح ، وهو أيضا القادر على المنع إذا شاء !

لا ندري كيف يفكر بعض القادة العرب الذين انبطحوا تماما أما العدو النازي اليهودي ، وما زالوا يبحثون عن معزة ساحرة أو مسحورة تسوغ نكوصهم ، وفرارهم من أداء واجبهم في مواجهة العدو وإيلامه حتى يرضخ للحقوق المشروعة ؟

بسبب معجزة النيجر قام أحد الأولاد في بيت أعرفه بالانتقال من غرفة إلى غرفة أخرى ينام فيها لأن سيرة المعزة ، وارتباطها بالعفاريت قد أخافته ! وهكذا يتواصل التفكير الخرافي في تحقيق انتصارات على أبنائنا وشعوبنا وقادتنا . ونسينا قوله تعالى : " وجاهدوا " ، وقوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " ، ورمينا كل مشكلاتنا ومتاعبنا على المعزة إياها !

***

مفارقات الاحتلال والمقاومة !

منذ ستة عشر عاما أو يزيد أجرت المقاومة الفلسطينية في منظمة فتح التي تسيطر على منظمة التحرير الفلسطينية ،، مفاوضات مباشرة وغير مباشرة ، مع العدو النازي اليهودي في فلسطين المحتلة ، وكلما ظن الناس أن الأمور تتقدم خطوة إلى الأمام لإعادة المشردين الفلسطينيين إلى بلادهم ، وإزاحة الاحتلال عن أراضيهم ، تأزمت الأمور وتعقدت .وعانى الفلسطينيون في داخل فلسطين وخارجها من متاعب ومصاعب تنوء بها الجبال ؛ نتيجة لوحشية العدو النازي اليهودي . الحصار يشتد يوميا على قطاع غزة ، والضفة تعاني من المستوطنات التي تتزايد مع كل صباح ، والحواجز تتكاثر بين المدن والقرى ، والعدو يغتال الشباب الفلسطيني ، ويعتقله ، وتساعده سلطة رام الله بتقديم المعلومات للنيل من أبنائها .

في الوقت نفسه ، تنمو القوة العسكرية النازية اليهودية ، رأسيا وأفقيا ، بحيث صارت القوة الأولى في المنطقة ، التي وجدت في نفسها الجرأة مؤخرا لتعلن أنها قادرة على شن الحرب ، والقتال على جميع الجبهات في وقت واحد ، فهي تستطيع محاربة إيران وسورية ، وحزب الله وحماس ، ومصر أيضا إن لزم الأمر ، كما قالت الصحف العبرية التي صدرت قبل أيام حيث أكدت صحيفة ها آرتس الصهيونية مثلا ؛ في تقرير لها يوم الثلاثاء ٢٠١٠/٥/٢٥م ، أن بنيامين نتانياهو رئيس الوزراء الصهيوني يستعد للحرب بصورة جدية ، وهو ما يفهم منه ضمنيا أنه سيحارب على جميع الجبهات ، فإذا هاجم إيران فإن الجبهات الأخرى ستفتح تلقائيا ، ولو رغما عنها ، ولعل هذا ما دفع مصر إلى إرسال مدير المخابرات إلى الاجتماع بوزير الحرب النازي اليهودي ، أيهود باراك ، لإقناعه بأن المنطقة تحتاج إلى الهدوء وليس الحرب !

ومع ذلك فإن الاستعداد الدائم للحرب والعدوان في فلسطين المحتلة لا يتوقف ، والدليل على ذلك ما تقوم به دولة الغزو النازي اليهودي من مناورات عسكرية يشترك فيها الغزاة الصهاينة جميعا من يرتدون الزي العسكري ومن يمثلون الاحتياط ، حيث يعد جميع الصهاينة ، رجالا ونساء تحت السلاح في أثناء الحرب الشاملة .

وقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية ، أنه من المتوقع أن تصل المناورات الإسرائيلية الأضخم في تاريخها "نقطة التحول ٤" ذروتها ظهر الأربعاء ٢٠١٠/٥/٢٦م ، حيث تسمع صفارات الإنذار في جميع أنحاء الكيان الساعة الحادية عشرة ظهرا، مع العلم أن هناك ٦٠٠ مدرسة لن تشترك في المناورات بسبب تزامنها مع وقت الامتحانات.

وأشارت الصحيفة إلى أن قيادة الجبهة الداخلية لم تحدد بعد الطريقة التي سيتم الإعلان من خلالها عن هجوم صاروخي غير تقليدي على المناطق الصهيونية، حيث تعكف حاليا على اختيار الطريقة المناسبة لإعلام الجمهور عن سقوط صواريخ كيماوية وغيرها، مضيفة بأن مصادر في الجبهة الداخلية أوضحت أن هناك قلقاً وعدم ارتياح بسبب النقص في عدد الكمامات الواقية تحسباً من سقوط صواريخ كيماوية التي لا يوجد إمكانية لاعتراضها حسب تلك المصادر.

وأوضحت المصادر أن هناك إمكانية لمعرفة نوعية الصاروخ المطلق وتشغيل فارات الإنذار المبكر تحذيراً منه في منطقة محددة مثلا، مع العلم أن هذا الأمر لا يشكل الكثير من الخطر على من يملك مكاناً محصناً لكن المشكلة في هؤلاء الذين لا يملكون مكانا محصنا، وأضافت الصحيفة أنه حسب مصادر أمنية فإن الحديث يدور عن موضوع معقد يتم فحصه الآن على أمل أن تستطيع السلطات الصهيونية التدريب عليه في المناورات المقبلة.

ونقلت صحيفة معاريف الصهيونية عن أفي ديختر، المسئول عن اللجنة قوله : "إنه في ضوء التحديات والأخطار التي يتعرض لها الكيان الصهيوني من المحاور الثلاثة(سوريا ولبنان وغزة) ، فإن ما يوجد لدى الجيش النازي اليهودي من تلك المنظومات غير كافٍ على الإطلاق"، مضيفاً "أن كل سنتيمتر واحد من الكيان موجود على دائرة الاستهداف".

وأوضحت الصحيفة أنه يوجد لدى الجيش عشر بطاريات صواريخ دفاعية فقط، مشيرة إلى أن ذلك لا يكفي، وعليه يتوجب على أجهزة الأمن الإسراع في اقتناء المزيد من أجل مواجهة الخطر.
وأشارت الصحيفة إلى أن الإدارة الأمريكية كانت قد أقرت قبل أيام تقديم مساعدة مالية لإسرائيل، من أجل تطوير وإنتاج منظومة "القبة الحديدية" لاعتراض صواريخ قصيرة المدى التي يصل مداها إلى ٦٠ كم وتفجيرها في الجو، حيث بلغ حجم المساعدة الأميركية ٢٥٠ مليون دولار.
إذا العدو النازي اليهودي يعمل ليل نهار ليزداد قوة على قوة ، ويواجه كل الاحتمالات التي يمكن أن تؤثر على وجوده الاستيطاني الشيطاني ، والمؤسسة الاستعمارية الصليبية بقيادة الولايات المتحدة تدعمه ماديا ومعنويا ، وتلحس تصريحاتها عن السعي لحل القضية الفلسطينية ، أو رفض إقامة المستوطنات في الأرض المحتلة ، بل إنها كما صرحت السيدة هيلاري كلينتون وقائد القوات الاستعمارية الصليبية في منطقة الشرق الأوسط ، شكلت فرقا سرية لتصفية عناصر المقاومة (التي تسميها العناصر الإرهابية) في المنطقة وهذا بالطبع لخدمة الكيان الصهيوني ، والحفاظ على بقائه العدواني الظالم والغادر، وقبل ذلك الحفاظ على المصالح الاستعمارية التنصيرية فيما يسمى الشرق الأوسط .
ومن المفارقات أن تعلن صحيفة الجارديان البريطانية في الوقت ذاته ، عن وثائق تسربت من وزارة الدفاع في جنوب إفريقية عن تعاون نووي بينها وبين الكيان النازي اليهودي في أيام حكم الأقلية العنصرية البيضاء ، وتزويد الأخيرة برءوس نووية .
وإذا كان السفاح النازي اليهودي " شيمون بيريز" قد أنكر بشدة ما كشفته الصحيفة ، وما ورد في كتاب جديد بأنه عرض بيع أسلحة نووية لنظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا عندما كان وزيراً للدفاع في السبعينيات. فإن الصحيفة أشارت إلى البيان الصادر عن مكتبه الذي أوضح أنه لا يوجد أساس في الواقع للادعاءات القائمة على وثائق جنوب أفريقية تم رفع السرية عنها، تشير إلى أن بيريز عرض بيع رؤوس حربية نووية وصواريخ باليستية لنظام الأبرتهايد (الفصل العنصري) عام ١٩٧٥. وأضاف البيان أنه لا توجد وثيقة صهيونية أو توقيع صهيوني على الوثيقة تؤكد حدوث مثل هذه المفاوضات.
إلا أن ساشا بولوكو سورانسكى، الأكاديمي الأمريكي الذي كشف عن هذه الوثائق ؛ في أثناء إعداده لكتاب جديد عن العلاقات العسكرية والسياسية بين البلدين ، قال : إن هذا الإنكار مخادع لأن محاضر الاجتماعات التي عقدت بين بيريز ووزير الدفاع الجنوب الإفريقي حينئذ بى دبليو بوثا تبين أن حكومة التمييز العنصري اعتقدت بوجود عرض صريح لتوفير الأسلحة النووية.

في المقابل فإن آية الله محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية المحدودة ، يجدد تصريحه الرافض لخيار المقاومة ، ولو فشلت المفاوضات ، وقد صرح لقناة (فرانس ٤) في ٢٠١٠/٥/٢٤م ، قائلا : "إذا لم ننجح في المفاوضات بالتوصل إلى حلّ ، فهناك بحث جرى في الجامعة العربية ، وهو كيف يمكن أن نذهب إلى مجلس

الأمن ؛ وهنا أسيء فهم هذه القضية وقيل: إن الفلسطينيين يريدون من طرف واحد دولة فلسطينية ونحن نقول: إذا فشلت المفاوضات فهل هناك غير مجلس الأمن لنذهب إليه، أما الخيارات الأخرى فأنا غير موافق عليها إطلاقًا كخيار الكفاح المسلح".

وردًا على سؤال حول رغبته بنشر قوات أطلسية في فلسطين، أضاف عباس: لقد "قلنا إنه عندما تقوم الدولة الفلسطينية نحتاج إلى طرف ثالث أن يكون موجودًا عندنا من أجل طمأنتنا حتى لا يعتدي علينا وطمأنة الجانب الإسرائيلي ومن اجل إعادة بناء الأجهزة الأمنية".

هذا هو خيار الرئيس الفلسطيني المنتهية رئاسته : عدم المقاومة ولو فشلت المفاوضات !!

العدو يقوى ، ويقاتل ، ويحاصر ويعتقل ويغتال .

والفلسطينيون ينبطحون ، ويستسلمون ، ويرفضون المقاومة .ثم يطلب من حماس أن تتصالح مع السلطة المحدودة في رام الله وفقا لمنهج نبذ المقاومة إلى الأبد ! مع شن الحملات ضد حماس وتشويهها واتهامها بتعطيل حل القضية الفلسطينية لأنها لم توقع على اتفاق يحرمها ، بل يحرم الشعب الفلسطيني من الدفاع عن نفسه ، والاستسلام للنازية اليهودية !

إنها مفارقة الاحتلال والمقاومة !

***

من شعب النيل إلى أهل القرغيز

أعلم أن كثيرا من شعبي الطيب الصابر لا يعلم كثيرا عن شعب القرغيز أو قرغيزستان ، ولا يعلم أن القرغيز من التتر ، أو الأتراك . في وادي النيل لم يسمع كثير من الناس ؛ بشعب القرغيز الذي يشكل أفراده المسلمون أكثر من ٨٠%، والباقي من الروس وغيرهم، ولا يعلم المصريون أن شعبكم يا أهل قرغيزيا ، قد قام بثورات سابقة ضد حكامه اللصوص والجلادين والموالين للروس أو الأميركان ..

بيد أن شعب النيل المصري يستغرب أن تكونوا خمسة ملايين ونصف مليون قرغيزي ، ثم تثورون ، وتغيرون نظام الحكم أكثر من مرة في أقل من عقد من الزمان ، بينما شعب النيل يعيش قرابة ثلاثين عاما ، بل ستين عاما ، وهو لم يستطع تغيير مجلس قرية ، فضلا عن مجلس مدينة أو محافظة أو حكومة ، إنه يترك الأمور للقدر ، لأنه مشغول برغيف الخبز وأنبوبة البوتاجاز ، وتسديد إتاوة الدروس الخصوصية ، والدعاء من رب العباد أن يمنع الحكومة المصرية من تأميم البيوت والمساكن ، وتحويل الشعب إلى مستأجرين في ممتلكاتهم باسم الضريبة العقارية ..

لقد قمتم يا شعب القرغيز المسلم الشقيق في السادس من إبريل ٢٠١٠م بثورة جديدة على غرار ثورة السوسن التي جرت في عام ٢٠٠٥م، وذهب الرجل الموالي لأميركا عسكر باييف إلى حيث لا عودة .

لقد خرجت الجماهير الجائعة العارية الغاضبة إلى شوارع المدن الكبري والعاصمة بيشكيك تطالب برحيل الرئيس الحالي كرمان باكاييف وتسريح الحكومة ، وخرج المعارضون يحملون شعارات الثورة الماضية نفسها ضد رموزها الذين غرقوا في مستنقعات الفساد ، وتسببوا في تردي الأوضاع الاقتصادية وتدهور الأوضاع المعيشية ...

لو عرفتم الحقيقة يا أهل القرغيز لآمنتم أنكم أحسن حظا منا نحن شعب النيل ، فدورتكم الدموية تتحرك ، ونشاطكم الحيوي لا يتوقف ، ولديكم حكومة ومعارضة حقيقيتان ، والانتخابات عندكم لا تزور ، ومن حسن حظكم أيضا أن الدولتان الكبريان أميركا وروسيا تتصارعان للهيمنة عليكم ، وأنتم المستفيدون في كل الأحوال ، من المعونات ، والتسهيلات المالية ، وغيرها .. صحيح أن السعار الأميركي اشتد عقب سقوط الاتحاد السوفيتي ، وبلغ مداه عقب احتلاله لأفغانستان عام ٢٠٠١م ، بحكم أن بلادكم ، محطة مهمة في طريق طائراته ومعداته التي تقهر البلد المسلم الشقيق ، مما ترتب عليه إقامة قاعدة جوية أميركية في ماتاس نظير مبالغ هائلة .. إلا إنكم لم تسكتوا على حكومة عسكر أكاييف ، وقمتم بثورة السوسن أو الخزامي (التوليب) ،كما قامت جورجيا بالثورة القرمزية أو ثور الورود ، وقامت أوكرانيا بالثورة البرتقالية ، وكلها مدعومة من أميركا ..

في أرض النيل المصري حكومة أبدية ، ومعارضة رسمية مزيفة وتابعة للحكومة ، وإن أقسمت أنها مستقلة ، وغير تابعة ، ويكفي أنها تظاهرت ضد رجل اسمه البرادعي نادي بتغيير الدستور ليرشح نفسه ، وتجمع اثنا عشر حزبا من هذه المعارضة وأعلنوا احتجاجهم على البرادعي تأييدا للحكومة الأبدية المستبدة ، وهم يعلمون مسبقا أن أحدا من الشعب المصري لا يعرف أسماء أحزابهم ، وهذه الأحزاب تعلم جيدا أن البرادعي ومن هو أتخن منه لا يستطيع أن يرشح نفسه ، وإذا رشح نفسه جدلا ، فإن الأصوات التي ستنتخبه لن تذهب إليه أبدا ، ولن يعرف طريقه إلى النجاح ، ولو حصل على مائة في المائة من أصوات الناخبين ، لأن الشعب المصري العريق تراضى على هذا الوضع منذ آلاف السنين ونشر مثالا خالدا يقول إن من تزوج أمه يجب أن يقول له : يا أبت ؟! .ومن سوء حظ الشعب المصري أن الذي تتصارع عليه دولتان فقط لا يمنحانه شيئا بل يأخذان منه كل شيء دون مقابل ، بل يأخذان أكثر مما يتصوران وفقا لتصريح السفيرة الأميركية "سكوبي" التي أعلنت عن دهشتها لأن الحكومة المصرية تلبي طلبات الأميركان بأكثر مما يطلبون !

الدولة الثانية هي الكيان الصهيوني الغاصب الذي يهود القدس العربية المسلمة ،ويطرد أبناء فلسطين من بيوتهم وقراهم ومدنهم ، ويقتل بلا رحمة كل من يشك فيه ، أو يلمس منه رغبة في المقاومة ، ومع القتل والطرد والاعتقال ؛ فإن حكومة مصر الرشيدة تبعث إلى قادة الكيان الصهيوني ببرقية تهنئة حارة في الذكرى الثانية والستين لقتلهم الفلسطينيين ، وإقامة كيانهم الغاصب ، وعدوانهم المتكرر على البلاد

العربيـة المجـاورة ، وقتـل عشـرات الألـوف مـن أبنائهـا ، ومصـر فـي مقدمـة الـبلاد العربية التي اصطلت بنيران اليهود القتلة ..
فـي بلادكم يـا أهل قرغيزيـا ، اقتحمتم السـجون فخـرج منهـا المجرمـون والخـارجون علـي القـانون علـي النحـو الـذي انتهجـه أبطـال' ثـورة السوسـن' ٢٠٠٥م، وتكـررت مشـاهد النهـب والسلب والدمار والخـراب التـي سبق وغضـت الطـرف عنهـا الـدوائر الغربية و'ممثلوها' في عدد من الجمهوريات السوفيتية السابقة ممن سبق ووقفوا وراء تدبير' ثوراتها الملونة(القرمزية والبرتقالية والسوسن) .
والأغرب من هذا أنكم طـاردتم البوليس والجيش ورأى العـالم أن متظـاهريكم العـزل من السلاح ، أرغموا القوات المدججة بالسـلاح والرصـاص الحـي والخـوذات الصـلبة على الهروب ، بـل استطعتم بطريقـة عجيبـة أن تأسـروا وزيـر الداخليـة وتلقنـوه علقـة ساخنة ،وتجردوه من ثيابه ..
إن الشعب المصري الغلبان يعتب عليكم بسبب هذا العنـف الضـاري ، لأنـه يـرى أن من واجب الشعوب أن تستسلم للحكومات مهما فعلت ، أسمعتم عمـا جـرى فـي ميـدان التحرير بالقاهرة ، حيث تم ضرب المتظاهرين يوم السادس من إبريل ، يوم ثـورتكم الجديدة ، ضربا مبرحا ،ثم اعتقال كثيـر منـهم ، وظهـر نـوع جديد من الشـرطة اسمه الشرطة النسـائية ، يضـم نسـاء فـي قـوة الأفيـال وشراسـة الأسـود ، وقد قمـن بضـرب المتظاهرات ،وتجريدهن من الثياب ، والعبث فـي أجسـادهن علـى النحـو الـذي كشفته بعض القنـوات التلفزيونيـة الفضـائية .. وزاد الطـين بلـة ، أو جفافـا أن نائبـا مـن حـزب السلطة ، طالب علنا تحت قبة البرلمان المصري بإطلاق النـار علـى المتظـاهرين بـلا رحمة ولا شفقة ، وطالب وزارة الداخلية المصرية أن تقلل من "حنيتهـا" أي حنانهـا ، حتى لا يطمع المتظاهرون أو " شوية العيال" على حد تعبيره ، ولـم يتحـرك البرلمـان لهذه الدعوة الفاجرة ، أو يغضب من النائب الموالي للحكومة الأبدية التي أتت به عبـر الانتخابات النزيهة الشفافة جدا !!
في بلادكم يا أهل القرغيز انتشرت الفوضـى التي دفعت رئـيس الدولـة باكـاييف إلـي أن يلوذ بالفرار إلي موطنـه الأصـلي فـي جنـوب الـبلاد بعد أن اصدر أوامره إلـي وزيـر داخليته مولود موسي كونجانتييف بالسفر إلي تالاس لإخمـاد الثـورة . وكـانت النتيجـة علـي النقيض مـن المـراد حيـث وقـع فـي قبضـة المتظـاهرين الـذين أوسـعوه ضـربا. وجـاءوا بـه عاريـا منـتفخ الوجـه مـن آثـار اللكمـات والضـربات ، كمـا يقـول مراسـل الأهرام في موسكو، ليردد أمـام كـاميرات الصـحفيين مـا يمليـه عليـه المتظـاهرون مـن اعترافات. وهاهو وزير داخلية الحكومة المؤقتة يطالـب المتظـاهرين فـي تـالاس بعدم الإجهاز عليه وتسليمه بوصفه شـاهدا حيـا علـي الكثيـر مـن الاغتيـالات ووقـائع الفسـاد التـي ارتكبها الرئيس وأفراد' قبيلته'.
إن الثورة كشفت كثيرا مما خفي من تجاوزات باكاييف ومنهـا تعديل الدستور ليتـواءم مـع إمكانيـة أن يرثـه فـي الحكـم ابنـه ماكسيم الـذي لـم يتجـاوز عمـره الثلاثـين عامـا والموجـود حاليـا فـي الولايـات المتحـدة . بالإضـافة إلـى فـتح ملفـات الأشـقاء الـذين سيطروا علي البنوك والجهاز المالي للدولة ومـنهم شقيقه الأصـغر جـانيش الـذي كـان يشغل منصب جهاز امن الرئاسة.

لقد صارت زعيمة المعارضة في بلادكم يا شعب القرغيز رئيسة مؤقتة ، أما نحن أهل مصر فالمعارضة الحقيقية في بلادنا في السجون دائما ، وتقدم إلى المحاكم الاستثنائية العسكرية ، وتجد من كتاب الحكومة وأبواقها تأييدا وشماتة وسقوط مروءة .. أليسوا مرتزقة ؟
إن الشعب المصري يأسف للقتلى الذين سقطوا في مدن قرغيزيا برصاص الحكومة الفاسدة التي ذهبت مع الريح ، وهرب رئيسها إلى كازاخستان ، ولكنه يحيي فيكم الدورة الدموية النشطة والحيوية الفائقة .. ويصبر على بلائه حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ، وكما تكونوا يول عليكم .

***

مولانا الذي في رام الله !

لست أدري كيف يقنع آية الله محمود عباس ميرزا ، رئيس حكومة رام الله المحتلة وما حولها ؛ نفسه أو غيره من الناس أنه يمضي في الطريق الصواب الذي يحقق للشعب الفلسطيني الأسير الشريد التعيس حريته واستقلاله وأمنه وكرامته وجمع شمله ..
لقد اجتمع فخامة الرئيس المذكور مع رؤساء تحرير الصحف المصرية على هامش اجتماع لجنة مبادرة السلام العربية في القاهرة ٢٠١٠/٧/٣٠م، و أكد فخامته رفضه الانتقال إلى مفاوضات مباشرة مع العدو؛ ما لم يتوقف الاستيطان ويتم القبول بالعودة إلى حدود عام ١٩٦٧، وكشف عن قبوله بـ «طرف ثالث» للإشراف على الأمن في حال قيام الدولة الفلسطينية، وشدد على أنه لا دولة فلسطينية بدون قطاع غزة.
ما جرى في هذا اللقاء يفسر سر خيبة الوضع الفلسطيني ، وبؤس المستقبل الذي ينتظر الشعب الفلسطيني على يد آية الله محمود عباس ورفاقه وتلاميذه النجباء من عينة الأخ ياسر عبد ربه والفتى دحلان !

الطريف أن أبا مازن اعترف في حواره مع الصحفيين بأن «الأمور ليست جيدة كالعادة، بل ربما. تعود للوراء." وقال فخامته : " ذهبنا إلى مفاوضات مباشرة بعد مؤتمر أنابوليس (نوفمبر ٢٠٠٧)، وأمضينا ثمانية أشهر في المفاوضات مع إيهود أولمرت رئيس الوزراء الصهيوني السابق، وطرحنا في ذلك الوقت كل قضايا الحل النهائي».

وتابع: «اتفقت مع أولمرت على حدود الدولة وهي حدود ٦٧، وكدنا أن نصل إلى حل.. لكن مع الأسف الشديد لم نتمكن من استكمال هذه المفاوضات بسبب أن أولمرت خرج من السلطة.. ومنذ أن جاء بنيامين نتنياهو إلى السلطة لم نجر أي مفاوضات معه».

وشدد فخامته على أنه «إذا لم تكن هناك رؤية واضحة بشأن حدود ٦٧، ووقف كامل للاستيطان، فلن أستطيع الذهاب إلى المفاوضات المباشرة». ومضى قائلا إن «الحكومة الحالية في الكيان الصهيوني تريد مفاوضات مباشرة.. وأنا أريد مفاوضات مباشرة.. الجميع يتحدث.. وحتى الآن لم يصلني شيء بشأن الموافقة على حدود ٦٧، وعندما يصلني بشكل مباشر أو غير مباشر سأذهب إلى المفاوضات».

واشترط أبو مازن أن يأتيه ما ينتظره «من جهة يطمئن إليها مثل مصر أو أمريكا أو الأردن أو أن يخرج نتنياهو بنفسه يعلن أنه موافق على حدود ٦٧»، وفق ما ورد في خطة «خارطة الطريق». وأشار إلى أنه أبلغ الإسرائيليين من قبل بأن الحدود الدولية ما بين فلسطين وإسرائيل «هي الحدود التي شملها قرار التقسيم عام ١٩٤٧، وبالتالي لا محل لما تدعيه إسرائيل بعدم وجود حدود دولية بيننا»، مشيرا في هذا الشأن إلى «تعديلات معقولة على هذه الحدود»، دون ذكر تفاصيل حول تلك التعديلات (صحف ٢٠١٠/٧/٣١م) .

وهذا الكلام يكشف عن طبيعة ما سوف تسفر عنه المفاوضات المباشرة التي ستجري بين الطرفين : الفلسطيني والصهيوني ، وهو لا شيء !

فالرئيس أبو مازن ظل يتفاوض مع الحكومة اليهودية السابقة ولم يسفر التفاوض عن شيء ،وتفاوض مع الحكومات السابقة عليها بمفرده او من خلال الرئيس عرفات ، ولم يحقق شيئا ، وسيتفاوض مع الحكومة الحالية ولن يتوصل إلى شيء ، فالسفاح نتينياهو هو الذي أقر بأنه هو الذي دمر اتفاق أوسلو ، وتفاخر بذلك بما يعني أنه لن يعطي شيئا في المستقبل . لقد كان نتنياهو يتحدث في زيارة لمستوطنة عوفرا شرق رام الله سنة ٢٠٠١ ، وكان يظن أن عدسات التصوير مطفأة ، وتبجّح بأنه هو الذي أوقف تنفيذ اتفاقات أوسلو . وعرضت القناة العاشرة في التلفزيون "الصهيوني" وجه نتنياهو الحقيقي (والمحتال)، حسب وصف الكاتب جدعون ليفي في صحيفة "هآرتس" التي نشرت التقرير بعنوان "محتالياهو" . وتساءل ليفي عن موقف الرئيس الأمريكي باراك أوباما فيما لو شاهد الشريط، وهو الذي أبدى ثقته بقدرة نتنياهو على "المجازفة من أجل السلام" . ورأى أن نتنياهو تفوّق على كل زعماء "الكيان الصهيوني" السابقين في "الخداع وتضليل أمريكا وبلبلة الفلسطينيين وتضليلنا جميعاً"، مضيفاً أن الشخص الذي يظهر في الشريط (نتنياهو) يشهد على

نفسه بكلامه أنه محتال . وأضاف ''دعوكم من خطبة بار إيلان، انسوا الإنجازات الموهومة في زيارته الأخيرة لأمريكا، هذا هو نتنياهو الحقيقي'' .
لقد عد ليفي أن هذا الشريط يشكّل نهاية مزاعم اليهود أن الفلسطينيين مذنبون في إخفاق اتفاقات أوسلو، حيث كشف نتنياهو أمام مستضيفيه في ''عوفرا'' عن الحقيقة العارية : فهو قد قضى بيديه وبأفعاله على اتفاقات أوسلو، بل يفخر بذلك . بعد سنين حاولوا فيها إفهامنا أن الفلسطينيين مذنبون، كشفت الحقيقة من فم صاحب الشأن .
وكيف فعل هذا؟ روى أنه اشترط توقيعه على اتفاق الخليل بموافقة أمريكية على ألا تقع انسحابات من ''مواقع عسكرية محددة''، وأنه سيقرر ما هي هذه المواقع، مثل غور الأردن كله . ويتباهى نتنياهو : إنني وقفت منذ ذلك الحين ضد اتفاقات " أوسلو'' . وفي استصغار من شأن حليفته – أي أميركا - قال نتنياهو في الشريط : ''أنا أعلم ما هي أمريكا، أمريكا شيء يمكن تحريكه بسهولة'' . وقال عن الفلسطينيين ''إنهم يريدون رمينا في البحر'' . ويعقّب ليفي ''لا يستطيع أحد إقناعنا بأنه (نتنياهو) متجه إلى تسوية مع اعتقاد بدائي كهذا'' .
بيد أن فخامة الرئيس أبا مازن لم يجد غضاضة في القول بالعامية المصرية السوقية ، إنه إذا لم يتوصل إلى شيء فإنه " سيخلع ! " ، والتعبير يشير إلى طريقة الهروب غير المسئولة من المهمة أو الواجب المفروض أن يقوم به المسئول أو الشخص المكلف بأمر ما .
وبغض النظر عما يقوله الغزاة اليهود القتلة ، وممارساتهم على الأرض بالتهويد والاغتصاب اليومي للأرض الفلسطينية والبناء فوقها ، وإخلاء القدس من أهلها العرب ، وتشييد الحصار على غزة وقصف أهلها ، فضلا عن القبض على الفلسطينيين وأسرهم ، فإن الرئيس الموقر أبا مازن ، يصر على رفض المقاومة ، ويسخر من حماس لأنها في مرحلة التقاط الأنفاس لا تقوم بعمليات ضد الغزاة القتلة اليهود ، ويسوق نظريته التي يتصور من خلالها أن التفاوض ثم التفاوض ، ولا شيء غير التفاوض ، هوا الحل الوحيد والممكن .. وإذا لم يتمكن من تحقيق شيء فإنه سيخلع "!!
لقد التقي فخامته في نيويورك (يولية ٢٠١٠م) بعصابات الإيباك (كبار اليهود والموالون لهم في أميركا) ، وخرج ليقول إنه حقق كسبا عظيما من هذا اللقاء . ما هو هذا الكسب يا مولانا ؟ الكسب – كما يقول - أنهم وجدوا شريكا فلسطينيا في المفاوضات مع الغزاة القتلة ، بعد أن وجهوا له عشرات الأسئلة التي أجاب عنها ، وأقر فيها بما يسمى الحقوق اليهودية التاريخية في فلسطين ؟!
طيب إذا كانوا قد وجدوا شريكا فلسطينيا ، أين هو الشريك الصهيوني الذي يلتزم بالوصول إلى حل شبه مقنع ؟
مولانا الذي في رام الله مشغول بقضايا أكبر وأهم من نوعية زيارة المسلمين للقدس بتأشيرة صهيونية ، ويفاخر أنه يتحرك بهذه التأشيرة وأنهم – أي اليهود الغزاة – يرسلون إليه فتاة في عمر بناته أو حفيداته تقدم إليه التأشيرة لينطلق بعدها إلى حيث يريد أو يريدون .

ومن هذا المنطلق فقد وجد في نفسه الجرأة ليعلن أن الشيخ يوسف القرضاوي لا يفهم في الدين !! مرة واحدة لا يفهم ، وليس عالما ولا يحزنون ، وأن أحد شيوخ السلطة (بطحه !) بهذا اللفظ السوقي عبر فخامته عن هزيمة الشيخ القرضاوي أمام شيخ السلطة كما يدعي ، واستشهد مولانا الذي في رام الله بآراء فضيلة الجنرال المصري وصلح الحديبية ، وهو ما أشرت إليه في مقال سابق ، ودحضته علميا . ولكن مولانا آية الله محمود عباس ميرزا البهائي ، وجد في نفسه الجرأة ليشلح الشيخ القرضاوي – كما وصف المسألة فهمي هويدي – ولينصب نفسه عالم دين لا يشق له غبار ، فضلا عن المنّ بأنه عيّن الشيخ القرضاوي لدى القطريين ؟ ما رأيكم دام فضلكم في مولانا الذي في رام الله ؟ ألا يصلح أن يكون شخصية طريفة من أطرف شخصيات الأمة في القرن الحادي والعشرين ؟

ثم إن مولانا حريص أن يخاطب مجتمع الغزاة القتلة ليقنعهم بالسلام .. يا سلام ؟! لقد دعا ستة صحفيين من الصحف العبرية في فلسطين المحتلة على مائدة غداء فاخرة في مقر المقاطعة برام الله المحتلة ،وأبدى مولانا أسفه على عدم قبول قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة ، وأبدى تأييداً لمقولة القيادي الصهيوني، أبا ايبان، بأن "العرب لا يفوتون فرصة لتفويت فرصة"، ونقلت هآرتس عن عباس قوله: "حتى اليوم أنا أسف على أننا رفضنا قرار التقسيم في العام ١٩٤٧، الآن أقول للإسرائيليين، لا تفوتوا الفرصة التي قدمتها الجامعة العربية لكم، وهي مبادرة السلام ."

وقد تناولت صحيفة يديعوت أحرونوت اللقاء ؛ فتحدثت عن مفارقات الواقع بين السلطة ورجالها من ناحية والشعب الفلسطيني من ناحية أخرى. قالت الصحيفة : " الطريق إلى مكتب الرئيس الفلسطيني محمود عباس في مقاطعة رام الله تمر بسلسلة طويلة من الدارات (الفلل) الفخمة، التي تستهوي الأبصار في الظلام أيضاً. من الباني؟ من هم الأثرياء الجدد وعلى حساب من جمعوا ثروة ضخمة؟ من لا يخاف أن يستثمر ملايين؟".

وقالت : "لمن من الفلسطينيين إذن ملايين الشواكل(جمع شيكل وهو العملة اليهودية في فلسطين المحتلة) للاستثمار في الدارات الفخمة والفنادق؟ شوارع رام الله فارغة، لا تكاد توجد نسمة حية، فالجميع في البيوت قبالة الشاشات، ملازمين لألعاب كأس العالم !"، "ونحن ٦ صحافيين إسرائيليين وقعت علينا دعوة احتفالية للثرثرة وتناول الطعام على مائدة الرئيس المليئة، وأن نتنياهو أدخل الرئيس عباس في وضع انتظار إلى أجل غير معروف، وربما يكون لقاء نتنياهو للرئيس اوباما (يولية ٢٠١٠م) في البيت الأبيض هو سبب "الحديث من القلب إلى القلب" معنا".

وتضيف يديعوت أن الرئيس عباس أبدى رفضه لكافة إشكال العنف، وقال: "منذ ٣ سنوات هناك محافظة على الهدوء (الأمني في الضفة)، الحفاظ على الأمن دون شروط مصلحتنا، ورئيس الشاباك، يوفال ديسكين، يثني علينا بالرغم من انعدام الاتصال بيني وبين نتنياهو، التنسيق الأمني بيننا قائم طيلة الوقت".

نعم أهم شيء التنسيق الأمني ، ورحمة الله على الشهداء وعلى الشعب الفلسطيني ، ومزيدا من الشواكل للسلطة ، وثق يا مولانا أنك لن "تخلع " !

***

هنيئاً لإيران .. ويا أسفا على المخلّفين !

من حق إيران الإسلامية أن تفخر بانتخاباتها النزيهة ، وتداول السلطة في حكومتها ، ومن حقها أن تفاخر العالم الإسلامي ، وغير الإسلامي ، بأنها انتقلت من مرحلة الاستبداد والظلام والسافاك إلى عصر الشورى والنور وكرامة الإنسان . ومن واجب المخلّفين من الأعراب الذين استناموا إلى خطبهم البليغة وقصائدهم العصماء وعصيّهم الغليظة ضد شعوبهم ومواطنيهم وأهليهم أن يتعلموا الدرس من الجار الفارسي حتى لو وصفوه بالشيعي الفارسي المجوسي الرافضي الباطني ... إلخ . فهو لن يكون أخطر من مؤسسة الاستعمار الصليبي الصهيوني الذي أذلهم ، وهيمن على مقدراتهم ، واستولى على ثرواتهم ومدخراتهم، وحولهم إلى أتباع مخلصين ؛ يزرع في أراضيهم القواعد العسكرية ومخابراته العسكرية والبوليسية ، ويأمرهم فيطيعون ، ويخطط لهم فينفذون ، ويضحك عليهم بالكلام المعسول ، فيسعدون ويزغردون !

أجرت إيران الإسلامية انتخابات الرئاسة العاشرة منذ قيام الثورة ضد الشاه وحكمه الامبراطورى الفاسد الذي كان أول نظام إسلامي يتعامل مع العدوّ النازي اليهودي

الغاصب في فلسطين المحتلة . جاء مراقبون من شتى أنحاء العالم ، وشهدوا الانتخابات ووقائعها ، فلم يروا تزويرا ولا غشاً ، ولا مطاردة للناخبين ومنعاً لهم من الوصول إلى مقرات التصويت ولا اعتقال المرشحين أو افتعال المشاجرات والمعارك بوساطة البلطجية والأشرار والمأجورين ، ولا التحايل ومنع المرشحين من تقديم أوراقهم إلى اللجان المختصة ولا تحديد نسبة للعمال والفلاحين مهمتها الهتاف والتصفيق للنظام ، ولا كوتة للمرأة ، ولا إلغاء للإشراف القضائي ولا إهانة للقضاة ومندوبي المرشحين .

في إيران الإسلامية اتفقوا على نظام – حتى لو لم يعجبنا - يقوده مرشد الثورة ورئيس جمهورية وآخر للحكومة ، وثالث لمجلس النواب ، ومؤسسات تنفيذية وتشريعية وقضائية ومجلس لمصلحة النظام ، مع مؤسسة عسكرية قوية ؛ تقوى مع كل يوم بالعمل والتدريب والابتكار والتسليح المتطوّر براً وبحراً وجوّاً واستطلاعاً وأداء ، ونهضة علمية عسكرية تضع العلماء قبل " العوالم " و " الغزاة " قبل " الغوازي " ، وإعلام حرّ ينقل ما يجرى في الدنيا ، ويعرض كل ما يحدث ، وقبل ذلك وبعده يملك إرادة غلابة لا تقهر من أجل الاستقلال الحقيقي الذي لا يركع أمام الغزاة ولا ينبطح أمام الطامعين .
انتخابات الرئاسة الإيرانية العاشرة ، ليست حدثاً عابراً في زمن عابر وكلام عابر ، ولكنها درس بليغ للقاعدين عن الجهاد المتراضخين للكسل ، الذين يقولون لجيوشهم وعقولهم : لا تنفروا في الحر ! " فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ " (التوبة : ٨١) .

كان الرئيس التاسع – الذي أصبح الرئيس العاشر – صوت إيران المستقلة ، حين تحدى الإجرام النازي اليهودي الغاصب ، وشكك في المحرقة ، وأنذر الكيان الصهيوني العدواني بالزوال ، وشجع المقاومة الإسلامية الباسلة في لبنان وفلسطين ، وتحدى الشيطان الأكبر ، ولم يكن ذلك عن عاطفة خطابية هوائية أمام عدسات التلفزة وميكروفونات الإذاعة وصفحات الصحف الحكومية ، ولكنه كان معتمداً على الله أولاً ، ثم العمل الجاد الدءوب الذي يقوم به شعب بأكمله ، يعرف أهدافه ، وغاياته وإن اختلفت وسائله ووسائطه ، مع اقتناع كامل أن " كرامة " المواطن الإيراني ، مقدمة على كل الاعتبارات ، وأن الوطن الإيراني يستحق التضحيات الجسيمة ، وفى مقدمتها " الشهادة " .. هل سمع المخلفون من الأعراب عن مفهوم الشهادة ومعطياتها في مجال الاستقلال وتعظيم القوة الروحية والإرادة الوطنية ؟

إن الذين يتصورون أن حكومة إيران " مجموعة من " الشيوخ " أو " الفقهاء " لا يدرون من أمور الدنيا شيئاً واهمون . ولا يعرفون ما ذا يدور في إيران الإسلامية ولا ما يجرى في أحشائها من مخاض يصنع دولة إسلامية قوية ، لا يحكمها الفساد والزيف والتمييز بين الطبقة المتحكمة وبقية أبناء الشعب ، وتفرض وجودها الحي

والفعّال على دول الإقليم ، بل العالم بأسره ، ويكفى أنها صنعت برنامجاً نووياً وسط حصار مشدّد صنعته المؤسسة الاستعمارية والصهيونية ، وفى مواجهة تهديدات صليبية غشوم يحركها التعصب والإجرام والرغبة في الهيمنة، واستطاعت الرئاسة التاسعة ومن قبلها الرئاسة الثامنة ، أن تفاوض الوحشية الاستعمارية ببراعة ، وأن تستخدم الكرّ والفرّ ، من خلال إرادة قوية ، وإصرار أكيد وعزم راسخ ، وعمل دائب يضيف إلى القدرة الإيرانية كل يوم قوة جديدة .

خرجت إيران بعد حرب مدمرة مع العراق فرضت عليها واستمرت ثماني سنوات أهلكت الحرث والنسل ، ولكنها بدأت البناء والعمل حتى صارت شريكاً فاعلاً في الخليج والعراق وأفغانستان وباكستان والهند .. ولم لا تكون شريكاً فاعلاً ؟

إنها القوة التي يحترمها العالم . أما الضعفاء فلا يحترمهم أحد ولا يلقى إليهم بالاً حتى لو انبطحوا بزاوية مستقيمة . وقارن بين كوريا الشمالية ، والدول العربية التي استسلمت للمؤسسة الاستعمارية العالمية بلا قيد ولا شرط ، لترى أيهم أكثر كرامة وأحق بالوجود ؟!

لقد لجأ المخلفون من الأعراب إلى هجاء إيران ، ونبش القبور عن معارك بين السنة والشيعة ، ليصرفوا الأنظار عن تخلفهم عن العمل والجهاد واحترام شعوبهم وإرادة هذه الشعوب، وانبطاحهم المزري أمام الأعداء .. ولو أنهم عملوا وجاهدوا وأخذوا بأسباب القوة كما طالبهم رب العزة سبحانه ، لاستطاعوا أن يقطعوا لسان من يسبّ أبا بكر وعمر ، ويغلقوا فم من ينال من أم المؤمنين عائشة ، ويجعلوا الناس يلتحقون بركب أهل السنة والجماعة .. ولكنهم وا أسفاه تصوّروا أن الهجاء والسب والشتم عبر أجهزة الدعاية سيحول دون إيران وتنفيذ ما تريد ..

لو أنهم ساعدوا المقاومة الإسلامية العراقية الباسلة ، ما تدخلت إيران في شئون العراق ، ولو أنهم شكلوا مقاومة إسلامية سنية قوية في لبنان ما انفرد حزب الله بالساحة هناك ، ولو أنهم احتضنوا حماس والجهاد في فلسطين ما وجدت إيران قدما في الضفة ولا في القطاع ، ولو أنهم جعلوا مهمة جيوشهم ووزارات داخليتهم تصبّ في مواجهة العدو النازي اليهودي والعدو الوحشي الصليبي بدلاً من قهر شعوبهم ومواطنيهم ، لاحترمهم الغرب الاستعماري ، وخشيتهم الصهيونية .. ولكنهم يستبيحون دماء شعوبهم وكرامة أهليهم فلعب بهم الشرق والغرب ، وانظر ما يحدث الآن في باكستان على سبيل المثال .

أيها المخلفون من الأعراب حين تصبحون أقوياء فلن تزعجكم إيران ولا غير إيران ، بل إنها يمكن أن تتحول إلى قوة مضافة تسندكم وتدعمكم وتسلم بمطالبكم حول الصحابة الأجلاء ، وتصغي لما يقوله أهل السنة في الفقه والتشريع ، وللأسف ، فأنتم ضعفاء أمام الخارج ، لا تعرفون الرحمة في الداخل ، فجعلكم الله عبرة لمن لا يعتبر !

***

ولاد الـ .... عايزين يحكموا البلد ؟

أكدت السلطة أنه لا فائدة من الحديث عما تسميه نزاهة الانتخابات ، وأنها ماضية في طريقها المظلم لفرض سياساتها الخاطئة الفاشلة ، وخداع الناس بما تسميه الديمقراطية . ولهذا فإنني أعتقد أن المشاركة في مسرحياتها الهزلية الرديئة التي تسميها انتخابات نوع من العبث الذي يجب أن يبتعد عنه كل من ينشد الحرية للوطن البائس التعيس !

ثم إن المبررات التي تطرح للمشاركة في هذه الانتخابات – مع نبل المقصد – هي غطاء شرعي لسياسة غير شرعية ، بل غير إنسانية بالمرة ، لا يمكن أن تقبل بالحوار ، فضلا عن المشاركة ، ولا تصغي لمتغيرات العصر ، ولا تستفيد من تجارب الغير ، وليس لديها استعداد للتغيير ، أو الاعتراف بحق الشعب المصري في الحرية والكرامة والمشاركة .

مخطئ من يظن أن المؤسسة الاستعمارية الصليبية يمكن أن تضغط من أجل التغيير ، أو إقناع النظام أن عصاباته الفاسدة يمكن أن تبني وطنا يملك أسس التقدم والتطور والقوة ، فالمؤسسة الاستعمارية الصليبية سعيدة بهذا النظام وأمثاله من الأنظمة في

العالم الإسلامي ، لأنه يقدم لها خدمات جليلة بطريقة مجانية وسهلة ، ودون أن تكلفها سنتا واحدا من أجل الحفاظ عليها !
في عام ٢٠٠٥م جرت انتخابات مجلس الشعب ، وكانت آخر انتخابات تجري تحت سلطة القضاء المباشرة (قاض لكل صندوق) ، واستطاع عدد غير قليل من المستقلين والحزبيين في الدورة الأولى أن يعبروا إلى المجلس النيابي . ولكن السلطة البوليسية الفاشية في الدورتين الثانية والثالثة ، لم تستطع احتمال أن يعبر عدد آخر ، فاستخدمت العصا الغليظة والذراع القوية ، ونكلت بالناس الذين ذهبوا للإدلاء بأصواتهم ، لدرجة أن رأينا بعضهم يتسلق الأسوار بالسلم كي يستطيع الوصول إلى لجنة التصويت ويدلي بصوته، وقامت بقتل أربعة عشر مواطنا في أماكن مختلفة ، ثم أهانت القضاة أنفسهم الذين لم يستجيبوا لتعليماتها ، وتعرض بعضهم لمواقف عنف غير مسبوقة في تاريخ مصر القضائي ، ثم كان التزوير العلني الغشيم في عديد من الدوائر مثل دمنهور والدقي والمنصورة ، وتأجيل الانتخابات في مجموعة من الدوائر التي كان من المتوقع أن يفوز فيها مستقلون ، حتى صدرت التعديلات الدستورية التي ترفع سلطة القضاة من اللجان الفرعية ، وتم تدشين مرحلة جديدة من الانتخابات المزورة في هذه الدوائر بعد عدة دورات ، وحققت السلطة ما تريد رغم أنف الشعب والقانون والدستور ..
كان التزوير الفاضح والمتبجح في دائرة دمنهور وزاوية غزال بداية عار جديد وفشل ذريع للسلطة ، حيث تغير إعلان الفائز بصورة لا تمت إلى الأخلاق ولا القانون ولا الأعراف ، وبعد أن كان الفائز اسمه " محمد جمال حشمت " ، صار اسمه واحدا من بتوع النظام ! وكشفت المستشار " نهى الزيني " جريمة التزوير الفاضح والمريع ، وشهد معها قرابة مائة وخمسين قاضيا شاركوا في اللجان الانتخابية الفرعية والعامة في دائرة دمنهور، ولكن السادة المحترمين في النظام البوليسي الفاشي لم يخجلوا من أنفسهم ، واستخرجوا البطاقة النيابية للفائز بالتزوير ، وفتحوا له صفحات صحفهم وشاشات تلفزيوناتهم ليدافع عن التزوير الفاضح المتبجح ، وليصنع من نفسه شهيدا !
منذ ذلك الحين في عام ٢٠٠٥ م لم يجد النظام البوليسي الفاشل غضاضة في التزوير الفاضح الوقح ، فزور الانتخابات التكميلية لصالحه ، عيني عينك ، وزور انتخابات المحليات ، ودخل بكل قوة علنا أومن وراء ستار ليزور انتخابات النقابات ليأتي برجاله وأبواقه ، والنقابة التي تستعصي يفرض عليها الحراسة .. وعرف الناس أن حكاية الانتخابات مجرد مسرحية هزلية سخيفة غير جيدة الإخراج والتمثيل ، فلم يعد النظام البوليسي الفاشي محتاجا إلى حبكة فنية ، وإبهار مسرحي ، أو تقنيات تجعل المشاهد يتوهم أن ما يجري على خشبة المسرح حقيقة أو بعض من حقيقة ، فقد اعتصم بذراعه الفولاذية وعصاه الغليظة ، والويل لمن يأخذ مسألة الانتخابات مأخذ الجد !
في انتخابات مجلس الشورى الأخيرة قامت الشرطة بما طلب منها على الوجه الأكمل ، ضرب واعتقال وإطلاق نار وتزوير علني فاضح ، اللجنة التي لا تتناغم مع ما يطلب منها عند وضع الأوراق المزورة أو عند الفرز ، يطرد أعضاؤها أو

رؤساؤها بالقوة ، ومع السلامة يا روح .... ، فهناك دائما من هو جاهز للتوقيع ، والحصول على البركة والمكافأة !
قال ضابط بمنتهى الصراحة وعلو الصوت : "هما ولاد ال.....عايزين يحكموا البلد ؟ ! "
والعبارة التي تحمل كلمة سب بذيئة والموجهة للمعارضين تلخص فلسفة النظام البوليسي الفاشي بكل دقة ، وتقول لمن لا يرى جيدا : هاهي فلسفة النظام ، إنها لن تسمح لأحد من غير أعوانه من المنتفعين به ، والذين يتمرغون في خيراته (هي في الحقيقة خيرات الشعب البائس وعرقه المستباح!) ، والذين يتاجرون بأقواته ويحتكرون البضائع ، ويطعمونه اللحم المسموم ، والقمح الفاسد ، والغذاء المغشوش ، وينهبون أراضيه ، ويسرقون إنتاجه بالقانون .. هؤلاء وحدهم الذين يسمح لهم بالحكم والفوز في الانتخابات المزورة .
أبناء السلطة البوليسية الفاشية أو أبناء الهانم ؛ هم الأحق بالحكم والخيرات . أما المعارضون فهم أبناء الجارية الذين لا يستحقون إلا الكرباج..
ستجد بالطبع من أبواق النظام ممن هم على استعداد لبيع آبائهم وأمهاتهم ، من يمتدحون ديمقراطية النظام البوليسي الذي يطعمهم ويسقيهم ، ويهاجمون أبناء الجارية الذين لم يستطيعوا كسب مئات الآلاف من الأصوات في الدائرة الواحدة ، مثلما حصل واحد من أبناء الهانم ، وينتمي إلى مجلس الوزراء ، راح يفاخر بانتمائه إلى النظام البوليسي الفاشي ، ويرى أن لا تعارض بين دخوله الانتخابات المزورة وبين واجبه الديني الذي يفرضه عليه منصبه ، ونسي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم – كان يعدد أكبر الكبائر ، وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور ، ألا وقول الزور ، ألا وقول الزور! وفي رواية أخرى : وشهادة الزور ! ماذا سيقول الوزير لربه عن الانتخابات المزورة ؟
ثم ماذا سيقول له وقد حظي كما قال المزورون بمئات الألوف من الأصوات ،وهو يعلم أن أفضل لجنة لم يزد عدد المصوتين فيها عن خمسين مواطنا ؟
في إحدى القرى ذهب ستة أشخاص منهم سيدتان إلى لجنة عدد ناخبيها لا يقل عن خمسمائة وألف صوت ! وقس على ذلك بقية لجان مصر التي لم يذهب إليها أحد !أو ذهب إليها نفر قليل لا يمكن أن يكتمل منهم ألفان في الدائرة بأكملها .
لقد منحت السلطة أربعة مقاعد مكافأة لبعض الأحزاب الورقية ، وسخر الناس من الصفقة أو المنحة التي منحتها لهذه الأحزاب التي رضيت عنها ، وفي الوقت نفسه تخلصت من بعض الموالين لها في الدوائر الأربع التي منحتها للأحزاب الورقية ،كما نجح المرشحون الطائفيون جميعا ؛ نجاحا ساحقا على غير العادة ، وقال تاجر الخردة والحديد الذي يحكم حزب السلطة إنه " وعد فأوفى" .. والوعد كان عدم تمكين المستقلين الذين يعرفهم الناس باسم الإخوان المسلمين من الفوز بأي مقعد ، في انتخابات قال عنها رئيس الجمهورية إنها ستكون نزيهة وشفافة .. ولم تكن نزيهة ولا شفافة .
تمنيت أن تكون السلطة البوليسية الفاشية الفاشلة لديها بعض الشجاعة ، فتعلن أنها لن تجري انتخابات أبدا ، وأنها ستعين الأعضاء الذين تريدهم ، بل إنها ليست في حاجة

إلى أعضاء من الأساس ، لأنها تعلم ما هي مصلحة الشعب ، وسبق أن ذكر رئيس الوزراء الحالي أن الشعب المصري غير ناضج (؟) مما يعني أنه هو وبقية الركب المفدى من أهل السلطة أعرف بما يحتاجه الشعب البائس غير الناضج !

إن إعلان الحكم الشمولي الصريح هو الخطوة الطبيعية التي يجب أن تعقب الانتخابات المزورة ، غير النزيهة ، غير الشفافة ، لتريح السلطة البوليسية الفاشية الفاشلة نفسها ، ولتكون أكثر اتساقا مع ذاتها .. أما أن تعلن عن ديمقراطية لا وجود لها في أرض الواقع ، وتريد من الناس أن يروها بريئة وصادقة فهذا هو التناقض الذي يضعها في أسوأ مكان في التاريخ ، ولن ينجيها أمام الله .

إن إلغاء الانتخابات وإقامة حكم شمولي صريح سوف يوفر كثيرا من أموال الشعب المظلوم ، وستكون الحكومة مستحقة لشعب يستحقها . فهو شعب قاصر وغير ناضج كما قال رئيس الوزراء ، لم يصل نضجه مثلا إلى مستوى شعب قيرغيزيا الذي انتفض مرتين في خمس سنوات ؛ ضد حكامه ، حتى لو كان القيرغيز قد حركهم الأميركان ، المهم أنهم ناضجون ، وقد تحركوا وغيروا وأتوا بحكومة تستحقهم ويستحقونها .

إن مقولة الضابط " ولاد ال ...... عايزين يحكموا البلد ؟ " مقولة صحيحة بمنطق السلطة البوليسية الفاشية ، فهؤلاء الأولاد لم يسرقوا ولم ينهبوا ولم يفسدوا ولم يجعلوا ولاءهم لغير الله لذا لا يستحقون الوصول إلي كراسي الحكم ، ويجب أن يكون الكرباج هو الوسيلة الوحيدة التي تتعامل بها السلطة معهم ، فهم غير ناضجين !

في الكيان النازي اليهودي الغاصب على أرض فلسطين المحتلة ، لا يزوّرون الانتخابات ، ولا يوجد إشراف قضائي هناك ، ومع ذلك لا يشكو أحد من التزوير ، ولا يتهم لجان الانتخابات ، ولا يُضرب الناخبون ، ولا يُطرد رؤساء اللجان أو أعضاؤها، ومن الطبيعي أن يفوز المعارض النازي اليهودي الغاصب ويخسر الحاكم النازي اليهودي الغاصب ، ويتداول الطرفان الحكم والمعارضة دون مشكلات أو حساسيات .. فقد اتفقا على نظام عام وأسس عامة ، ولا يوجد بين اليهود الغزاة أبناء هانم ، ولا أبناء جارية ، ولذا يعملون وينتجون ، ويحاربون وينتصرون ، ويفرضون إراداتهم على أنظمتنا الخائبة الفاشلة ، ويضعون حذاءهم العسكري على رقاب الجميع !!. .

أيها الخُيّاب الفاشلون :

نتمنى أن تنجحوا في حل مشكلة واحدة ، بطريقة تحفظ إنسانية المصريين وكرامتهم ،مثل توفير الخبز ، أو التغلب على مضاعفات مشكلة النظافة في المدن الكبرى والقرى ، لنلتمس لكم العذر في تسلطكم واستبدادكم وجبروتكم .

إن العصا الغليظة والقبضة الفولاذية أبعد عن حمايتكم واستمراركم ، لأنكم تقننون العنف والشر ، وتوقدون نار الإرهاب والفوضى ، وكل الدلائل تشير إلى أنكم ستحرقون وطنا بأكمله ، وساعتها لن تفلتوا من قبضة الله ولا من التاريخ .

***

كتب للمؤلف
الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.
٢- تيسير علم المعاني .
٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .
٤- محمد- صلى الله عليه وسلم –في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .
٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .
٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة).
٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .
٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .
٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .

١٠ – المدخل إلى البلاغة النبوية .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .
٢ - وجوه عربية وإسلامية .
٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .
٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .
٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .
٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).
٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)
٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : كتب صادرة عن مكتبة جزيرة الورد – القاهرة :

١- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .
٢ – العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .
٣ – عباد الرحمن وعباد السلطان .
٤– الأقلية السعيدة : يوميات التمرد والتسامح !
٥- ثورة الورد والياسمين : من سيدي بوزيد إلى ضفاف النيل .
٦ - اخلع إسلامك .. تعش آمنا ؟! .
٧ – تدبير المنزل – ما بعد الثورة .
٨ – الضيافة والشهادة .
٩ – عواصف الربيع العربي .

رابعا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).
٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).
٣ - الحرب الصليبية العاشرة.
٤ - العودة إلى الينابيع .
٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .
٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .
٧ - هتلر الشرق .
٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .
٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .
٨ - النظام العسكري في الجزائر .
٩ - حفنة سطور .. شهادة إسلامية .
١٠ - الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .
١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .
١٢ - تحرير الإسلام .
١٣ - دفاعا عن الإسلام والحرية .
١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .
١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .
١٦ - العصا الغليظة .
١٧ - واسلمي يا مصر.
١٨ - ثقافة التبعية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .
١٩- انتصار الدم على السيف.

خامسا : كتب أدبية ونقدية :

١- الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤- موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥- حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٦- لويس عوض الأسطورة والحقيقة .
٧- الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨- إنسانية الأدب الإسلامي .
٩- حصيرة الريف الواسعة .
١٠- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .
١١– الحكاية كلها معاصرة(دراسات في الرواية) .

سادسا : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سابعاً: كتب للأطفال :

١- واحد من سبعة .

ثامنا : كتب محققة :

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .
٢- أحسن ما كتبت .

تاسعا – كتب معدة للنشر:

- الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .
- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .
– خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .
- الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .
– اللحم الإسلامي المستباح .
- حضرت التبعية .. وغابت الهوية .
- صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .
- نداء الفطرة .
- ثقافة تزغيط البط !
- محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !
- القيم الإسلامية في رسائل النور
- كهنة آمون !
- المدافعة والمداولة – قراءة في السنن والتحولات .

عاشرا : كتب إعادة طبع :

١ – التغريب وتجلياته (لويس عوض نموذجا) .
٢ – حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٣ – حصيرة الريف الواسعة .
٤ - إنسانية الأدب الإسلامي .

٥ – الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٦- أهل الفن وتجارة الغرائز .
٧ – معركة الحجاب والصراع الحضاري .
٨- التنوير رؤية إسلامية .

الفهرس